

التعريب



مَجَلَّةُ نَصَفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

الأخوة
العربيين
هوئلتنا
القومية

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

61

جمادى الأولى 1443 هـ - كانون الأول (ديسمبر) 2021 م

السنة الحادية والثلاثون
العدد الحادي والستون

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الحادي والستون

كانون الأول (ديسمبر) 2021

المدير المسؤول:

المهندس محمد سامر القواص

المشرف على المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور قاسم طه السارة

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذة الدكتورة زهيدة درويش جبور

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

* بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.

* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.

* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.

* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.

* الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها راجع شروط النشر

التعريب: مجلة نصف سنوية مُحَكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق - ص.ب: 3752 - هاتف 3334876 / www.acatap.org - E-mail: acatap2@gmail.com

السنة الأولى: 1991 - دمشق ع 2021/12/15

الإشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 10 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

* افتتاحية العدد VII-VIII

* قواعد النشر في المجلة IX-XII

* بحوث في التعريب

- اللغة العربية والإرث الاستشراقي 3
د. منير بن رحال
- التعريب والمشارك اللفظي 23
د. رفعت هزيم
- المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني 49
د. عيسى قبزة

* بحوث في الترجمة

- محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي 73
د. رحمة بو سحابة
- الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي - قراءة في سيميولوجيا التواصل ... 89
د. محمد أمين دريس

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021 م

- المظاهر الثقافية للترجمة – بعض المفاهيم الرئيسية 117
د. عادل داود
- من تطبيقات الترجمة - 1 137
أ. د. سام عمار
- الترجمة الاقتصادية التحريرية – مفاهيمها وأسس تدريسها 165
د. ورد جبر حسن
- جان فرانسوا دورتييه: العلوم والفلسفة – قصة حب من خمسة فصول 193
أ. د. محمد أحمد طجو
- اللسانيات والترجمة 207
أ. د. حميد العواضي

* من بحوث التعليم

- بحث في اللغة العربية والذكاء الصنعي 241
أ. د. محمود أحمد السيد

* من بحوث الحضارة العربية الإسلامية

- بحث في خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية 269
أ. د. يمينة حاج هني

الافتتاحية

يوماً بعد يوم يزداد الاهتمام بعلوم الترجمة؛ لأنها جسر متين و رابط قوي بين اللغات، يصل الأمم بعضها ببعض، ويربط اللغات برابط وثيق، بوسائل متينة تجعل من يقرأ نصاً مترجماً أو رواية مترجمة يستنتج أهمية هذه العلوم وأهمية هذا المنتج المترجم. وقد أثبتت ذلك منذ أن بدأ عصر الترجمة في العصر العباسي يعطي ثماره، وازداد حرص الدول عليها لينتشر أدبها وتنتشر علومها بين الأمم الأخرى، وهذا ما يجعل العلوم والمعارف بأنواعها تتجاوز حدود الأوطان وتصل المكان الذي تريده.

ولما كانت الترجمة من أبرز اهتمامات المجلة فقد ركزت عليه في كل الأعداد التي صدرت ولاسيما هذا العدد الذي بين أيدينا؛ إذ ضم عدداً من الأبحاث التي تتصل بالترجمة وتكاملت فيما بينها فقدمت وجبة غنية للقارئ، فتحدث أحد الأبحاث عن محنة الترجمة في الحضارة العربية من منظور المفكر العربي جورج طراييشي، هذه المحنة التي يجب أن نخرج منها، ولا نستطيع إلا إذا اتصلنا بالثقافات الأخرى والوسيلة الأساسية للاتصال هي الترجمة، وقريب من مضمون هذا البحث ما ورد في بحث يتكلم على الهوية ومأزق الترجمة الذي يقع فيه الكثيرون، وعليهم التنبه مما قد يؤثر سلباً إن لم نتقن النقل عن الأمم الأخرى.. وقد تناول الباحث هذا الأمر من منظور سيميائي..

إضافة إلى هذين البحثين المتميزين ورد في العدد أبحاث تتحدث عن شخصيات تعمل في ميدان الترجمة وهذه الشخصيات يجب إبراز جهودها في الترجمة لأنها مكون أساسي من

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021 م

مكونات العلم والفكر أضف إلى ذلك أبحاثاً طرق أصحابها جوانب أخرى تتصل بالترجمة، مثل المظاهر الثقافية للترجمة، والترجمة الاقتصادية التحريرية، وكان بحث عن تطبيقات في الترجمة.

أما الأبحاث الأخرى فقد تنوعت وكانت على مستوى عال من البحث وهذا ما دأبت عليه المجلة، فنحن كلنا نبحت عن الإرث الاستشراقي الذي يتكلم فيه أصحابه على الشرق وحضارته فكان بحث عن اللغة العربية وهذا الاستشراق، ومما ورد أيضاً بحث خصه صاحبه بظاهرة المشترك اللفظي رابطاً إياه بالتعريب، وهذان الأمران من موارد اللغة العربية التي تزيد من مفردات المعاجم العربية التي نحتاج إليها في كتاباتنا لنساير التطور الهائل للحضارة.

وضم العدد أبحاثاً أخرى متنوعة تناولت ظواهر اللغة واللسانيات ولاسيما المصطلح اللساني الذي مازلنا بحاجة إلى تثبيته ليعتمد في الدراسات اللغوية اللسانية.

إن ما ضمه هذا العدد من مجلة التعريب غني ووافر تعتمد المجلة على الدوام أن يكون متميزاً فهي المجلة التي تتفرد بما تقدمه خدمة للغة العربية..

والله وليُّ التوفيق.

الأستاذ الدكتور محمد ولد أعمر

المدير العام للمنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه **تصريحا خطيا** يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.

2. أن تنتم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.

3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word، ترسل نسخة إلكترونية على بريد المجلة الإلكتروني إلى عنوان المركز التالي:

acatap2@gmail.com

مع مراعاة مايلي:

أ. ألا يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة) ولا يقل عن /7 صفحات/.

ب. أن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.

ج. ضرورة استعمال علامات الترقيم أصولا.

د. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة.

4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه،

مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021 م

5. ترفق المادة المقدمة للنشر متضمنة:

أ. اسم المؤلف الثلاثي بالعربية وبالحروف اللاتينية.

ب. نبذة مختصرة من سيرته.

ج. الصفة أو المرتبة العلمية، مثال (دكتور، أستاذ دكتور، باحث أكاديمي... الخ)

د. عنوانه البريدي الكامل.

هـ. عنوان بريده الإلكتروني.

و. رقم هاتفه.

6. تُسهّل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بتبَيّن للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور ورقم الصفحة.

7. تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها في مكانها في النص، وترسل أيضاً بملف أو ملفات منفصلة بحيث تكون واضحة وبدقة صالحة للطباعة أعلى من 200 dpi بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة والحجم المناسب، على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص، مع ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية للشكل.

8. تُعرّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9. تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

– أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

.....قواعد النشر في المجلة

- أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
 - ألاّ يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
 - أن يصنّب العرض معلوماتٍ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.
10. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسلّم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك قبل صدور العدد الجديد بثلاثين يوماً.
11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكّم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سرّي، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكّمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.
12. يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكّم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.
13. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.
14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.
15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم العدد وتاريخه الذي نشرت فيه المادة.

التعريب العدد الحادي والستون - كانون الأول (ديسمبر) 2021 م

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية (فقط في حال كلف المركز أو رئاسة تحرير المجلة، أحد الباحثين بكتابة مقال بموضوع تحتاجه المجلة)، بقيمة 5 دولارات أمريكية عن (الصفحة الواحدة والتي تعادل 300 كلمة). وبحيث لا تتجاوز عدد صفحات المقال 20 صفحة حسب الفقرة (3-أ). وبذلك تصل المكافأة إلى /100/ دولار أمريكي كحد أقصى (في حال تجاوزت عدد الصفحات 20 صفحة، للضرورة القصوى و كان المقال يتطلب الاستفاضة قليلاً).

18. تعتذر هيئة التحرير عن عدم نشر أية مقالة لا تلتزم بالشروط الواردة آنفاً.

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم المهندس محمد سامر القواص المشرف على المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق - ص.ب: 3752

هاتف: +963 - 11 - 3334876

فاكس: +963 - 11 - 3330998

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap2@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org

الصفحة على فيس بوك: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

<http://www.facebook.com/Acatap.Damascus>

بحوث في التعريب

اللغة العربية والإرث الاستشراقي

د. منير بن رحال

جامعة شعيب الدكالي - الجديدة

المملكة المغربية

مقدمة

تقدم هذه الدراسة فكرة عن الإرث الاستشراقي من خلال اهتمامه باللغة العربية، حيث كانت له أهداف علمية وثقافية، إضافة إلى أهدافه السياسية، كما نقف عند أهم الخطابات الاستشراقية التي تعاملت مع العربية من خلال الترجمة خاصة، ثم نبين في طيات دراستنا مصادر اهتمام الاستشراق بالترجمة من اللغة العربية وإليها، لنقف في الأخير عند بعض المستشرقين المنصّفين، الذين خدموا اللغة والثقافة العربية ومازالوا إلى اليوم، ونختم بخلاصة وتوصيات هامة.

توطئة

"وكانت العربية بصفة خاصة هي التي فتحت له (سلفستر دي ساسي) أبواب الشرق حسبما يقول جوزيف رينو، لأن المادة الشرقية، المقدس منها والدنيوي، كان يمكن الاطلاع عليها في أقدم صورها وأكثرها نفعاً، بتلك اللغة آنذاك".¹

ننطلق في ورقتنا هذه المعنونة بـ (اللغة العربية والإرث الاستشراقي) بهذه الجملة الهامة التي أنقلها عن Henri dehérain²، وهي تلخص بوفاء التوجه الاستشراقي لدراسة اللغة العربية منذ البدء. إذ تعد طبيعة الاستشراق من الأمور التي تثير كثيراً من الجدل إلى الآن؛ فقد شهد القرن التاسع عشر اهتماماً متزايداً من جانب المستشرقين الأوروبيين بالطقوس والشعائر التي تجري في

¹ Dehérain (H.), Sylvestre de Sacy, ses contemporains et ses disciples, paris, Paul geuthner 1938, p111.

² أمين مكتبة معهد فرنسا (1934-1919)، سكرتير تحرير مجلة العلماء التي أصبح نائباً لمديرها في عام 1937، خصص أطروحته للسودان في عهد محمد علي واشتهر بعمله في الشرق والمسافرين إلى سورية.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

العالم العربي عموماً، وفي بلدان المغرب على وجه الخصوص.³ ويبدو أن العلاقات التجارية بين الشرق والغرب كانت رائجة مع البندقية والإمبراطورية العثمانية حتى نهاية القرن 17م، وخلال القرن 18م بدأ فضول الغرب يتزايد ناحية عالما العربي مع ترجمة أنطوان جالا لقصص ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية.⁴

ولتوضيح علاقة الترجمة بالاستشراق في هذه الورقة، سننظر إليها من خلال تصور إدوارد سعيد لهذه القطبية الثنائية، وذلك من زاويتين:

الأولى وتوصف بأنها إيديولوجية وتتمثل في دراسة إنتاج المستشرقين في ميدان الترجمة، أي ما أنتجوه من ترجمات من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية، أو من لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية.

أما الثانية فتتمثل في التعامل مع الاستشراق باعتباره شكلاً من أشكال الترجمة، وهذا يعني تفكيك الخطاب الاستشراقي والتعامل معه كآلية اعتمدها العلماء الغربيون لفهم الشرق وترجمته وكذا استعمال مفاهيمه وأدواته لإنتاج نصوص حول المشرق.⁵

³ إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط7 2005م ص48.
- يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون: ((وهكذا ولد الاستشراق وظهرت كلمة مستشرق في اللغة الانجليزية نحو 1779م، كما دخلت كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية في 1737م، وتجسدت فكرة نظام خاص لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون بعد من العدد، بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات أو مجلات متخصصة في بلد واحد أو شعب واحد أو منطقة واحدة من الشرق)).

⁴ إيناس حسني، الاستشراق سحر حضارة الشرق، كتاب مجلة دبي الثقافية، الإصدار 62، ط1، 2012. ص 14.
⁵ والشرق عندهم هو منظومة من المعارف تتطلب أدوات لفهمه، إن هذه النزعة العلمية والعلموية في بعض الأحيان، هي التي جعلت إدوارد سعيد يصف السياق الذي أنتجته قائلاً: 'ولد علم جديد قوي المعاينة الشرق اللغوي - وولدت معه، كما أظهر فوكو في نظام الأشياء - شبكة كاملة من الاهتمامات العلمية المرتبطة به. وبطريقة مماثلة، فقد استبنى وليم بيكفورد، وبايرن وغوته، وهوغو... الشرق عن طريق فنهم وجعلوا ألوانه، وأضواءه، ومكانه مرتين عبر صورهم، وإبقاعاتهم ومتخيلاتهم المعنوية)، إدوارد سعيد، الاستشراق، ص55.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

أما بخصوص الترجمة كما تطورت اليوم، فلن نتطور إلا مع نشوء نظرية الترجمة وارتباطها باللسانيات الحديثة، وأواخر الخمسينيات من القرن 20، حيث ستبدأ الترجمة بين اللغات بمرجعيات لغوية صرفة، وتبارت في هذا الإطار أربعة توجهات:⁶

- الاتجاه الأمريكي: الذي ترعّمه أوجين نيدا، عن الجمعية الأمريكية للكتاب المقدس.
- الاتجاه الكندي: قاده الباحثان فيناي ودرابلني، ودرسا الازدواج اللغوي في كندا.
- الاتجاه السلافي: بزعامة السوفييتي فيدوروف الذي ربط الترجمة بالفلولوجيا.
- الاتجاه الفرنسي: وارتبط بجورج مونان، الذي ربط بحق بين الترجمة واللسانيات في أعماله.

وإذا كانت الترجمة فعلاً لسانياً بامتياز، يتم بتحويل النص من النسق اللغوي الأول إلى النسق اللغوي المقابل له⁷، فإن الاستشراق قد أسس عمله منذ البدء على هذا التوجه، و إن ظهر في لبوس تيار فكري اشتهر أكثر في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، التي شملت حضارته أو أديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته.⁸ أما المستشرقون فعالباً ما يقصد بهم الكتاب الغربيون⁹ الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية كما يرى ذلك مالك بن نبي.¹⁰

وعلى المستوى التاريخي، الراجع أن حركة الاستشراق انطلقت مع بداية التبشير الديني المسيحي من أوروبا. عندما ظهرت أولى ترجمات القرآن الكريم سنة 1143م التي قام بها الأب

⁶ حسن بحراوي، الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة، الجهود والمكاسب، مقال منشور في مجلة عالم الفكر، ع 4، مج 43، 2015 من الصفحة 257 الى 290.

⁷ عبد الرحمان التمار، سؤال الترجمة، من نقطة التحويل إلى دائرة المتأقفة، مجلة فكر ونقد، ع86، ملف العدد: الترجمة، فبراير 2007، الصفحات من 45 الى 60.

⁸ الأمين، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997م، ص16.

⁹ اهتمام المستشرقين الفرنسيين بعربية القرآن كان منذ وقت مبكر ولازال، وقد لفتوا جميعهم الانتباه إلى مميزات عربية القرآن، ومن أهم هؤلاء نذكر (جاك بيرك، القرآن وعلم القراءة، ترجمة منذر عياشي، ط1، دار التنوير، بيروت1996). وقد سار في الاتجاه نفسه: (لويس ماسينيون، ريجيس بلاشير، روجيه ارنالديز، مكسيمودنسون، كلود كاهين، شارل بيللا، هنري لاوست، لويس غارديه، هنري كوربان...) وغيرهم كثير.

¹⁰ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1388هـ - 1969م، ص5.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

بطرس المجل، ودون أن نغفل الحروب الصليبية¹¹ التي شكلت نقطة تحول تاريخي في علاقة الشرق بالغرب في القرن 11 إلى القرن 14،¹² فإن الجانب الثقافي للاستشراق بدا واضحاً من خلال ظهور أول كرسي للاستشراق بجامعة أوكسفورد هو رئيس الأساقفة لود وكان ذلك عام 1636م. ولاحقاً اهتم العديد من المحافل الفكرية بالدراسات الشرقية، منها جامعة بولونيا في إيطاليا وكذلك جامعة أوكسفورد التي تدرس معظم اللغات الشرقية، وكذلك جامعة صلمنكة في إسبانيا 1277م وكذلك جامعة فيينا وجامعة ليدن في هولندا 1575م، وفي ألمانيا في جامعات هيدلبرج وكولن وفورزبورخ¹³.

¹¹ الحروب الصليبية حروب طويلة شنها المسيحيون اللاتين في أوروبا على المسلمين في شرق و جنوب البحر المتوسط بين القرنين 11 و 14 باسم المسيح والمسيحية بتحريض من باباوات الكنيسة الكاثوليكية، على شكل حملات عسكرية (صليبية) Crusades، كان هدفها أخذ المقدسات المسيحية وأراضي جنوب البحر المتوسط باعتبارها إرثاً شخصياً لكنيستهم من المسيح ومن الرومان، وتأمين طرق الحجاج القادمين من أوروبا، وإقامة مملكة بيت المقدس (مملكة أورشليم).

¹² للاستزادة حول الحروب الصليبية انظر:

- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982.
- ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة 2005.
- أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، مصادر تأريخ مصر الإسلامية، المعهد الألماني للآثار الإسلامية، القاهرة 1971.

¹³ المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية: الاستشراق، القرآن، الهوية والقيم الدينية، تونس، الدار المتوسطية للنشر، 2010

قسم مبروك المنصوري الاستشراق إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

1. الاستشراق الاستعماري (Colonial Orientalism): ويشمل كل ما أنتج من بداية تشكل هذا التوجه مع الحركة الرومانسية الغربية إلى حوالي 1960.
2. الاستشراق ما بعد الاستعماري (Post Colonial Orientalism): وهو التوجه الذي تشكل في المرحلة ما بعد الاستعمارية. ويرتكز أساساً على الجانب الثقافي واللغوي وقد تلبس لبوساً جديداً.
3. الاستشراق الجديد (New Orientalism): وهو التيار الذي تشكل في بداية هذا القرن. وقد دشنه كريستوف لكسنبرغ بكتابه "القراءة السريانية الأرامية للقرآن".

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

في هذا الجو، تقوى الاستشراق بعد ترجمة القرآن الكريم لمعظم اللغات الأوروبية، وبعده تُرجم التراث العربي الفلسفي والأدبي والعلمي، وهذا ما جعل الاستشراق حركة فكرية مثار نقاش فكري عنيف.¹⁴ إلا أن المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بيرك يُقر بأن محاولته ترجمة معاني القرآن الكريم "ليست غير محاولة لتفسير معاني القرآن الكريم؛ لأن الترجمة الحقيقية للنص القرآني مستحيلة، فألفاظ وعبارات القرآن الكريم لها مدلولات ومؤشرات عميقة، ولا تستطيع اللغة المقابلة أن تنقلها بكل ما تحتويه من معان ظاهرة وخافية".¹⁵ ولعل النتيجة السلبية لكثرة الترجمات الاستشراقية في اللغات الأوروبية للقرآن الكريم، أن الدراسات القرآنية عند جُلّ المستشرقين، اعتمدت في مجملها على الترجمات، ولم تعتمد على النص العربي للقرآن الكريم¹⁶، وقد يكون هذا في اعتقادنا سبب نشوء أزمت سوء الفهم بين العرب والغرب، وما أنتجه من ظواهر الإسلاموفوبيا وكراهية الآخر... وهي الأزمات التي ما زالت قائمة إلى اليوم في عالمنا، برغم ما وصلت إليه البشرية من تقدم علمي وتكنولوجي، ومنه ما حدث خلال شهر أكتوبر 2020 في فرنسا من خطاب عدواني ضد الجاليات العربية، التي تتهم بالراдикаلية والتشدد، لمجرد أن هذه الجالية الكبيرة، تحاول التثبت بلغتها العربية ودينها.

ولعل هذا مجال بحث هام -قد نقوم به مستقبلاً- يخص تاريخ الترجمات، التي قام بها الرهبان، ثم الرهبان المستشرقون، ثم المستشرقون من غير الرهبان، وهي في أغلبها ترجمات لمعاني القرآن الكريم من قبل غير أهله، اتَّسمت بالنظرة السلبية تجاه الوحي، وتجاه من نزل عليه الوحي، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

¹⁴ وكما عادة الدول التوسعية وجدت فيها بعض الحكومات الأوروبية مخلصاً لها في تحقيق أهداف سياسية عليها تخدم مطامع توسعية اقتصادية استعمارية. فاستغلت بعض الدول حالة الاستشراق كلبوس للحملات التبشيرية التي وجهت لها الكنيسة الأوروبية بأكثر من مرحلة تاريخية.

¹⁵ انظر: مصطفى عبد الغني. ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير - الاجتهاد - ع 49 شتاء 1421هـ، 2001، من ص 115 إلى 137.

¹⁶ محمد خليفة: حسن دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ص 45.

1. الخطاب الاستشراقي تجاه اللغة العربية:

مضت عدة عقود على بروز الخطاب التفكيكي¹⁷ لنظرة الغرب الثقافية لما يدعى الآن (الشرق الأوسط). وبوصفنا باحثين في حقل اللسانيات نرى باستغراب شديد عدم تأثر علم اللسانيات عامة، وعلم لسانيات اللغة العربية خاصة، في الغرب، بنظرية نقد الاستشراق. فتتم أبحاث اللغة العربية، كأن شيئاً لم يكن، وكأن إدوارد سعيد لم يكن أبداً.

في البدء نتعرض باختصار شديد لعلم اللسانيات الغربي الحديث، ثم عن التطور التاريخي لعلم لسانيات اللغة العربية، وعلاقة كل ذلك بالاستشراق. فعلم اللسانيات الغربي¹⁸، مثل باقي العلوم الاجتماعية والإنسانية، مر بتجربة النقد الذاتي على الأقل منذ ثمانينيات القرن 20. أسئلة كثيرة سئلت وما زالت مطروحة، عن ماهية اللغة، إمكانيات حصرها نظرياً؟ وكيفية ذلك وكيف نصف قواعد لغة معينة؟ وهل يمكن دراسة اللغة بمعزل عن محيطها... كل هذه الأسئلة أدت إلى التراجع نوعاً ما عن ادعاءات تشومسكي وسوسير من قبله بأن اللغة هي منظومة مستقلة، نستطيع التعامل معها بدون الالتفات إلى فضاءها الاجتماعي.

¹⁷ مجال اشتغال التفكيك هو الخطابات اللغوية، اشتغال يهدف إلى فك الارتباط. وحتى تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها، أي إنكار قدرة اللغة على أن تحيلنا إلى أي شيء أو أي ظاهرة إحالة موثوق بها. عناني محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم عربي انجليزي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط 3، القاهرة 2003، ص 131.

التفكيكية سلطة العقل وإرادة الاختلاف، دار الحصاد دمشق ودار الكلمة، ط 1، دمشق، 2000، ص 45- عبد الله عادل.
¹⁸ وشهدت نهاية العشرينيات من القرن العشرين مجموعة من الأحداث العلمية والفكرية التي اعتبرت بمثابة بداية عهد جديد لما أصبح يعرف باللسانيات الوصفية أو البنائية وهي¹⁸:

- صدور محاضرات سوسور في اللسانيات العامة سنة 1916.
- مؤتمر لاهاي La Haye سنة 1928 الذي سبقت الإشارة إليه.
- نشر العدد الأول من مجلة دائرة براك التي تحمل عنوان أعمال دائرة حلقة براغ Les travaux du cercle linguistique de Prague.
- تأسيس الجمعية الأمريكية لللسانيات Société américaine de linguistique سنة 1924.
- صدور مجلة اللغة Language الذائعة الصيت سنة 1929 بالولايات الأمريكية ولسان حال الجمعية الأمريكية لللسانيات.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

وبناء عليه، فقد درست اللغة العربية تاريخياً¹⁹ من خلال أربعة خطابات مستقلة، ولكن متأثرة بعضها ببعض.

أ. الخطاب اللساني ذو الصبغة الدينية:

هو خطاب موروث، عن قرون مضت، حين كان علم اللسانيات العربي الإسلامي في العصور الوسطى متقدماً²⁰، فقد برع علماء العربية (ومنهم فرس وغيرهم) في كافة فروع علم اللسانيات المعروفة لدينا اليوم.

زيادة على ذلك كانت هناك حاجة عملية وليس فقط نظرية لفهم اللغة العربية وهي الحاجة الدينية ولذلك نرى أن علم اللسانيات ارتبط تطوره بالعلوم الدينية إلى حد بعيد منذ البداية. ولعل النحو العربي مبني بوجه عام على تفسير النص القرآني خاصة في جانب الإعراب، وما يزال يطرح اليوم إشكالات في تعليم اللغة العربية (وقد طرح منذ مدة سؤال: هل من الممكن الاستغناء عن الشكل والإعراب في إحدى البلدان العربية؟ فقامت زوبعة كبيرة انتهت دون نتائج تذكر). إن هذا التصور للنحو مازال يدرس في الجامعات والمدارس العربية بنفس الطريقة الموروثة وباعتماد الحفظ.

ب. الخطاب الأوربي الاستشراقي:

الخطاب الثاني بالنسبة لما كتب في علم لسانيات اللغة العربية هو الخطاب الأوربي الاستشراقي، وكانت هذه المرحلة بداية فصل دراسة اللغة العربية عن دراسة علوم الدين في العالم العربي.

¹⁹ المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، للدكتور إسماعيل عمارة (دار حزين . عمان . ط2 . 1992).

²⁰ سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار النشر: دار الجيل . بيروت، عدد الأجزاء 5، الناشر: مكتبة الخانجي -

القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988

- انظر أمثلة للنحاة العرب الكبار لدى: محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق 1976. ولعل كتاب نظرة تاريخية في حركة التأليف عن العرب، لأحمد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية، يلخص بجلاء التراكم الفكري واللغوي الهائل منذ القرن الثالث الهجري.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

في هذا الخطاب نجد أن اللغة العربية صنفت كلغة سامية وأن الشعب العربي صنف كشعب سامي، أي إن مقولة سامي وسامية اخترعتا في مختبر الفيلولوجيا الأوربي حسب تعبير إدوارد سعيد، حيث أعطيت صفات حضارية لهذه التصنيفات²¹. كما تم الاهتمام باللهجات المحلية، وتم إعداد كتب كثيرة في هذا الإطار، منها معجم

JOSEPH LERCHUNDI ARABIC –VILHGUR OF MOROCCO لمؤلفه

الذي بتأملنا له، نلاحظ الاهتمام الكبير بتفاصيل اللهجة المغربية من طرف البعثات الإنكليزية.²² مثل نطق الألف لا في الدارجة: جَبْتُ لِإبرة I have brought the needle

إن أوائل الاستشراقين على الأقل أتقنوا اللغة العربية، بعكس الأجيال اللاحقة -حسب إدوارد سعيد- التي اكتفت بالنقل. ومن أمثلة المستشرقين اللذين ضبطوا العربية من خلال علم اللسانيات المقارنة: (إسرائيل وولفسون)²³ الذي دعي لتدريس اللغات السامية بجامعة القاهرة عند افتتاحها في أوائل القرن 20م.

ج. الخطاب الثالث هو الخطاب المتأثر بنهج تشومسكي:

أصبحت اللغة في هذا الخطاب تدرس باعتبارها قدرة متعلقة بالتفكير والعقل. إن النحو التوليدي من خلال اهتمامه ووقفه عند حدود الجملة كمستوى أخير للتحليل اللساني، إنما ينطلق من كون دراسة الجملة هي الخطوة الأساسية لكل تحليل قد يتناول مستقبلاً مستوى ما بعد الجملة. فبقدر ما نكون متوفرين على نظرية واضحة بشأن الملكة اللغوية، بقدر ما سيكون

²¹ دارت هذه الانتقادات جميعاً على فكرة واحدة بينها سعيد في «الاستشراق» وأعاد تأكيدها في «الثقافة والإمبريالية». إن الثقافة الاستشراقية الإمبريالية -بأدواتها المتنوعة كالأدب- وما انبنى عليها من رؤى وآراء كانت عبر القرنين التاسع عشر والعشرين تسلطت على الثقافات المحلية وأقصتها مستخدمة أساليب مختلفة كالتعليم ووسائل الإعلام، وشكلت البنية التحتية والأساس المبتني للسيطرة الإمبراطورية الاستعمارية وأهمها البريطانية والفرنسية.

²² ARABIC, VILHGUR OF MOROCCO JOSEPH LERCHUNDI, Tangier, Spanish catholic mission press 1900.

²³ إسرائيل وولفسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، 1929م

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

بإمكاننا العمل على إيجاد نماذج للإنجاز مقابل القدرة تبين الكيفية التي توظف بها هذه المعرفة.²⁴

هذه النظريات همشت إلى أقصى الحدود التأثير الاجتماعي في تطور اللغة، وإلى حد بعيد كادت تنسى الإنجازات الأنثروبولوجية في علم اللغة، خاصة في الولايات المتحدة حيث كانت الانطلاقة الأولى للبحث اللساني، أنثروبولوجية محضة في أبحاث إدوارد سابير وأمثاله. ومهما قيل عن الإطار المعرفي والإيديولوجي الذي أفرز عقلانية شومسكي، فمن المؤكد أن هذه العقلانية تأخذ منطلقها من إطار علاقة اللغة بالفكر بكل ما تحتويه هذه العلاقة الشائكة والمعقدة من إشكالات أساسية وفرعية، مثل انفراد الإنسان باللغة، ومظاهر الإبداع عند المتكلم والاكتماس اللغوي والتعلم وما إلى ذلك من إشكالات لم يسبق طرحها بهذه الكيفية الشمولية والعميقة قبل ظهور النحو التوليدي.²⁵

هذا الخطاب التفكير العفلي الغربي لم يقدم الكثير لخدمة اللغة العربية، ليس عن سوء نية، إنما لأن الخطاب عامة قَصَرَ في ميزات اللغات الخاصة لمصلحة نظرية يراد من تطويرها إيجاد نظرية شمولية عن كيفية عمل العقل الإنساني.²⁶

د. الخطاب الرابع هو الخطاب الأنثروبولوجي الأمريكي:

بدأ منذ مطلع القرن 20 بأبحاث لغوية مستقلة نوعاً ما عن الفيلولوجيا الأوروبية، هذا الخطاب بارز في أبحاث كليفورد غيرتس،²⁷ عميد الأنثروبولوجيا²⁸ الأمريكية في منتصف القرن

²⁴ نوام تشومسكي: اللغة والمعرفة الواعية، ص 64 دراسات أدبية ولسانية، عدد 4/ 1986

²⁵ J.C.Milner: Introduction à une science du langage 1989, Paris, Seuil, p. 16

- وميلنر هو مترجم كتاب شومسكي 1965 Aspects de la théorie syntaxique من الإنجليزية إلى الفرنسية.

²⁶ Rouveret: la nouvelle syntaxe (traduction de Chomsky 1982, Seuil, Paris 1987

- انظر كذلك: شومسكي المعرفة اللغوية، ص 55، (الترجمة العربية لشومسكي 1986 / Knowledge of language) بترجمة

محمد فتنيح دار الفكر القاهرة / 1996.

²⁷ Geertz, C., Observer l'islam. Changements religieux au Maroc et en Indonésie, Paris, Ed. la Découverte, 1992

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الماضي، مع أنه لم يول البحث اللغوي اهتماماً كبيراً، إلا أنه رفض²⁹ النهج العلمي الاستشراقي. وتتدرج في هذا التوجه بعض أبحاث الأنثروبولوجية مارغريت ميد وغيرها.

إن هذا الخطاب اللغوي الأنثروبولوجي الأمريكي لم يوفق لسببين، أولاً طغيان النهج التشمسكي على أبحاث اللغة عامة (اللغة العربية تأثرت من ذلك ككل اللغات)، وثانياً بسبب ارتباط دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة ارتباطاً وثيقاً بسياسة أمريكا الخارجية بالمنطقة منذ الحرب الباردة وما تلاها من أحداث عالمية مثل احتلال العراق وأحداث 11 سبتمبر، الحدث الذي سيعيد إلى الواجهة منطق الصراع إلى الدراسات الاستشراقية بدل الحوار.

2. مصادر اهتمام الاستشراق بالترجمة من وإلى اللغة العربية:

انطلاقاً من التصورات السابقة للاستشراق في علاقته باللغة العربية، نصل إلى نقطة جوهرية في هذا المقال وهي أهداف الاستشراق من هذا الاهتمام باللغة العربية، ونقف عند نوعين من الأهداف، الأولى خاصة تتعلق باهتمام المستشرقين بالدراسات اللغوية العربية، والثانية عامة تتعلق باهتمامهم باللغة العربية بشكل عام.

بالنسبة للأهداف الخاصة بالدراسات اللغوية العربية، فمنها كون الدرس اللغوي عند العرب حلقة وصل بين النظام اليوناني في الغرب، والنظام الهندي في الشرق، وبذلك فضبط أصول العربية والبحث عنها وكشفها يؤدي إلى بيان العلاقة بين هذه المدارس المختلفة، أضف إلى هذا

عودة الاهتمام الديني لدى المستشرقين الأمريكيين تبقى طاغية يقول Geertz: "يعبر الدين عن نفسه أولاً بواسطة الرموز، ويحدث أن لا يعود لهذه الرموز تأثير يذكر على الواقع. ففقدت هذه الرموز على التفسير لم تعد عملية وإجرائية، ← إذ يحدث طلاق بين الواقع والرموز الدينية التي لم تعد لها سلطة حتى وإن ظلت تتمتع بسمعة ما".

Observer l'islam, Voir chapitre 3, pp. 76-77 notamment .

²⁸ الأنثروبولوجيا اللغوية هي دراسة متعددة التخصصات حول كيفية تأثير اللغة على الحياة الاجتماعية. فهي فرع من فروع

الأنثروبولوجيا (علم الإنسان). <http://linguisticanthropology.org/about/>

²⁹ ليفورد غريتر هو واحد من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين وأكثرهم تأثيراً خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين. وقد ولد سنة 1926.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

أهمية النحو العربي في تعلم اللغة³⁰، والقيمة الكبيرة للدراسات اللغوية العربية؛ لأنها جزء مهم في فهم منظومة العلوم الإسلامية وقد عدّها "فايس" Weiss³¹ ذات أهمية كبرى لمن أراد أن يقوّم الحضارة الإسلامية، بل ذهب هذا المستشرق إلى أبعد من ذلك، فنوّه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي بعامة، إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق³².

أما فيما يخص الأهداف العامة لاهتمام المستشرقين باللغة العربية، فتنبع من أن الغرب لاحظ مبكراً أن التحكم في المنطقة العربية والإسلامية لا يمكن بغير فهم حضارة الإسلام، والدين الذي هو حصنها ودعامتها، ومن مستلزمات ذلك دراسة لغة العدو (اللغة العربية)، لتكون مفتاحاً لفهمه والدخول إليه حضارياً والتحكم فيه ثقافياً، وهذا يفسر المراكز والمعاهد التي عنيت بجمع المخطوطات وأمهات الكتب وعقد الدراسات والبحوث في كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية، وفي مقدمة ذلك الدراسات المستفيضة في الجوانب اللغوية المختلفة.

أما اقتصادياً وسياسياً، فالعربية حسب وليام بدويل³³، هي لغة الدين الوحيدة وأهم لغة للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين³⁴. وحرى بالذكر أن الشركات التجارية الكبيرة كان لها دور في دعم المشروعات الاستشراقية؛ ومن أمثلة ذلك تأسيس شركة الهند الشرقية

³⁰ لذا قام بعض المستشرقين بترجمة بعض كتب النحو إلى لغاتهم، كما قام بعضهم بتحقيق هذه الكتب ونشرها.

³¹ Leopold Weiss:

– بدأ يقرأ العبرية ويتعلمها حتى برع فيها، ثم تعلم اللغة الآرامية والعربية، ودرس العهد القديم ونصوص التلمود وتفاصيله، وأحاط بالكتاب المقدس المعروف باسم تارجوم، حيث كانت أسرته تعدّه ليلحق بمن سبقوه من العائلة ويصير حاكماً بالنمسا هو الآخر.

³² المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (دار حزين . عمان . ط2 . 1992): 13.

³³ (1632 . 1561).

³⁴ المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (دار حزين . عمان . ط2 . 1992): 22.

الاستشراق، المعرفة. السلطة. الإنشاء، لإدوارد سعيد، نقله إلى العربية كمال أبو ديب (مؤسسة الأبحاث العربية . بيروت . ط2 . 1984).

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

البريطانية كلية 35 Haileybury ليدرس موظفوها لغات البلاد التي يتعاملون معها، وكانت العربية من بين هذه اللغات³⁶.

وظفت الدراسات الاستشراقية، اللغة العربية كذلك، بغرض بسط الهيمنة والاحتلال وتبرير الاستعمار (الجراند الناطقة بالعربية كجريدة السعادة في المغرب)³⁷، وكان المستشرق الفرنسي آرنست رينان (1892 م) من أبرز من عُنوا بتأصيل هذه الفكرة، ومما قاله في هذا أن الجنس السامي أقل شأنًا من الجنس الآري لأن عقليته تتسم بالبساطة التي هي أقرب إلى الضحالة والسذاجة في اللغة والصناعة والفن والمدنية، أما الجنس الآري فتتميز عقليته بأنها تميل إلى التعدد والانسجام والتركيب وقدرتها على وضع الفلسفات والمناهج والشعر الراقى.

إن مثل هذه الأعمال تعد مسوغاً لاحتلال البلدان، ومطالبتها بتقدير الجميل³⁸. ولعل التنصير ذو علاقة وثيقة بالاستشراق وتوابعه، فقد كان علماء الكنيسة المسيحية هم أول من اعتنى بدراسة اللغة العربية وتعلمها. فأول مؤسس لكرسي الاستشراق في جامعة أكسفورد هو رئيس الأساقفة واسمه "لود"، كان ذلك في سنة (1636). وكان من أهداف أول جالس على كرسي اللغة العربية

³⁵ هي مدرسة مستقلة تقع قرب هيرتفورد في هارنغورثشير، إنكلترا.

- شركة الهند الشرقية (East India Company) وأيضاً شركة الهند الشرقية المحترمة وكذلك سميت شركة جون، هي شركة تشكلت في البدء لمزاولة التجارة مع جزر الهند الشرقية، ولكن انتهى بها الأمر بالمناجزة مع شبه القارة الهندية والصين.

³⁶ عبد المتعال محمد الجبري، "الاستشراق وجه للاستعمار الفكري" مكتبة وهبة. القاهرة. ط 1. 1995، ص: 76، 77.

- في عام 1265 م كُتبت باللغة العربية المعاهدة التجارية التي أبرمت بين تونس وبيزا، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة انفردت إيطاليا في أعمالها عن بقية الصليبيين واهتمت بتحسين علاقاتها التجارية مع الشرق الإسلامي، فكانت البنديقية همزة الوصل بين الشرق والغرب، وتكلم أهلها العربية حتى سقوط القسطنطينية في قبضة محمد الثاني 1435م... وفي سنة 1797م تألفت حملة نابليون إلى مصر، وفيها بعثته العلمية التي كان قوامها المستشرقين والمترجمين الشاميين... (وعلماء أعلاماً) في كل فن من فنون الثقافة في ذلك العصر، ليتمكن اعتصار خيرات البلاد والسيطرة على كل شيء فيها.

³⁷ جريدة السعادة الذي ظهرت سنة 1904 وكان يديرها الصحافي اللبناني وديع كرم، ظلت الجريدة العربية الوحيدة التابعة للمصالح الفرنسية والتي تقدم إعلانات مكتوبة ومصورة.

انظر كتابي: منير بن رحال، صورة الطفل في الخطاب الإشهاري المغربي منشورات الزمن، ع 93، ص 93، 2018.

³⁸ عبد الحميد مذكور، نظرات في حركة الاستشراق، (دار الثقافة العربية . القاهرة . 1990 م) 11، 12.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

في كمبردج في السنة نفسها أن يعد مشروعاً لتفنيد (أي لإبطال) القرآن، كما كان من أهداف هذا الكرسي أيضاً تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في الظلمات.

يقول جيوم بوستل (ت 1581 م) أول من شغل كرسي اللغة العربية في "الكوليج دي فرانس" في باريس عن اللغة العربية "إنها تفيد بوصفها لغة عالمية في التعامل مع المغاربة والمصريين والفرس والأتراك والتتار والهنود، وتحتوي على أدب ثري، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس".³⁹

أما "يوهان فوك" فيقول في ترجمته لسيرة "كارل بروكلمان": "نشأت في نفس الصبي رغبة ملحة في أن يجوب العالم سواء كطبيب بحري، أو مترجم، أو مبشر. وكانت الترجمة الأولى للقرآن الكريم (1143 م) إلى اللاتينية، بتوجيه من بيتروس فينيرايليس رئيس دير كلوني في إسبانيا⁴⁰ كما أن الكاردينال "فريدريك دي مدسيس" وهو من الأسرة المالكة في إيطاليا أنشأ سنة 1536م مطبعة في فلورنسا وطبع فيها ثمانية عشر ألف نسخة من الإنجيل باللغة العربية، ونشر في مطبعته كذلك كتاب "قواعد العربية".⁴¹

فكل هؤلاء من خلال حرصهم الشديد على دراسة اللغة العربية وترجمتهم الإنجيل إليها وترجمة القرآن لللاتينية لم يكن هدفهم علمياً، بل كان هدفهم الرد على الإسلام وإثارة الشبهات والاختلافات في الأمور الدينية وتنصير المسلمين فيما بعد.

إن اللغة العربية ببقيائها حية وبأصلها السامي ساعدت على فك طلاسم نصوص العهدين القديم والجديد وفهماها؛ لأن لغتيهما (العبرية القديمة للعهد القديم والآرامية للعهد الجديد) قد ماتتا، وكما يرى ذلك يوهان فوك، فالمستشرقون وأغلبهم من اللاهوتيين: "لم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها

³⁹ نظرات في حركة الاستشراق 54، 55.

⁴⁰ السابق: 39

⁴¹ المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (دار حزين . عمان . ط2 . 1992): 81.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الأدبية أو للتعمق في تاريخ الإسلام أو لدرس تطور الأدب عند المسلمين، بل لاستعمالها وسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية".⁴²

في الأخير لا ننكر أن الاستشراق، من خلال اهتمامه باللغة العربية، كانت له أهداف علمية وثقافية خالصة، ففولتير يقول إنه لم يبدأ كتابة القصة إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة، والاستشراق الألماني من أكبر المستفيدين من حضارة الشرق ولغته، نجد سمات ذلك واضحة في كتاب "الديوان الغربي الشرقي" لجوته، و"في لغة الهند وحكمتها" لفردريك شليغل.⁴³

3. العربية والمستشرقون المنصفون:

ختاماً، كي نكون أقرب إلى الموضوعية في هذا البحث الاستكشافي لرؤى بخصوص اللغة العربية، من الموضوعية ذكر عدد كبير من أسماء المستشرقين المنصفين للعربية وحضارتها، وفي هذا يقول أرنست رينان: "... من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها...".⁴⁴

ويؤيده في رأيه جورج سارنوت، حيث يرى أن "لغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته...".⁴⁵ أما فضل القرآن على العربية فيقول فيه بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا".⁴⁶

⁴² السابق: 30.

⁴³ الاستشراق لإدوارد سعيد 52، 53 والمستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية 32 . 34

⁴⁴ اللغة العربية بين حمايتها وخصومها، أنور الجندى، (ط. مطبعة الرسالة، بيروت) ص 25.

⁴⁵ لغة القرآن الكريم د. عبد الجليل عبد الرحيم، (ط. مكتبة الرسالة الحديثة، عمان: 1981م) ص 585.

⁴⁶ كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي، طبعة 1، دار المعارف عام 1418.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

أما في ألمانيا فتركز دَوْر الاستشراق في جمع المخطوطات ونشرها وفهرستها. مع اهتمام خاص بالجانب الفيلولوجي والصرفي والأدبي، مع حرص خاص على جمع معاجم اللغة العربية، وانشغل الألمان أيضاً بالنص القرآني دون باقي المستشرقين. حيث يذكر عبد الرحمن بدوي أن أقدم ترجمة ألمانية عن النص العربي للقرآن مباشرة، هي ترجمة دافيد فريدرشميجرلن، الأستاذ في جامعة فرنكفورت، وقد ظهرت سنة 1772.⁴⁷

كل هذا فضلاً على ما تُرجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من العلوم. وفيما يلي نماذج من هذه الترجمات:

- ترجمة مقامات الحريري إلى الفرنسية للمستشرق سلفستر دي ساسي، المطبوع في باريس 1812م؛ كما قام أيضاً بجمع جملة من المنتخبات العربية في كتاب سماه الأنيس المفيد للطلاب المستفيد، وترجمه إلى الفرنسية؛
- ترجمة السلوك لمعرفة دول الملوك (للمقريزي) للمستشرق الفرنسي إتيان كترمير، المطبوع في باريس 1845م؛
- ترجمة رحلة ابن بطوطة إلى الإنكليزية، للمستشرق الإنكليزي هاميلتون جب، المطبوع في لندن 1958م؛
- ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة إلى الألمانية، للمستشرق إينو ليتمن، المطبوع في برلين 1928م.

⁴⁷ موسوعة المستشرقين: د. أحمد بدوي - ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1989.

إضافة لهذا الأخير تميز في دراسة العربية وثقافتها، من الألمان كل من برجنتراسر (1886 - 1933)، إنو ليتمان (1875 - 1958) - جوزيف شاخت (1902 - 1969). وفي أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن العشرين كان من الوافدين اليهود على القاهرة الفارين من النازية الألمانية بول كراوس (1904 - 1944) وماكس مايرهوف (1874 - 1945)، ← واهتما بالفلسفة والعلوم الإسلامية. وعُين إلى جانب هؤلاء في مجمعي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق: كل من هارتمان Har (1851 - 1918) وأوجست فيشر (1865 - 1949) وكارل بروكلمان (1868 - 1956) وهلموت ريتتر (1892 - 1971) ... وقد تولى المستشرق الألماني فيلهيلم شبتا (1853 - 1883) سنة 1875 إدارة دار الكتب المصرية، وفهرس مخطوطاتها في نحو أربعين صفحة.

خلاصة

لما سبق فالدراسات التي تناولت اللغة العربية قديماً وحديثاً، سواء منها العربية أو الاستشراقية، ركزت على ارتباطها بالقرآن الكريم، واليوم يشهد العالم إقبالاً متجدداً على دراسة اللغة العربية، خصوصاً بسبب أهمية المنطقة العربية وغناها بالموارد الطبيعية (البترول والغاز والفوسفات...)، إلا أن الهاجس الديني والأمني هو ما يفسر بعمق أكثر هذا الاهتمام خاصة في أمريكا، التي تركز سياستها الخارجية في المنطقة العربية (شمال أفريقيا والشرق الأوسط)، التي تعتبر منطقة نفوذ لا غنى عنها في الحملات الانتخابية الأمريكية.

ولتجاوز كل هذا الإرث الاستشراقي الثقيل، نشير إلى أن الدول العربية (ممثلة في جامعاتها ومعاهدها ومجامعها اللغوية)، من واجباتها الحيوية القيام بمجموعة من الإجراءات العاجلة بخصوص اللغة العربية، ومنها:

1. تشجيع ترجمة كل المعارف الجديدة في مجالات المعرفة المختلفة.
2. تبسيط اللغة العربية للناطقين بها (نحواً grammar وصرفاً conjugation وصواتةً phonology وتركيباً syntax...).
3. تطوير كتب اللغة العربية التعليمية لتسهيل عملية تعليم اللغة العربية على الناطقين بغيرها.
4. تشجيع البحث العلمي المتخصص باللغة العربية.
5. توجيه الدرس اللساني العربي للقيام بأبحاث دقيقة وهامة تخص اللغة العربية (كالترجمة الإلكترونية، وإعداد المعاجم المعاصرة...).

لقد حان الوقت، لاستغلال الثورة التكنولوجية لخدمة اللغة العربية، بوعي تام بالماضي واستشعار لأهمية لغتنا وثقافتنا وسط لغات وثقافات العالم.

مراجع الدراسة

1. أمجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1956.
2. أحمد بدوي، موسوعة المستشرقين: د. - ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1989.
3. أنور الجندي، اللغة العربية بين حمايتها وخصومها، (ط. مطبعة الرسالة، بيروت).
4. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982.
5. ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة 2005.
6. إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط7 2005م ص48.
7. إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (دار حزين. عمان. ط2. 1992).
8. إسماعيل عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، (دار حزين. عمان. ط2. 1992).
9. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، 1929م.
10. إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة. السلطة. الإنشاء، نقله إلى العربية كمال أبو ديب (مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت. ط2. 1984).
11. إيناس حسني، الاستشراق سحر حضارة الشرق، كتاب مجلة دبي الثقافية، الإصدار 62، ط1، 2012.
12. الأمين، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997م، ص16.
13. جاك بيرك، القرآن وعلم القراءة، ترجمة منذر عياشي، ط1، دار التنوير، بيروت 1996).

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

14. عبد الله عادل، التفكيكية سلطة العقل وإرادة الاختلاف، دار الحصاد دمشق ودار الكلمة، ط1، دمشق، 2000.
15. عناني محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم عربي انجليزي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط3، القاهرة 2003.
16. عبد المتعال محمد الجبري، "الاستشراق وجه للاستعمار الفكري" (مكتبة وهبة. القاهرة. ط1. 1995).
17. عبد الحميد مدكور، نظرات في حركة الاستشراق، (دار الثقافة العربية. القاهرة. 1990 م).
18. كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي، طبعة 1، دار المعارف عام 1418.
19. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1388هـ - 1969م.
20. المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية: الاستشراق، القرآن، الهوية والقيم الدينية، تونس، الدار المتوسطة للنشر، 2010.
21. منير بن رحال، صورة الطفل في الخطاب الإشعاري المغربي منشورات الزمن، ع 93، 2018.
22. مصطفى عبد الغني، ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير. - الاجتهاد. - ع49 (1421هـ).
23. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، كتاب إلكتروني منشور على موقع: <https://islamhouse.com/ar/books/450170>.
24. محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق 1976.
25. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار النشر: دار الجيل. بيروت، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة الثالثة، 1408هـ-1988.
26. شومسكي، اللغة والمعرفة الواعية، ص64 دراسات أدبية ولسانية، عدد4 /1986.
27. شومسكي، المعرفة اللغوية، ترجمة محمد فتحي دار الفكر القاهرة /1996.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

28. عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، (ط. مكتبة الرسالة الحديثة، عمان: 1981م).

مراجع أجنبية

29. Geertz, C., Observer l'islam. Changements religieux au Maroc et en Indonésie, Paris, Ed. la Découverte, 1992.
30. Dehérain (H.), Sylvestre de Sacy, ses contemporains et ses disciples, paris, Paul geuthner 1938, p111.
31. JOSEPH LERCHUNDI, ARABIC, VILGUR OF MOROCCO, Tangier, Spanish catholic mission press 1900.
32. J. C. Milner, Aspects de la théorie syntaxique 1965.
33. J. C. Milner, Introduction à une science du langage, p16 Seuil, Paris1989.
34. Rouveret , la nouvelle syntaxe (traduction de Chomsky 1982, Seuil, Paris 1987.

مجالات

35. عبد الرحمان التمار، سؤال الترجمة، من نقطة التحويل إلى دائرة المثاقفة، مجلة فكر ونقد، ع86، ملف العدد: الترجمة، فبراير 2007، الصفحات من 45 إلى 60.
36. حسن بحراوي، الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة، الجهود والمكاسب، مقال منشور في مجلة عالم الفكر، ع4، مج43، 2015 من الصفحة 257 إلى 290.

مواقع الكترونية

<http://linguisticanthropology.org>

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

التعريب والمشارك اللفظي

د. رفعت هزيم

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

الجمهورية العربية السورية

المشارك اللفظي هو "ما اتفق لفظه واختلف معناه"¹؛ أي أن يدلّ اللفظ الواحد على معنيين -غير متضادين- أو أكثر، وهذه الظاهرة اللغوية معروفة في شتى اللغات وتُسمى homonym في الإنكليزية والألمانية و (homonyme في الفرنسية)².

وقد بين اللغويون القدامى أهمّ الأسباب لنشأته في العربية، وأولها: الاستعمال المجازي، كدلالة "العين" -وهي عضو الإبصار- على "ينبوع الماء" و"الجاسوس" و"السيد"...، وثانيها: اختلاف اللهجات، ف "الهجرس" مثلاً هو "الثعلب" عند تميم و"القرد" في الحجاز، وثالثها: التطوّر الصوتي الذي يحدث في أحد الألفاظ فيجعله بذلك مطابقاً لفظاً آخر، نحو "مَرَدَ على الشرّ أي عتا وطغى... ومَرَدَ الخبرَ والتمرّ في الماء إذا لَيَّنه"³، فأصل اللفظ بالمعنى الثاني هو "مَرَث"، وقد أبدل صوت التاء هنا تاء فصارت الكلمة "مَرَتَ" ثم جهرت التاء لمجاورتها للراء فصارت مَرَدَ، وبذلك ماثلت كلمة مَرَدَ بالمعنى الأول. وثمة ضرب آخر من المشارك اللفظي ينشأ من مطابقة لفظٍ دخيلٍ للفظٍ عربيّ، وقد أوضحه الشهاب الخفاجي بقوله: "لا يضِرّ المعرّب كونه موافقاً للفظٍ عربيّ"⁴، ومن أمثلته: "السُّكْرُ: نقيض الصُّحو...،

¹ عنوان مجموعة من الكتب في هذا الباب لأبي العميتل الأعرابي (ت 240 هـ) والمبرد (ت 286 هـ) وكراع النمل (ت 310 هـ)

وابن الشجري (ت 542 هـ) وسواهم.

² انظر أمثلة له ولشبيهه الـ polysemy في الإنكليزية في: علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص 162-176.

³ لسان العرب: مرد.

⁴ شفاء الغليل للخفاجي ص8.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

و: سُدَّ الشَّقَّ"، فالأوّل عربيّ والثاني معرّب من السريانيّة، و"السُّور: حائطُ المدينة؛ وهو عربيّ، و: الضّيّافَة؛ وهو فارسيّ⁵. ويُسمّى عبد القادر المغربي ألفاظ هذا الضرب "أبناء عِلَاتٍ"؛ ويشرح المُراد بقوله: "كما يكون في العائلات البشرية بنو عِلَاتٍ أي أولاد لأبٍ واحد وُلدوا من أمّهات شتى كذلك في العربية أبناء عِلَاتٍ أو مشتقات عِلَاتٍ...؛ فيكون الأصلُ عربياً أو أعجمياً وتتدمج الألفاظ المشتقة منهما في أسرة لغوية واحدة متّحدة الأب مختلفة الأمّ"، ويورد المغربي أمثلةً لذلك، ومنها: المرج فهو "القلق والاضطراب" في العربيّة و"الأرض المُعْشَاب" في الفارسيّة، و: العسكر فهو "ظلمة الليل" في العربيّة و"الجيش" في الفارسية، و: البزور -بفتح الباء وكسرها- "الحَبّ" في العربيّة وجمعه "البزور" وهو "التَّابِل" في الفارسيّة وجمعه "الأبزار" أمّا "الأبازير" فهو جمع الجمع⁶.

وأودّ أن أستكمل في هذه المقالة ما سبق إليه الجواليقي في "المُعرّب" والخفاجي في "شفاء الغليل" والمغربي وآخرون، وأن أضيف إلى هذا الضرب من المشترك اللفظي الخاص بالألفاظ الدخيلة بعض ما وصلتُ إليه في كتابي "معجم الألفاظ الدخيلة في الفصحى المعاصرة" الذي جمع بين دفتيه تلك الألفاظ متتبّعاً أصولها في اللغات التي أخذت منها، ومبيّناً صيغها ودلالاتها في العربية، وقد قسمتها -في المعجم- قسمين اثنين، أحدهما للدخيل الحديث أي ما دخل العربية في هذا العصر، والآخر للدخيل القديم الذي عرفته العربية في العصور السابقة مستبعداً منه الممات والمهجور.

ورأيتُ أن تُجمع ألفاظ هذا الضرب في بحثٍ خاص لبيان سبب الاشتراك اللفظي بينها، كي يدرك المرءُ علّة نشوئه، ويعرف أنّ اللفظ الواحد الدالّ على معنيين متباعين هو في حقيقة الأمر لفظان لا رابط بينهما، فإمّا أن يكون أحدهما دخيلاً وافقَ -كما قال الشهاب الخفاجي- في رسمه

⁵ فصول في فقه العربية لعبد التّوّاب ص332، وفيه شرح واف لظاهرة الاشتراك اللفظي ص 324-336، وانظر أيضاً: علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص147-190.

⁶ في اللغة أبناء عِلَاتٍ للمغربي ص 253-267.

..... التعريب والمشتراك اللفظي

ونطقه لفظاً عربياً، وإِما أن يكون أحدهما مأخوذاً من لغة أجنبية، في حين أخذ الآخر من اللغة نفسها أو من لغةٍ أخرى فاتفقا في اللفظ واختلفا في المعنى، فلا يستغرب -بعد ذلك- أن يدلَّ "الأطلس" على ضربٍ من الحرير وعلى المُصوِّر الجغرافي، و"العنبر" على تلك المادّة العطريّة التي يَقتَرَن ذكرُها بالمِسْك وعلى مأوى المرضى والجنود، و"القَرشُ" على ذلك السّمك المفترس وعلى وحدةٍ من النقود....، وإليك بيان ثلاثين من تلك الألفاظ مرتّبة على حروف المعجم:

1. **الأطلس:** لفظ تطوّرت دلالاته على مرّ العصور، إذ كان يعني قديماً "الثوب الخَلَق...، يقال: رجل أطلس الثوب؛ قال ذو الرّمة:

مُقَرَّعٌ أطلسُ الأطمار ليس له إلا الضّراء وإلا صَيّدها نَشَبُ

وذئبٌ أطلس: في لونه غُبْرَةٌ إلى السّواد، وكلّ ما كان على لونه فهو أطلس... وفي الحديث: تأتي رجالاً طُلُساً أي مُغْبَرَةً الألوان؛ جمع أطلس⁷، ثم أصبح صفةً لضربٍ من الحرير، وانتقل بهذه الدلالة الجديدة بالصيغة نفسها إلى بعض اللغات الساميّة كالسريانية والحبشية، وبصيغة Atlas إلى الإنكليزية والألمانية والروسية وسواها⁸.

أما "الأطلس" بمعنى "المُصوِّر الجغرافي" فهو من اللفظ اليونانيّ Atlas المنسوب إلى نصف إله في الميثولوجيا الإغريقية، عُوقب بحمل الكرة السّماوية على كتفيه لأنّه شارك في الحرب ضد الإله زيوس Zeus، وقد رُسِمَ هذا الكائن الأسطوريّ كذلك على خريطة أعدّها الجغرافيّ Gerhardus Mercator (1512 - 1594م)⁹ فاكتسب لفظ Atlas هذه الدلالة. وأخذتْ جبالُ الأطلس اسمها منه لأنّ الإغريق كانوا يعتقدون أنّ السماء تستند إلى تلك الجبال، وإليها يُنسب المحيط الأطلسي Atlantic ocean.

⁷ اللسان: طلس.

⁸ Littmann, 94 و Lokotsch 131. وقيل إنّ العربية أخذته من السريانية: غرائب اللغة العربية لنخلة ص173، ولكن المرجعين المذكورين ومعهما Brockelmann, p.625 اتفقوا على أصالة اللفظ في العربية.

⁹ En Br.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

2. البلاط: "الحجارة المفروشة في الدّار وغيرها....، ويقال: دارٌ مُبْلَطةٌ بأجرٍ أو حجارة، ويقال: بَلَطْتُ الدّارَ فهي مبلوطة"¹⁰، وهو لفظ جاهلي، قال الأعشى:
يوازِي كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ بِلَاطٍ وَدَارَاتٍ وَكَلَسٍ وَخَنَدُقٍ

وكان في المدينة المنورة موضع بين مسجد الرسول (ص) والسوق يُسمّى "البلاط"¹¹ لأنه كان مفروشاً بها. ولم يشك أحد من المتقدّمين -فيما أعلم- في عربيّة هذا اللفظ، ومعظم المُحدّثين على هذا المذهب¹²، غير أنّ بعضهم يرى أنه مُعرَّب من Plateia في اليونانية¹³.

أمّا "البلاط" بمعنى "القصر الملكي" -وقد يُراد به اليوم حاشية الملك- فهو من Palatium في اللاتينية¹⁴، نسبة إلى قصرٍ على تلٍ بهذا الاسم في روما صار منذ عهد الإمبراطور أوغسطس (63 ق.م-14م) مقراً لأباطرة الرّومان. ويُسمّى أحد الوزراء في حكومة نظام الحكم الملكي اليوم -كالأردن- "وزير البلاط"، ونظيره "وزير شؤون رئاسة الجمهوريّة" في نظام الحكم الجمهوري. وبالرغم من إغفال معاجم المتقدّمين لهذه الدلالة فإنّ أبا بكر الزبيدي المتوفى سنة 379هـ ذكر في كتابه "لحن العوام" أنّ أهل الأندلس يُطلقون كلمة "البلاط" على البيت المحصن البناء، كما أنّنا نجدُها في بيتين نقلهما ابن منظور دون شرح¹⁵، أحدهما للشاعر الجاهليّ أبي دؤاد الأيادي:
ولقدْ كان ذا كتائبٍ خُضِرٍ وبِلاطٍ يُشَادُ بالآجرونِ

فمن الواضح أنّ الشاعر يتحدث عن رجلٍ ذي منزلةٍ رفيعة؛ ويدلّ على ذلك كتابته في الغزو وقصره الذي يُبنى بالآجر، والآخر قول القائل:
لولا رجاؤك ما زرنا البلاطَ ولا كان البلاطُ لنا أهلاً ولا وطناً

¹⁰ اللسان: بلط.

¹¹ الأغاني 17/101.

¹² Lokotsch 200 و: اللغة العربية كائن حيّ لزيدان ص 73.

¹³ Fraenkel, 28 و: نخلة ص255.

¹⁴ زيدان ص43 و: نخلة ص278.

¹⁵ اللسان: بلط.

التعريب والمشتراك اللفظي

فلا يمكن أن يكون المراد بالبلاط هنا سوى القصر .

3. **البَنْج**: "المُخَدَّر الطَّبِي"، واشتقوا منه فقالوا: بَنَجَ تَبْنِجاً: خَدَّرَ تخديراً طبياً: لم يذكره المتقدّمون بهذه الدلالة، واكتفى ابن منظور بالقول إنه "ضربٌ من النبات"¹⁶، وقيل إنه "تعريب بَنَك في الفارسية، وهو نبتٌ مُسَبِّتٌ مُذهَّبٌ للحسّ"¹⁷، ولكن الرأي الشائع أنه من أصلٍ هندي¹⁸.

أما "بَنْج" في لعبة الطاولة أو النرد- الدال على العدد 5- فهو من پنج- بالباء المثلثة- في الفارسية¹⁹.

4. **البُورِي**: نوع من الأسماك (وهو mullet في الإنكليزية) ذكره ابن بطوطة²⁰، ونقل الخفاجي عن ياقوت أنه "منسوب إلى قرية بساحل مصر قرب دمياط"²¹، والظاهر أنه من القبطية²². وثمة دلالتان أخريان للفظ "البُورِي" في العامية اليوم، فهو في مصر: النارجيلة النحاسية، وفي سورية: أنبوب من الصفيح يصل مدفاة المازوت بالمدخنة، أو من الإسمنت المسلح يستعمل لنقل مياه المطابخ والحمامات إلى مجرى الصرف الصحي. والظاهر أنَّ اللفظ بهاتين الدالتين من التركية²³.

5. **البُوظة**: هي "الآيس كريم Ice-cream أي المتلّجات" في بلاد الشام، وقيل إنه من لفظ "بُوز" من التركية -ويُنطق فيها بالزاي المفخمة أي كالطاء في العامية السورية- بمعنى "الجليد"²⁴، وقيل من الفارسية بوساطة التركية²⁵.

¹⁶ اللسان: بنج.

¹⁷ الألفاظ الفارسية المعرّبة لادي شير ص 27 و: نخلة ص 220.

¹⁸ المعجم الوسيط و: Littmann 86 + Lokotsch 213.

¹⁹ كلمات تركية في اللهجات العربية الحديثة لعبد الرحيم 882/1 و: الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة للكواكي 530/1.

²⁰ تحفة النظّار في غرائب الأمصار لابن بطوطة 48.

²¹ شفاء الغليل 46، وفي المعجم الوسيط أنَّ القرية كانت بمصر بين تنّيس ودمياط.

²² الدّخيل في اللغة العربية لحسنين 94/1.

²³ الأسدي 194/2.

²⁴ Lokotsch 334.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

أما في مصر فهي شرابٌ من دقيق الذرة والدُّخْن والسُّكَّر، وهو من التركيبة كذلك؛ غير أنه لفظ آخر صيغته فيها "بُوزا"²⁶. والظاهر أنه هو النبيذ الذي ذكره ابن بطوطة بصيغة "البوزة"²⁷.

6. الترمُس: لم يزد ابن منظور على القول إنه "شجرة لها حبٌّ مُضَلَّعٌ مُحَرَّرٌ"²⁸، والمعروف اليوم أن حبة المُرّ -الذي يُسمَّى Lupine في الإنكليزية والفرنسية والألمانية- يؤكل بعد نقه بالماء لتزول مرارته. والظاهر أنه مُعَرَّب من Tarmušu في الأكادية²⁹.

أما الترمُس/الترموس Thermos -وينطق بضمّ التاء والميم في بلاد الشام³⁰- فهو وعاءٌ زجاجيٌّ ذو جدارين ما بينهما مُفَرَّغُ الهواء، يحفظ درجة الحرارة لمحتوياته الباردة أو الساخنة. واللفظُ يونانيٌّ بمعنى "حارٌّ"، وقد جعله مُصنَّعو هذا الوعاء علامةً تجاريةً فصارت اسماً له³¹، والاسم الكامل لهذا الوعاء هو Thermos bottle, Th. flask, Th.jug، ولعلَّ ترجماته المتعددة في العربية: "الزرميّة" أو "الحافظة" أو "الكظيمة" أو "القارورة العازلة" انعكاس لتلك التسميات. واللفظ نفسه هو الجزء الأول من اللفظ المركَّب الشائع Thermometer "الترمومتر، أي مقياس الحرارة".

7. الجَوْهر: ذكر له المتقدمون دلالتين، "فجوهر الشيء أصله، فارسيٌّ معرَّب، وكذلك الذي يخرج من البحر وما يجري مجراه في النفاسة مثل الياقوت والزَّبرجد"³². وهو اليوم بهاتين الدلالتين، فجوهر الشيء: كنهه وماهيته وأصله (substance) أي ما يقابل "العَرَض" (accident)، والصفة

²⁵ الكواكبي 530/1.

²⁶ المُخَمَّ في أصول الكلمات العامية لأحمد عيسى ص 42.

²⁷ تحفة النظَّار ص 361.

²⁸ اللسان: ترمس.

²⁹ AHw 1331.

³⁰ ويكسر التاء في المعجم الوسيط وهو يوافق اللفظ الدخيل.

³¹ Webster.

³² المُعَرَّب للجواليقي 98، وانظر: ادي شير 46.

..... التعريب والمشتراك اللفظي

منه: جوهريّ، في حين أنّ الجوهرة هي الحجر الكريم، وتُجمع على: الجواهر، ويرادفها: المُجوهرات، وصانعها وبائعها: الجوهريّ والجواهريّ. وقيل إنّ اللفظ بدالاته الأولى عربيّ، فإذا صحّ ذلك فهذا يعني أنّها ناشئة في العربية عن دلالة اللفظ الدخيل على الأحجار الكريمة.

8. الخريطة: هي عند القدماء "هنةٌ مثل الكيس تكون من الخِرَق والأدم تُسَرَّج على مافيها، ومنه خرائط كُتِبَ السلطان وعُمّالُه"، والظاهر أنّ هذا اللفظ مشتق من فعل "خرط"؛ يقال: "خرطتُ العودَ: قشّرتُه، وخرطَ الشجرة: انتزعَ الورقَ واللحاءَ عنها اجتذاباً، وخرطتُ الورقَ: حنّتهُ...، وفي المثل: دونه خُرطُ القتاد"³³.

أما دلالاته الشائعة اليوم فلا أثر لها في كتب التراث، فهو لفظ آخر معرّب عن Carta geografica "المُصوّر الجغرافي" في الإيطالية³⁴، وأغلب الظنّ أنّ العربية أخذته عنها في العصر الحديث، وأنّ المعرّب اختار له ذلك اللفظ القديم المهجور بسبب التقارب الصوتي بين الكاف C والخاء؛ وبين التاء t والطاء. أما اللفظ الدخيل نفسه فهو من Chartes "ورقة النبات" في اليونانية³⁵.

9. الرّصد والرّصيد: "رصدَه بالخير وغيره يرصّده رصداً ورصدًا: يرقّبه،... ويقالُ للحية التي ترّصدُ المارّة على الطريق لتلتصق: رصيده،... وليث رصيد: يرصدُ لِيثب"³⁶.

فأمّا الرّصد فهو الأول من المقامات الموسيقية السبعة، وهو مُعرّب من "راست" = المستقيم، الموافق "في الفارسية"³⁷. وأمّا الرصيد أيّ "ما يبقى للمودع في المصرف من حسابه الجاري" فقد

³³ اللسان: خرط.

³⁴ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية للعنيسي 23.

³⁵ Webster.

³⁶ اللسان.

³⁷ ادي شير 73.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

جعله المعجم الوسيط مولداً³⁸، وهو من residuum بمعنى "الباقى" في اللاتينية³⁹، والظاهر أنه دخل العربية بوساطة الإيطالية⁴⁰.

10. الرِّيال: "اللُّعاب، و: رَالَ الصَّبِيُّ رِيَالاً: سَالَ لِعَابُهُ"⁴¹، والريال اليوم هو اسم النِّقْد المستعمل في السعودية واليمن وعمان وقطر، واللفظ دخيل من الإسبانية Real "مَلَكِيَّ"⁴² التي صاغته من اللفظ اللاتيني Regalis المشتق من Rex "مَلِكٌ"، وكان الريال نقداً فضياً مستعملاً في إسبانيا والبرتغال قبل أن يصل إلى منطقة الخليج العربي.

11. الزَّرَافَة: "الجماعة من الناس، يقال: جاؤوا زَرافاتٍ ووُحْدانا، وحيوانٌ عُشْبِيٌّ ثَدِييٌّ من رتبة الحافريات، عنقها طويلٌ جداً ورجلاها أقصرُ من يديها...، وموطنها إفريقيا، والجمع: زَرافى وزَرافِي"⁴³.

ويلاحظ أن اسم هذا الحيوان في لغات الغرب واحد بصيغ متماثلة أو متشابهة فهو Giraffe في الإنكليزية والألمانية و Giraffa في الإيطالية و Girafe في الفرنسية و Jirafa في الإسبانية، ومرد ذلك إلى أن المصدر واحد وهو العربية لأنَّ الأوروبيين -كما يقول ليتمان- لم يعرفوا الزرافة إلا باسمها العربي⁴⁴. أما اسمها في الفارسية فهو أَشْتَرَكَاوِيلَنْك⁴⁵ المركَّب من أسماء الحيوانات الثلاثة: أَشْتَر = الجمل + كاو = الثور + بلَنْك = النمر⁴⁶. وقد يظن المرء أن اسمها مأخوذ من لغات

³⁸ المعجم الوسيط.

³⁹ نخلة 278.

⁴⁰ المُنْجِد 264، وانظر: الأسدي 168/4.

⁴¹ المعجم الوسيط.

⁴² العنيسي 31.

⁴³ المعجم الوسيط.

⁴⁴ Littmann 79.

⁴⁵ اللسان.

⁴⁶ ادي شير 78.

..... التعريب والمشتراك اللفظي

الحبشة لأن القدامى والمحدثين يزعمون أنها الموطن الأول للزرارة⁴⁷، غير أن اسمها في الجعزية هو Zarât ولا صلة له بالعربية⁴⁸، وهذا يعني أن أقدم اسم معروف لهذا الحيوان -وهو الاسم العربي- ما يزال مجهول المصدر.

12. الزُّهْر: لا يحتاج زهر النبات إلى بيان، ولكن المراد هنا الزُّهْر الذي يُلعب به أي زهر النَّرْد، والمعروف أن لعبة النَّرْد -وتسمّى اليوم لعبة الطاولة- قديمة عند العرب، ففي "مسند أحمد" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثلُ الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقبح".⁴⁹، وقال البحرني يصف سحابة:

كَأَنَّمَا غُدرَتْهَا فِي الوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِالنَّردِ

والظاهر أنهم أخذوها عن الفرس لأن لفظ النَّرْد فارسي⁵⁰، أما "الزُّهْر" فلم يرد في ما رجعت إليه من معاجم كاللسان والصاحح والقاموس والتاج، وهو "قطعتان من العظم صغيرتان مكعبتان حُفر على الأوجه الستة لكلٍ منهما نقطٌ سود من واحدة إلى ست". ولم يبين صاحب هذا التعريف وهو المعجم الوسيط أصله واشتقاقه، ولكنه ذكره مرةً أخرى في تعريف "النَّرد" فجعله مرادفاً للفظ "الفَصَّ"⁵¹، وكأنه يشير بذلك إلى أن "الزُّهْر" لفظ عامي حديث حلَّ محلَّ "الفَصَّ" الفصيح القديم، غير أن المعاجم المُشار إليها لا تذكر لـ "الفَصَّ" هذه الدلالة. ولو حاول المرء البحث عن نظير للفظ "الزُّهْر" في اللغات الأجنبية لوجد ضالته في Hazard فهما يشتركان في الحروف الثلاثة: الزاي والهاء والراء وإن اختلفا في ترتيبها؛ زد على ذلك أنه يُطلق على لعبة قديمة تُلعب بالنرد، غير أن ذلك لا يعني أنه الأصل المنشود، بل العكس هو الصحيح لأن الباحثين الغربيين متفقون على أنه مأخوذ من لفظ "الزهر"! ولكنهم حائرون في تحديد أصل اللفظ العربي واشتقاقه، فقد زعم

⁴⁷ اللسان + Littmann 138.

⁴⁸ Leslau 644.

⁴⁹ المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة للمنجد 152.

⁵⁰ المعرب 331 و: ادي شير.

⁵¹ المعجم الوسيط: زهر، نرد.

أحدهم أنه منسوب إلى مدينة في فلسطين كانت موطن ابتكار هذه اللعبة، وهو زعمٌ باطل لأن الإجماع منعقد على أن ذلك الموطن هو بلاد فارس، وأرجعه آخر إلى اللفظ التركيّ zâr، وهو كذلك مرفوض لأن التركية أخذت هذا اللفظ عن العربية، وجعله آخرون مأخوذاً من الفعل "يَسَر" في العربية، واستدلوا على ذلك باشتقاق لفظ "الميسر" منه، فكأنهم يريدون بذلك القول إن لعبة الطاولة شبيهة بالميسر، فضلاً عن استعمال الترد أو الزهر في ألعابٍ أخرى مازال بعضها شائعاً في ألعاب القمار في "الكازينو"⁵². وهذا يقتضي النظر فيما يقوله اللغويون في لفظ "الميسر" -الذي يرد في القرآن الكريم- وما يتصل به من ألفاظ، قال ابن منظور: "الميسر: اللعب بالقِداح...، و: الميسر: القمار بالقِداح في كل شيء. ابن الأعرابي: الياسر له قِدْح وهو يسر واليسور...، وقد يسر يسر إذا جاء بقده للقمار...، الجوهري: الميسر قمار العرب بالأزلام"⁵³، فالحديث هنا عن "الأزلام" و"القِداح"، وهما اسمان للسهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، ولذا جاء النهي عن الاستقسام في قوله تعالى: "وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقْ"، ولكننا لا نجد في حديث اللغويين عن الميسر والقمار والاستقسام ذكراً للترد أو الزهر البتة، ولو كان لفظ الزهر معروفاً عند المتقدمين لما أغفلته معاجمهم، وهذا يدل على أنه لفظ متأخر لا يُعرف إلى اليوم زمن ظهوره أو مكانه، مما يعني أن الخوض في أصله واشتقاقه هو من باب التخمين.

13. السبيخ: لفظ فارسي بمعنى "السكين الكبير"⁵⁴، وله دلالة أخرى ذكرها المعجم الوسيط، فهو فيه: "عودٌ مُدَبَّب من الحديد تنظم فيه قطع اللحم لشوى"⁵⁵، ويُسمى "الشيش" في مصر، وفصيحه "السفود"، ويُستعمل اليوم بكلتا الداليتين في بلاد الشام، والجمع: الأسياخ.

أما اللفظ الآخر فهو تعريب للفظ هنديٍّ بمعنى "المريد، التابع"، وصيغته Sikh في الإنكليزية، وهو اسمٌ لطائفة دينية أنشأها في شمالي الهند مطلع القرن السادس عشر هندوسي متأثر

⁵² Webster + Lokotsch 2186.

⁵³ اللسان (قِدح، يسر، زلم، قسم)، وانظر: م. الوسيط.

⁵⁴ ادي شير 97.

⁵⁵ م. الوسيط.

..... التعريب والمشارك اللفظي

بالإسلام، فهي تنبذ الوثنية وتدعو إلى عبادة إله واحد وترفض نظام الطبقات المعروف في الهند⁵⁶.

14. الصَّنْدَل: "خشبٌ أحمر ومنه الأصفر، وقيل: شجر طيب الرائحة"⁵⁷، ويستعمل اليوم في صنع الأثاث، وقد ذكره المقدسي⁵⁸ وابن بطوطة⁵⁹ والقلقشندي في "صبح الأعشى". والظاهر أنَّ العربية أخذت هذا اللفظ السنسكريتي وصيغته فيها "جندن" بوساطة "جندل" في الفارسية⁶⁰، ثم انتقل من العربية إلى اليونانية واللاتينية ومنهما إلى اللغات الغربية، نحو: Sandalwood في الإنكليزية و Sandal أو Santal في الفرنسية و Sandalholz في الألمانية.

أما الصندل بذلاته الأخرى: "خفٌ بنعلٍ متين له سيور من الجلد يثبتُ بها في القدم"⁶¹ فهو من اللفظ اللاتيني Sandalium⁶²، وقد شاع استعمال هذا الضرب من النعال قديماً في بلاد الإغريق والرومان، ويبدو أنه كان يُصنع من خشب الصندل لأنَّ اللفظ اللاتيني المذكور مأخوذ من اللفظ السنسكريتي السابق. والظاهر أنه دخل العربية في العصر الحديث بوساطة Sandale و Sandalette في الفرنسية أو Sandal في الإنكليزية.

وثمة دلالة ثالثة أوردها دوزي: "قارب، زورق"، وذكر أنه كان معروفاً في الربع الأخير من القرن 18م⁶³.

⁵⁶ Webster.

⁵⁷ اللسان: صندل.

⁵⁸ أحسن التقاسيم للمقدسي 109.

⁵⁹ تحفة النظّار 715.

⁶⁰ Lokotsch 1825 و: ادي شير 108 و: الألفاظ الهندية المعربة لمحمد يوسف 135.

⁶¹ م. الوسيط.

⁶² العنيسي 37.

⁶³ دوزي 471/6، وانظر: م. الوسيط، ولم يذكر محيط المحيط دلالة "القارب".

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

15. الطقس: لفظٌ أخذته المسيحية من اللفظ اليوناني Taxi⁶⁴ للدلالة على الشعائر الكنسية، ثم اتسعت دلالاته لتشمل الطقوس الشعائر والتقاليد الدينية غير الإسلامية، ثم التقاليد والأعراف خارج الإطار الديني.

أما "الطقس" بمعنى "حالة الجو" فيُقال إنه عربي أصيل⁶⁵، وقد جعل المعجم الوسيط اللفظ الأول دخيلاً والثاني مُحدثاً دون بيان أصله واشتقاقه أو إيضاح صلته بالأول. والظاهر أن اللفظ -بكلتا الدالتين- دخل العربية في العصر الحديث لأنه لم يرد في معاجم المتقدمين كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس البتة⁶⁶.

16. العنبر: قال صاحبُ القاموس: "من الطيب روثُ دابةٍ بحريةٍ أو نُبُع عَيْنٍ...، وسمكةٌ بحريةٌ، والعنبر: الرّعفرانُ والرُّسُ والرُّسُ من جِلْد السمكة البحرية"⁶⁷، وقد انتقل اللفظ من العربية إلى لغات أوروبا بصيغة Ambre في الفرنسية والإنكليزية وAmber في الألمانية وAmbar في الإسبانية والبرتغالية⁶⁸، ولكن ليمان يرى أن العربية أخذته من إحدى اللغات في شرقي إفريقيا⁶⁹. ويبدو أن دلالة هذا اللفظ مرتبطة بدلالة لفظ "الكهرمان" الدخيل فيما يُقال من الفارسية، وهو مادة راتنجية متحجرة أفرزتها أشجار الصنوبر والبُطم في العصور القديمة تُعرف بالعنبر الأصفر وتصنع منها المجوهرات والعقود والسُّبُحات ومباسم السجائر، إذ يقابل هذا اللفظ -كما ورد في قاموس المورد لمنير البعلبكي- Amber في الإنكليزية، بينما تدلّ صيغة Ambergris فيها على "العنبر" الذي يتكوّن في أمعاء الحيتان ويُستخدم في صناعة البخور والعطور.

⁶⁴ حسنين 54/2 و: نخلة 261.

⁶⁵ الساميون ولغاتهم لظاظا 158.

⁶⁶ "الطقس: حالة الهواء...، ويطلق عند النصارى على شعائر الديانة، معرب تكسيس باليونانية" م. المحيط 553.

⁶⁷ القاموس المحيط.

⁶⁸ Lokotsch 78.

⁶⁹ Littmann 81.

..... التعريب والمشتراك اللفظي

أما "العنبر" الذي يدلّ اليوم في مصر وغيرها على "بناء رحب يُتخذ للخزن أو العمل، ومأوى للجنود أو المرضى"⁷⁰ فأصله هو لفظ "أنبار" في الفارسية الذي عزّبه المتقدمون بصيغة "أنبار"⁷¹، وكان يعني عندهم "أهراء الطعام وأكداسه، و"بيت التاجر الذي يُنصّد فيه متاعه"⁷²، وكانت "الأنبار" في العراق مقراً للخليفة العبّاسي الأول أبي العباس السفّاح. ثم عزّب المعاصرون اللفظ نفسه عن صيغته في التركية وهي "أنبر" أو "أمبر"⁷³ بصيغة جديدة هي "العنبر" وجمعها "العنابر" للدلالة المستعملة في مصر وسواها.

17. القانون: قال ابن منظور: "قانون كلّ شيء: طريقه ومقياسه، قال ابن سيده: وأراها دخيلة...، والقوانين: الأصول، الواحد قانون، وليس بعربي"⁷⁴. والرأي الشائع اليوم هو أنه - كنظيره Canon في اللغات الأوربيّة- من Kanon بالدلالة نفسها في اليونانية⁷⁵. غير أن بعض الباحثين يرون أنّ أصل هذا اللفظ هو qanû في الأكادية، ويعني فيها القصب بوجه عام، وكذلك يُطلق على مقياسٍ معيّن، وقد انتقل منها إلى اليونانية بصيغة Kanna بمعنى "قصبّة للقياس" ثم صاغت منها لمعنى "التشريع" لفظ Kanon الذي أخذته عنها العربية واللغات الأوربية⁷⁶. ولكن المعجم الأكادي يكتفي بذكر هاتين الدالّتين "قصبّة، مقياس" للفظ الأكادي دون أن يُشير إلى دلالة التشريع⁷⁷، كما أننا لا نجد -فيما أعلم- شواهد لهذه الدلالة في عربية العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى، وربما شاع استعماله مطلع القرن الخامس للهجرة حينما جعله ابن

⁷⁰ م. الوسيط.

⁷¹ ادي شير 150، وانظر: الجواليقي 20.

⁷² اللسان: نبر.

⁷³ Lokotsch 77، وقيل إن اللفظ التركي من Emporion في اليونانية: حسنين 2/3.

⁷⁴ اللسان: قنن.

⁷⁵ Webster و: نخلة 264، وفي م. الوسيط رومية وقيل فارسية.

⁷⁶ حسنين 19/3-22 و: من تراثنا اللغوي لباقر 121.

⁷⁷ AHw 898.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

سينا عنواناً لكتابه "القانون في الطب"، ولعلّ ذلك يرجّح أنّ تكون الصيغة اليونانية المطوّرة للفظ الأكادي مبنى ومعنى - هي المصدر .

أما لفظ "القانون" للآلة الموسيقية الوترية المعروفة -التي يقال إنها من وضع أبي نصر الفارابي (ت 339هـ)- فيرى بعضهم أنّه من الفارسية⁷⁸ ويجعل الخفاجي هذا اللفظ والذي سبقه لفظاً واحداً وهو عنده "روميّ [أي يوناني أو لاتينيّ] معرّب معناه الأصل والقاعدة، وأصل معناه المسطرة ثم سُمّي به آلة من آلات الطرب على التشبيه"⁷⁹، وذهب ليتمان وفؤاد حسنين هذا المذهب أيضاً ولكنهما جعلاً الأصل من الأكادية⁸⁰.

18. القرش: أي سَمَكُ الْقِرْشِ، وهو حيوان بحريّ مفترس وصفه ابن منظور بقوله: "الْقِرْشُ: دَابَّةٌ في البحر لا تدعُ دابةً إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها،... وفي حديث ابن عباس في ذكر قرش قال: هي دابةٌ تسكن البحر تأكل دوابه"⁸¹، واللفظ من الأكادية⁸².

أما "الْقِرْش" الذي يُطلق على وحدةٍ من النقود فهو اللفظ الألمانيّ Groschen الذي دخل العربية في العصر الحديث بوساطة curûš في التركية⁸³ الذي ظنّ مُعرّبه أنه للجمع لأنّ صيغته "فُعُول" فاشتقّ منه "الْقِرْش" للمفرد، وقد أصدرت الدولة العثمانية القرش في عهد السلطان سليمان الثاني (1687-1690)، وهو اليوم واحد من مئة من الجنيه المصري أو من الليرة السوريّة أو اللبنانية.

⁷⁸ نخلة 240.

⁷⁹ شفاء الغليل 156.

⁸⁰ Littmann 18 و: حسنين 19/3-22.

⁸¹ اللسان: قرش.

⁸² باقر 123.

⁸³ حسنين 3/3 و: التطور اللغوي لعبد التواب 151.

..... التعريب والمشاركة اللفظية

19. **القُماش:** ذكر ابن منظور اشتقاقه وبين دلالاته في القديم فقال: "القَمَشُ: جمعُ الشيء من ههنا وههنا، وكذلك التقميش، وذلك الشيء قُماش، والقَمَشُ جمعُ القُماش وهو ما كان على وجه الأرض من فُتات الأشياء...، وقماش البيت: مناعه...، والمتاع: المال والأثاث"⁸⁴.

أما "القُماش" بمعناه الشائع اليوم -أي "ما يُنسج من الحرير والقطن ونحوهما"⁸⁵ والجمع منه "الأقمشة"- فقليل إنه من "كماش" بمعنى "تسيج من قطن خشن" في الفارسية⁸⁶ أو من التركية⁸⁷. وقد لا يكون اللفظ بدلالاته هذه دخیلاً، بل هو تطوّر دلالي للفظ القديم، ويُرجّح ذلك أنّه معروف بهذا المعنى منذ زمن الأيوبيين، وقد ورد في "ألف ليلة وليلة" وفي "نهاية الأرب" للنويري و"صبح الأعشى" للقلقشندي.

20. **الكانون:** هو - كما نقل ابن منظور عن الجوهرى - المَوْقِدُ والمصطلى⁸⁸ ويُجمع على "كوانين"، وقيل إنه من "ك ن و ن ا" في الآرامية⁸⁹، وفيه يقول ابن الساعاتي (ت 694هـ):
انظر إلى الكانون في بدئه
وبعدما يخمد منه اللهب

وذكر صاحب اللسان صيغة أخرى -ماتزال مستعملة اليوم في بلاد الشام لموقدٍ يُستخدم فيه الفحم أو الحطب للتدفئة أو للطبخ- هي "الكانونة".

أما كانون اسماً للشهرين الأول "كانون الثاني" والأخير "كانون الأول" من السنة الميلادية - ويقابلان "يناير" و"ديسمبر" في مصر- فيقول فيه ابن منظور: "الكانونان شهران في قلب الشتاء،

⁸⁴ اللسان: قمش.

⁸⁵ م. الوسيط.

⁸⁶ العنيسي 58 و: التطور اللغوي لعبد التواب 176.

⁸⁷ حسنين 18/3، أو عربية ومنها إلى التركية: Lokotsch 1240.

⁸⁸ اللسان: كنن.

⁸⁹ WKAS , I /11 + Fraenkel 26-27.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

رُومِيَّة: كانون الأول وكانون الآخر، هكذا يسمِّيها أهل الروم⁹⁰، غير أنَّ المُحدِّثين يجعلونه من Kânûn في السريانية⁹¹.

21. الكُبة: طعام شائع في بلاد الشام يصنع من البرغل ويُحشى باللحم المفروم، وقيل إنَّ اللفظ من الأكادية⁹²، والظاهر أنَّ صيغته في مصر هي "الكُبَيْبة" لأنَّ المعجم الوسيط ذكرها وحدها وقال في تعريفها: "لحمٌ يُدقَّ ويُضاف إليه جريش الأرز أو القمح أي البرغل ويُكَبَّب ويُطهى"⁹³.
أما "الكُبة" أحد الألوان الأربعة في ورق اللعب فالظاهر أنها من Coppa "كوب، قدح" في الإيطالية.

22. الكرتون: بمعنى "الورق المُقَوَّى" من اللفظ اللاتيني Carta بالمعنى نفسه، وقد صاغت اللغة الإيطالية منه لفظ Cartone، وأخذته عنها الفرنسية بصيغة Carton، وانتقل منها بالصيغة نفسها إلى الإنكليزية⁹⁴ وإلى الألمانية بصيغة Karton، والظاهر أنَّ المعجم العلمي العربي (أي مجمع اللغة العربية بدمشق) هو الذي ترجمه إلى "الورق المُقَوَّى".
أما "الرُّسوم المتحرِّكة" أو "أفلام الكرتون" فهما ترجمتا لفظ Cartoon⁹⁵ الذي صاغته الإنكليزية من Carton المذكورة.

23. الكِرْدان: المقام الثامن من المقامات الموسيقية، وهو جواب مقام "الرَّصد/الرَّست"⁹⁶، والظاهر أنه من الفارسية.

⁹⁰ اللسان: كفن.

⁹¹ حسنين 26/3 و: 1/11. WKAS.

⁹² باقر 125.

⁹³ م. الوسيط.

⁹⁴ Webster، وقيل إنَّ العربية أخذت اللفظ من الإيطالية: الغنيسي 61 و: الدَّخيل في لغتنا المحكيَّة للمقدسي 222.

⁹⁵ ويقال أيضاً: animated Cartoon، انظر: Webster، والموسوعة العربية: الرسوم المتحرِّكة. والغريب أنَّ المعجم الوسيط أغفل كلا اللفظين الدخيلين وما يقابلهما في العربية!.

⁹⁶ م. الوسيط، وذكر أنه دخيل دون أن يبيِّن أصله؟

..... التعريب والمشتراك اللفظي

أما الكرْدان الذي يعني في مصر "القلادة" فهو من الفارسية كذلك ولكن النطق فيها "كردن"⁹⁷ أي بالكاف الفارسية، والظاهر أنه دخل العربية بوساطة التركية⁹⁸.

وثمة لفظ ثالث دخل العربية حديثاً بمعنى "مفصل الحركة أو عمود الإدارة الخلفية في السيارة" وهو "الكردان" المُعرَّب عن Cardan joint/shaft في الإنكليزية أو عن نظيريهما joint de G.Cardano و arber à Cardan في الفرنسية، وهذا اللفظ مصوغ من اسم الإيطالي G.Cardano (1576-1501).

24. الكريب: هو اللفظ الفرنسي Crêpe ذو الدلالات المتعددة، وقد أخذت منها العربية ثلاثاً، إحداها: القماش الرقيق الجعد للألبسة النسوية الذي يُصنع من الحرير أو الصوف أو القطن، ومن أنواعه "الجورجيت"؛ والثانية: النعل المطاطي يكون سافلةً للحذاء، والثالثة: الفطيرة المُحلاة المعجونة بالبيض والحليب.

أما "الكريب" بمعنى "الزكام" فهو اللفظ الفرنسي Grippe، ويُنطق مراعاةً لأصله بالكاف الفارسية والكسرة الطويلة الخالصة.

25. الكُشْك (بضم الكاف في مصر وكسرها في بلاد الشام): عزَّته العرب قديماً عن "كُوشك" في الفارسية بصيغة "الجُوسق" أي القصر الصغير، وذكر صاحب القاموس أنَّ الجوسق "دارٌ بُنيتْ للمُقْتدر في دار الخلافة في وسطها بركةٌ من الرِّصاص"، وأضاف إليها ابن منظور دلالةً أخرى هي "الحِصن"، وأورد لها شاهداً قول النعمان من بني عدي:

لعلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَتَادُمْنَا فِي الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ⁹⁹

⁹⁷ Lokotsch 675، والأفضل أنْ يقال: "كردن بند" أي "رباط الخنق".

⁹⁸ عبد الرحيم 372 و: الكواكي 486. وذكر الوسيط أنه دخل دون أن يبيِّن أصله.

⁹⁹ الجواليقي 96 و: اللسان: جسق.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

ثم هُجر اللفظ في العربية حتى عاد إليها في العصر الحديث منقولاً عن "كيوشك" أي "دكان صغير" في التركية بهذه الصيغة والدلالة الجدينتين¹⁰⁰، فالكُشْكُ اليوم كوخ من الخشب ونحوه يتخذة باعة الصحف والسجائر والطوايع وأوراق اليانصيب والخردوات، والجمع: الأكشاك.

أما نظيره العربي "الكُشْك" -بفتح الكاف-¹⁰¹ فقد اكتفى صاحباً لسان العرب والقاموس المحيط بالقول إنه ماء الشعير، وأضاف صاحب المصباح أنه يُعمل من الحنطة، ولكن المعجم الوسيط زاده إيضاحاً، فهو فيه "طعامٌ يُصنع من الدقيق واللبن ويُجفّف حتى يُطبخ"، وهو في سورية برغلٌ يُعجن باللبن ثم يجفف، ويؤكل نيئاً أو مطبوخاً، والظاهر أن "الكُشْكِيَّة" التي ذكرها ابن قتيبة ضربٌ منه¹⁰².

26. القولون: هو الجزء الأسفل من المعى الغليظ، والظاهر أنه تعريب اللفظ اليوناني Kolon، ثم سمى المتقدمون داءً يصيبه "القولنج" الذي ذكره الثعالبي¹⁰³ وقال إنه رومي، ثم الخفاجي¹⁰⁴ دون بيان مصدره، ويرجع المُحدِّثون "القولون" إلى الفارسية¹⁰⁵ أو السريانية¹⁰⁶. ولكن النطق الشائع له اليوم في سورية هو "الكولون" فيطابق بذلك عند السوريين اللفظ الفرنسي الدال على الجوارب النسائية الطويلة حتى الركبة Collant لأنهم ينطقونه "كولون" بالرغم من أنه يُنطق "كولان" في الفرنسية!

¹⁰⁰ Lokotsch 732 و: عبد الرحيم 372. وانتقل بالدلالة نفسها من التركية إلى الإنكليزية والألمانية بصيغة Kiosk وإلى الفرنسية بصيغة Kiosque.

¹⁰¹ "وولعت العامة بكسر الكاف" (التاج)، وهو اليوم كذلك في مصر: حسنين 31/3 وبلاد الشام، وذكر المغربي أن الصواب فتح الكاف: العثرا 27. وقيل إن اللفظ من التركية، انظر: حسنين 31/3 و: WKAS, I/221.

¹⁰² عيون الأخبار 198/3.

¹⁰³ فقه اللغة للثعالبي 207.

¹⁰⁴ شفاء الغليل 154.

¹⁰⁵ نخلة 241.

¹⁰⁶ حسنين 24/3.

..... التعريب والمشتراك اللفظي

27. **الماهية:** لفظان: أحدهما عربيّ مولّد وهو "ماهية الشيء": كُنْه وحقيقته؛ أُخذت من النسبة إلى "ما هو" أو "ما هي"، والآخر فارسي، وهو "الشَّهرية" أو "المرتَّب الشهريّ"، وهو منسوب إلى "ماه" الفارسيّة بمعنى "شَهْر" ويُجمع على "ماهيات"¹⁰⁷. ولم يرد بدلالتيه في اللسان والقاموس والتَّاج.

28. **الميل:** ذكر المتقدمون لهذا اللفظ دالتين هما: ميلُ الجراحة؛ وهو "آلةٌ للجراح يسبر بها الجرح ونحوه"¹⁰⁸، و: ميلُ الكحل لما تُكحل به العين فيُرادف بذلك "المِرْوَد"، ويرى بعض المُحدثين أنه مُعرَّب من Mele في اليونانية¹⁰⁹، والجدير بالذكر أنّ ابن منظور ينقل عن الأصمعيّ قوله: "قولُ العامّة الميلُ لما تُكحلُّ به العينُ خطأ، إنما هو المُلْمول"¹¹⁰.

أما "الميل" مقياساً للمسافات فقد عرفه العرب قديماً، وهو عندهم "قَدْرٌ منتهى مدّ البصر،... ومسافةٌ من الأرض مُتراخية ليس لها حدّ معلوم،... والفرسخ ثلاثة أميال"¹¹¹ ومن شواهد رويّة الأصفهاني لشاعرٍ عاصر هارون الرشيد: "وأُنشد بكر بن النطّاح:
لاتعجبوا فلو أنّ طولَ قناته
ميلٌ إذا نظّم الفوارس ميلاً"¹¹²

وهو اليوم مقياس عالميّ يساوي 1,6 كم تقريباً، ويرى اللغويون أنّ لفظ Mile في الإنكليزية -ونظيره Mille في الفرنسية- مأخوذ من milia passuum "ألف خطوة" في اللاتينية¹¹³. وقد يكون اللفظ اللاتيني مأخوذاً من العربية، ولكن الظاهر أن العربية أخذت اللفظ في العصر الحديث بدلالته الجديدة عن إحدى الصيغتين الإنكليزية أو الفرنسية.

¹⁰⁷ م. الوسيط 892.

¹⁰⁸ م. الوسيط.

¹⁰⁹ العنيسي 71، ويرى نخلة أنّ ميل الكحل من الفارسية، وميل الجراحة من اليونانية، انظر: نخلة 246 + 270.

¹¹⁰ اللسان: ميل.

¹¹¹ نفسه.

¹¹² الأغاني 19 / 109.

¹¹³ Webster، و: نخلة 280.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

29. **المينا أو الميناء:** من "مينا= جواهر الزجاج" في الفارسيّة¹¹⁴، والظاهر أنّها الدلالة الأصلية لهذا اللفظ، إذ لا يُذكر سواها في المعاجم المعروفة -كاللسان والقاموس والتاج- حيث يرد فيها مقصوراً وممدوداً، ثم أضيفت إليها دلالة جديدة في العصر الحديث، وهي "طلاء تُغشَى به المعادن وغيرها"¹¹⁵ لحمايتها أو لتزيينها، ومردّ ذلك إلى المشابهة بين الدالتين لأنّ هذا الطلاء -الذي يُطلَى به الزجاج والخزف أيضاً- هو "مادّة زجاجيّة مخلوطة بالرّصاص تُمزج بأكاسيد المعادن الملونة"¹¹⁶. وثمة دلالة ثالثة خاصة بطبّ الأسنان لم ترد -فيما أعلم- في معاجم اللغة قديمها وحديثها، وهي المادة الصلبة البيضاء في تاج السنّ، ولكن اللفظ ورد في المعجم الطبي الموحد ترجمة للفظين الخاصين بهذه الدلالة وهما Enamel في الإنكليزية ومرادفه Email في الفرنسية، كما ورد في الموسوعة العربية¹¹⁷. أمّا الدلالة الرابعة وهي "مينا الساعة" -أيّ غطاء الساعة الزجاجي- فيبدو أنّها ترجمة لـ watch glass في الإنكليزية أو verre de montre في الفرنسية.

وأما "الميناء" بمعنى "المرفأ" فهو عند معظم اللغويين القدامى كسابقه من حيث جواز المدّ والقصر فيه، واشتقاقه عندهم من الجذر "ونى" أيّ "ضعفَ وفترَ"، وقد "سمّي بذلك لأنّ السفن تنّي فيه أيّ تفتّر عن جرّيها، وقال نصيب في مدّه:

تَيمَمَنَّ منها ذاهباتٍ كأثّه
بدجلةً في الميناء فُلُكٌ مُقَيَّرٌ¹¹⁸

غير أنّ بعض الباحثين المُحدّثين يرون أنّه دخيل، لأنّ العربية أخذته من اللفظ اليونانيّ Limyn ويستدلّون على ذلك بوجود Lmînâ في السريانية¹¹⁹ وهي أقرب إلى العربيّة فكأنّهم

¹¹⁴ Fraenkel 231 و: ادي شير 149.

¹¹⁵ المعجم الوسيط.

¹¹⁶ الموسوعة العربية: المينا.

¹¹⁷ الموسوعة العربية: الأسنان.

¹¹⁸ اللسان: ونى، ونصيب هذا شاعر أمويّ.

¹¹⁹ Fraenkel 231 و: ادي شير 149 و: نخلة 270 و: برصوم 173.

التعريب والمشتراك اللفظي

يعنون أنّ هذا اللفظ انتقل إليها بوساطة السريانية. ولكنّ هذا المذهب لا يُعلّل سبب وجود اللفظ في هاتين اللغتين أيّ في العربية وأختها السريانية وحدهما دون سواهما من لغات المشرق، كما أنّه لا يُعلّل عدم انتقاله إلى لغات الغرب التي أخذت عن اليونانية ألوف الكلمات، زد على ذلك أن الألفاظ الثلاثة المستعملة في الإنكليزية والفرنسية والألمانية -وهي Port "بُوابة" (وهو مشتق من لفظ بمعنى "مخاضة في النهر") و Harbour و Haven وكلاهما بمعنى "ملجأ، ملاذ"¹²⁰ قريبة الدلالة من تلك التي ذكرها اللغويون العرب في اشتقاق لفظ "الميناء. ولذا يبدو لي أنّ العكس هو الصحيح، فالزّاجح أنّ اللفظ عربيّ أصيل، ثم انتقل من العربية إلى السريانية بهذه الصيغة فتكون اللام فيه منقلبةً عن أداة التعريف "ال"، وربما انتقل منها إلى اليونانية، وقد يكون التشابه بين الصيغتين العربية واليونانية مصادفة محضة.

30. الهاون: "بضمّ الواو وفتحها، والهاون: فارسيّ معرّب، هذا الذي يُدقّ فيه، قيل: كان أصله هاوون لأن جمعه هاووين مثل قانون وقوانين، فحذفوا منه الواو الثانية استتقلاً وفتحوا الأولى لأنه ليس في كلامهم فاعلٌ بضمّ العين"¹²¹. وممن ذكره الجاحظ، قال: "الدقّ في الهاون" (البخلاء 84) ولكن العربية تسمّيه "المنحاز" و"المدقّ" و"المهراس" لأنّ "النّحر الدقّ بالمنحاز وهو الهاون،... والمنحاز: المدقّ،... والمهراس: الآلة المهروس بها"¹²².

ثم اكتسب "الهاون" في العهد العثماني دلالةً جديدة تماماً، إذ أصبح اسماً لمدفع الهاون لأنّ لغات الغرب استعملت لهذا الغرض اللفظ الخاص بالهاون فأصبحت Mortar في الإنكليزية و Mortier في الفرنسية و Moerser في الألمانية تعني "الهاون" و"مدفع الهاون" معاً، وكلها من اللفظ اللاتيني Mortarium الذي تقول المعاجم إن أصله مجهول. وبالرغم من أنّ بطرس البستاني لم يذكره في "محيط المحيط" فإنّ معاصره دوزي قال في تعريفه: "الهاون: سلاح مدفعي

¹²⁰ تنفرد الإنكليزية باستعمال ثلاثتها، بينما تستعمل الفرنسية Port والألمانية Hafen.

¹²¹ اللسان والتاج وادي شير 159.

¹²² اللسان هريس.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

لرمي القنابل" وذكر أنه نقله عن معجم الياس بقطر (ت 1821)، والغريب أنه لم يرد في المعجم الوسيط مع أن الياس بقطر من أقباط مصر، فالظاهر أن اللفظ دخل مصر بوساطة التركية أواخر العهد العثماني ولم ينتشر، لأن التسمية الإنكليزية "مورتر" هي الشائعة اليوم لهذا المدفع في مصر وأقطار عربية أخرى.

وهكذا نجد أن هذا الضرب من المشترك اللفظي نوعان، أحدهما عرفه المتقدمون وذكرنا أمثلة له، وهو ناشئ من تعريب لفظٍ دخيل طابق -بعد تعريبه- في رسمه ونطقه لفظاً عربياً، نحو: الأطلس والخريطة والزبال والكشك والميناء، والآخر مردّه إلى تعريب لفظين دخيلين بدلالاتين مختلفتين من لغتين أجنبيتين بلفظٍ عربي واحد، فأقلّه مذكور في المعاجم لأنه مما عُرِب قديماً، نحو: القانون والكانون، وأكثره غير معروف فيها إمّا لأنه صار من المشترك اللفظي بعد تعريب اللفظ الثاني في العصر الحديث، نحو: البُوريّ والترمس والصندل والعنبر والقرش والكُبة والكردان والكولون/القولون والميل والهاون؛ وإمّا لأنّ اللفظين المُعرّبين كليهما جديدان، نحو: البوطة والكرتون، وقد يكون اللفظ الدخيل الجديد نفسه من المشترك اللفظي في لغته كلفظ الكريب ذي الدلالات الثلاث. ويُضاف إلى ذلك كلّ ثلاثه ألفاظ لم نستطع معرفة أصولها في واحد من المعنيين، وهي: البوريّ والزرافة وزهر الطاولة، وألفاظٌ يختلف الباحثون في عُجمتها في إحدى الدلالات، وهي: البلاط والجوهر والطقس والعنبر والقماش والميل.

ولا يخفى أن سبب حدوث الاشتراك اللفظي في معظم الألفاظ صوتي، حيث تحوّلت بعض الحروف في اللفظ الدخيل إلى حروفٍ تقاربها في الصيغ المُعرّبة، إذ أصبحت الـ t طاءً (في: الأطلس والبلاط والخريطة والطقس)، والـ c أو kh خاءً (في: الخريطة والسيخ)، والـ s صاداً (في: الصندل)، والـ g أو x قافاً (في: القرش والطقس)، والـ th تاءً (في: الترمس)، والـ p باءً (في: الكُبة)، والزاي في التركية ظاءً (في: البوطة)، والكاف في الفارسية كافاً أو قافاً (في: الكرذان والقماش) والهمزة عيناً (في: العنبر) والسين صاداً والتاء دالاً (في: الرصد). ومن الطريف أن

..... التعريب والمشارك اللفظي

بعض الألفاظ عُرِّب قديماً كـ "الجوسق" أي القَصْر الصغير، و"الأنبار" أي أهراء الطعام وأكداسه، فلمَّا أضحي من الألفاظ المُماتة والمهجورة عَرَّبَه المُحدِّثون بصيغٍ ودلالات جديدة ليصبح أولهما "الكُشْك" والآخر "العنبر" فصار بذلك من المشترك اللفظي.

المراجع

1- بالعربية:

- ابن بطوطة: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت 1975.
- ابن قتيبة: عيون الأخبار، طبعة دار الكتب بالقاهرة 1925.
- ابن منظور: لسان العرب، بيروت د.ت.
- أدبي شير: الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، بيروت ط2، 1980.
- الأسدي، خير الدين: موسوعة حلب المقارنة (1-7)، طبعة محمد كمال، جامعة حلب 1981-1988.
- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1970-1974.
- باقر، طه: من تراثنا اللغوي القديم: ما يُسمّى في العربيّة بالدّخيل، بغداد 1980.
- برصوم، مار أغناطيوس أفرام الأول: الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، دمشق 1951.
- البستاني، بطرس: محيط المحيط، بيروت 1870.
- الثعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وأسرار العربيّة، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة 1997.
- الجواليقي، أبو منصور: المُعرَّب من الكلام الأجنبيّ على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمّد شاكر، القاهرة 1942.
- حسنين علي، فؤاد: الدّخيل في اللغة العربية، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد، المجلدات: 2/10 (1948) القسم 1: ص75-112، و1/11 (1949) القسم 2: ص27-56، و2/11 (1949) القسم 3: ص1-36، و1/12 (1950) القسم 4: ص37-74 (رقم القسم فرقم الصفحة).

..... التعريب والمشارك اللفظي

- الخفاجي، شهاب الدين: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، القاهرة 1325هـ.
- دوزي، ر.: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي ومراجعة جمال الخياط، بغداد 1979-1990.
- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت 2006.
- زيدان، جرجي: اللغة العربية كائن حي، مراجعة مراد كامل، القاهرة د.ت.
- ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، القاهرة 1971.
- عبد التّوّاب، رمضان: التطوّر اللغوي وقوانينه، *مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام، العدد الخامس* ص101-193، الرياض 1395 هـ/1975.
- عبد التّوّاب، رمضان: فصول في فقه العربية، ط2، القاهرة 1980.
- عبد الرّحيم، ف: كلمات تركية في اللهجات العربيّة الحديثة، *مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق*، المجلدان 44 (1969) ص875-883 و: 45 (1970) ص143-150 + 371-375.
- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، الكويت 1982.
- العنيسي، طويبا: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة، القاهرة 1932، ط2 القاهرة 1964.
- عيسى، أحمد: المُحكم في أصول الكلمات العاميّة، القاهرة 1939.
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق نصر الهوريني، القاهرة د.ت.
- الكواكبي، صلاح الدين: الكلمات الدّخيلة على العربيّة الأصيلّة، *مجلة مجمع دمشق*: المجلدات: 48 (1973) ص519-550 و 50 (1975) ص484-493 + 737-758 و 51 (1976) ص23-32.
- المعجم الوسيط: مجمع القاهرة ط2، القاهرة 1972.
- المغربي، عبد القادر: عثرات اللسان في اللغة، دمشق 1949.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

- المغربي، عبد القادر: في اللغة أبناء عِلَات كما في البشر، *مجلة مجمع دمشق* 30 (1955) 253-267.
- المقدسي، أنيس: الدّخيل في لغتنا المحكيّة ودلالاته، في: *البحوث والمحاضرات للدورة 30* لمجمع اللغة العربية بالقاهرة 1963-1964، ص179-230.
- المقدسي، أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة غازي طليّعات، دمشق 1980.
- المنجّد، صلاح الدين: المفصل في الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، بيروت 1978.
- الموسوعة العربية، بإشراف محمّد عزيز شكري، دمشق 1998-2008.
- نخلة، رفائيل: غرائب اللغة العربية، ط3، بيروت 1984.
- يوسف، محمّد: الألفاظ الهنديّة المعرّبة، *اللسان العربي*، المجلد 10، الجزء الأول، الرباط 1973، ص107-140.

2- باللغات الأجنبية:

- AHw = W. von Soden : Akkadisches Handwörterbuch . Wiesbaden 1985
- K.Brockelmann : Lexicon Syriacum . Hildsheim 1928
- En Br =Encyclopaedia Britanica . 1970
- Fraenkel , S. : Die aramäischen Fremdwörterim Arabischen . Leiden 1886 , Neud. 1982
- Leslau , W. : Comparative Dictionary of Ge'ez . Wiesbaden 1987
- Littmann , E. : Morgenländische Wörterim Deutschen . Tübingen1924
- Lokotsch , K. : Etymologisches Wörterbuch der europäischen Wörter Orientalischen Ursprungs . Heidelberg 1927
- Webster New World Dictionary , second college edition . New York 1986
- WKAS : Wörterbuch der klassischen arabischen Sprache , Bd. I. , hrsg . von M. Ullmann . Wiesbaden 1970

المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

قراءة في المصطلح والمفهوم

د. عيسى قيزة

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف

ميلة - الجزائر

تمهيد

تجمع كل الدراسات أن لكل علم مصطلحات يرتكز عليها ضمن أسسه ومعارفه الخاصة، ومما يتميز به، حتى قيل: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكانها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال، ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال"¹. غير أن هذه المفاتيح تغير دورها وما نيظ بها عندما ارتبطت باللسانيات، أو علوم اللغة فأصبح المصطلح اللساني العربي يعاني من الفوضى، وهذا ما سبب تخمة مصطلحية عند القارئ. ويعود ذلك إلى أسباب متعددة منها: ترك حرية وضع المصطلحات للأفراد كل بحسب اجتهاده؛ فيحاول كل لغوي اعتماد مجموعة من المصطلحات يراها مناسبة ظناً منه أحقية مصطلحاته. وهذه الفوضى كادت تصل بالمصطلح إلى حال يفقد فيها هويته، ويتخلى عن أخص خصائصه، حيث يرى عبد الحميد دباش أن تعدد المصطلح يعني أن يُعطى لمفهوم واحد أكثر من مصطلح، في حين كان يفترض أن يُكتفى بمصطلح واحد، وهذا ما يمكن أن نُعبر عنه

¹ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 11.

بالنّضخ المصطلحيّ أو اللّغويّ، وهو ظاهرة مرضيّة للغة تؤدي بالضرورة إلى فقدان الدّقة في الاصطلاح، والبعد عن النّهج العلميّ في التّعامل مع المصطلح، كما يسبب هذا النّضخ بلبلّة للمتخصّصين بصفة خاصّة، والقراء بصفة عامّة محدثاً شعوراً بعدم الاطمئنان إلى اللغة، والشكّ في ما تقدّمه من معلومات، وهذا ما يؤدي في الأخير إلى العزوف عن القراءة والكتابة بها، ومن ثمّ تركها واللجوء إلى غيرها قراءة وكتابة².

ومن اللّغويين العرب الذين اجتهدوا في وضع بعض المصطلحات اللّسانيّة "عبد الحميد دباش"³. وغايتي في هذه المقال دراسة المصطلح اللّسانيّ عند هذا اللّغويّ دراسة تأصيليّة لبيان صفتي التّبني والتّجديد في المصطلح الوارد عنده. ولعلّنا من خلال هذه الدّراسة التّأصيليّة نسهم في التّعريف بجهود أحد اللّغويين المعاصرين في إطار جهد معجميّ محدود الألفاظ مثّلّه عبد الحميد دباش بكتاباته اللّسانيّة.

أ. عبد الحميد دباش وجهوده اللّسانيّة:

ربما يكون من نافلة القول التّذكير بأنّ هذا اللّغويّ ترك مجموعة من المقالات العلميّة المهمّة، وبرغم قلّتها قام عليها كثير من تصورات الكتابة اللّسانيّة فضلاً على مجموعة من المصطلحات اللّسانيّة التي تميّزت بالتّفرد في بعض الأحيان وبالتّبني في بعضها الآخر. ومن المقالات التي تركها ما يلي:

1. الجملة العربيّة والنّحليل للمؤلّفات المباشرة، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، ورقلة، الجزائر، عدد 02، ماي، 2003.
2. دور التّركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، قسنطينة، الجزائر، العدد 03، نوفمبر، 2003.

² عبد الحميد دباش، المصطلح اللّغويّ في المعاجم الثّانيّة، مجلة المترجم، مخبر تعليميّة التّرجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران اللّسانيّة الجزائر، العدد 12، جويلية-ديسمبر، 2005، ص28.

³ عبد الحميد دباش أستاذ اللّغويّات العربيّة والفرنسيّة بجامعة الحاج الأخضر باتنة الجزائر، توفي أسمية الثّلاثاء 23 ربيع الأول 1431هـ الموافق لـ 09 مارس 2010 رحمه الله.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

3. بين قدرة الفعل وتعديته، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد6، جوان، 2004.
 4. الوضع التركيبي للمركب الاسمي المتقدم على الفعل، مجلة جامعة قطر للآداب، عدد 27، جامعة قطر، الدوحة، قطر، 2005.
 5. بنية الجملة والترجمة من خلال القرآن الكريم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات، عدد 55، 2006.
 6. حول الأبنية في الجملة محاولة في تحديد المفهوم، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل لبحوث والدراسات الإسلامية، مج 10، ع3، 2008.
 7. المحددات في العربية، وحدة بحث اللسانيات والنظم المعرفية المتصلة بها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، 2009.
 8. المصطلح اللغوي في المعاجم الثنائية، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة السّانية وهران، الجزائر، العدد 12، جويلية، 2005.
 9. الترجمة الإشهارية -مقاربة لغوية اجتماعية لترجمة الخطاب الإشهاري-، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة السّانية وهران، الجزائر، العدد 15، 2008.
- ورسالة الدكتوراه المعنونة بـ:

Le prédicat syntaxique en Arabe, Thèse de doctorat, Université de Provence ,
Aix –en- Provence, France, 1992 .

آليات وضع المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش:

إنّ جهود عبد الحميد دباش لم تتطلق من فراغ بل كانت مؤسسة على خلفيات لسانية تتمثل في مجموعة الآليات التي تمّ وضعها لصياغة المصطلح اللساني، حيث نجده يستتير بكلّ من: الاشتقاق، والنحت، والتوليد، والتعريب، والترجمة. وانتقائنا للمصطلح سيكون بصورة عفوية أو عشوائية من مجموع المقالات السالفة الذكر، وهي على سبيل التمثيل لا الحصر.

أولاً: الترجمة:

تمثل الترجمة المصطلحية "وسيطاً تواصلياً بين اللغات والثقافات؛ بحيث يمارس المصطلح المترجم ترحالاً وظيفياً. تحرر فيه القواعد المعجمية للفوز للمعنى الواحد في خطابات الترجمة، مما يقتضي التعامل مع شبكة اصطلاحية متجانسة، تتوزع استراتيجياً لتحقيق التضمنين المناسب، والتنوع اللغوي العادل"⁴ وقد احتلت الترجمة حيزاً كبيراً عبد الحميد دباش؛ حيث اعتمد عليها كثيراً في نقله للمصطلح الأجنبي، ومن تلك المصطلحات نذكر:

(Linguistique) لغويات

ويتكوّن هذا المصطلح من:

لغة + صيغة النسبة + صيغة الجمع

لغة + يــــ + اــــات

تعددت ترجمة هذا المصطلح وقد جمع المسدي لمفهوم (Linguistique) ثلاثة وعشرين مقابلاً عربياً⁵ ومن تلك المقابلات لفظة "لسانيات"⁶. والغالب على ظننا أنه ظهر -أول ما ظهر- في الجزائر سنة 1966 عند إنشاء "معهد العلوم اللسانية والصوتية" التابع لجامعة الجزائر. وقد أصدر المعهد منشوراً حدّد فيه مهامه فكان يستعمل مصطلح (اللساني) و(اللسانية) في مجرى النعت ثم استعمل عند الحديث عن العلم ذاته لفظ (علم اللسانيات) ولكنّه عند الحديث عن نظام المعهد ونشاطه محض المصطلح فنذكر: قسم اللسانيات التربوية، وقسم اللسانيات الرياضية، غير أنّ الذي ثبت المصطلح ويؤاه منزلة الإشعاع إنّما هو صدور مجلّة المعهد سنة 1971 (اللسانيات)⁷.

⁴ سعيد كحيل، الترجمة والمصطلح، الآداب العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، ع144، 2012، ص29.

⁵ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، 72.

⁶ المرجع نفسه، ص 207.

⁷ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص71.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

(Métalinguistique) ألتلويغية

يعدُّ هذا المصطلح من المقابلات التي تفرَّد بها عبد الحميد دباش؛ إذ لا نجد في معاجمنا العربيَّة من استعمل مصطلح (ألتلويغية). وعند تفصح معاجمنا العربيَّة نجد تعداداً في ترجمة هذا المصطلح، حيث اختار مُعدُّو المعجم الموحد مصطلح "فوق لغوي"⁸. أما عبد السلام المسدي فاستعمل مصطلح "انعكاسية"⁹.

(Constituant) = مُؤَلَّف.

ترجم أغلبية اللغويين هذا المصطلح بـ(مُكوِّن)¹⁰.

(Constituant Immédiat) = مُؤَلَّف مُبَاشِر.

ورد مصطلح (مُؤَلَّف مُبَاشِر) - فيما نعلم - عند ميشال زكريا¹¹. والترجمة الغالبة عند معظم اللغويين هي "مكوِّن مُبَاشِر"¹²، و"مكوِّن أولي"¹³. ونرى هنا بأن مصطلح (مُباشِر) أنسب من (أولي)، لأنه يوحي بالمستوى الذي يكون بعده مباشرة، مثل قولنا:

اللغة العربيَّة هُويَّة الأمة

فكلُّ من: (ال) و(لغة) و(هويَّة) و(ال) و(أمة)

مؤلفات مباشرة للبناء الذي يعلوها مباشرة.

⁸ المنظمة العربيَّة للتَّربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التَّعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 92.

⁹ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، 204.

¹⁰ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 57.

المنظمة العربيَّة للتَّربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التَّعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 35.

عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، 233.

¹¹ ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التَّوليدية والتَّحويلية وقواعد اللغة العربيَّة، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنَّشر والتَّوزيع، بيروت،

لبنان، ط2، 1986، ص 148.

¹² عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 208.

¹³ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 233.

(Construction) = بناء

هو المصطلح المتداول في أغلب المعاجم العربية¹⁴، إضافة إلى مصطلح "تركيب"¹⁵. وللتمييز بين مصطلح (syntaxe) و (Construction) ترجم الأول بتركيب، والثاني ببناء.

(Construction Endocentrique) = بناء دخولي

يعدُّ هذا المصطلح من المصطلحات التي تفرَّد بها عبد الحميد دباش؛ إذ من خلال بحثنا في المعاجم العربية وكتب اللسانيات لم نعثر على هذه الترجمة. وقد تعدّدت ترجمة هذا المصطلح في المعاجم العربية، ومن تلك الترجمات نذكر: "تركيب داخلي المركز"¹⁶ - إضافة إلى مصطلح "انضوائي"¹⁷.

(Construction Exocentrique) = بناء خروجي

اختلف اللغويون في ترجمة هذا المصطلح ومن تلك الترجمات: "خارجي المركز"¹⁸ و "استخراجي"¹⁹.

وممّا ميّز ترجمة عبد الحميد دباش لهذا المصطلح هو صفة التّقرّد؛ حيث لا نجد في المعاجم من استعمل هذه الترجمة. واختياره للمصطلحين السّابقين (البناء الدخولي - البناء الخروجي) نابع من المعنى الدّالّ عليه كلّ مصطلح؛ حيث يوصف كلّ بناء بأنّه دخوليّ إذا كان له التّوزيع نفسه

¹⁴ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللّسانية، ص 58.

المنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، ص 36

عبد السلام المسدي، قاموس اللّسانيات، ص 233.

¹⁵ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللّسانية، ص 58.

¹⁶ المرجع نفسه، ص 93.

¹⁷ المرجع نفسه، ص 93.

¹⁸ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللّسانية، ص 98.

مبارك مبارك، معجم المصطلحات اللّسانية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 103.

¹⁹ عبد السلام المسدي، قاموس اللّسانيات، ص 223.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

الذي يكون لأحد مؤلفيه المباشرين، بحيث ندخل منه إلى بناء آخر. كما أنه يقبل الاستبدال بأحد مؤلفيه المباشرين. مثل قولنا:

إنما اللغة العربية هوية الأمة

فهذا البناء دخولِي؛ لأنه يقبل الاستبدال أو التَّعويض بأحد مؤلفيه المباشرين، وهو:

اللغة العربية هوية الأمة

عكس البناء الخروجِي الذي ليس له التَّوزيع نفسه الذي يكون لأحد مؤلفيه المباشرين. كما أنه

لا يقبل الاستبدال بأحد مؤلفيه المباشرين، بحيث لا ندخل منه إلى بناء آخر. مثل قولنا:

اللغة العربية هوية الأمة

فهذا البناء لا يقبل التَّعويض بأحد مؤلفيه المباشرين، فهو لا يقبل التَّعويض بـ(اللغة العربية)

ولا بـ(هوية الأمة):

إنما اللغة العربية هوية الأمة = بناء دخولِي

اللغة العربية هوية الأمة = بناء خروجِي

وأقرب المصطلحات -الواردة في المعاجم- من مصطلح عبد الحميد دباش هو مصطلح

"استخراجي" الوارد في قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي.

(Syntagme) = مُركَّب

نجد ترجمة هذا المصطلح عند عبد القادر الفاسي الفهري²⁰، وفي المعجم الموحد²¹. أما عبد

السلام المسدي فاستعمل مصطلح "نسق"²².

²⁰ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 329.

²¹ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 146.

²² عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 180.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

ويعرف المركَّب بأنه وحدة لغويَّة من النَّسق المتوسط بين المفرد والجملة؛ حيث يوجد بين الصَّيغ (Morphème) والجملة وحدتان²³؛ إحدى هاتين الوحدتين هو المركَّب. ويعرفه عبد الحميد دباش بقوله: "المركَّب وحدة وسطية من حيث لا تكون صيغاً لأنها تتشكَّل بالضرورة من أكثر من صيغ، ولا تكون جملة؛ لأنَّ الجملة هي أكبر وحدة تركيبية"²⁴. فهو إذن بناء لغويّ متوسط يقع بين الجملة والصَّياغ:

الجملة: وتمثِّل الوحدة الكبرى
المركَّب: ويمثِّل الوحدة الوسطى
الصيغ: ويمثِّل الوحدة الصغرى

وهو أنواع منها:

المركَّب الجُمليّ (syntagme propositionnel): نسبة إلى الجُمليَّة (propositionnel) وهو كلُّ مركَّب نواته جُمليَّة. ويرى "ك. توراتيي" (C. Touratier) أنَّ المركَّب الجُمليّ هو: "كلُّ بناء يكون أحد مؤلفاته المباشرة جُمليَّة (propositionnel)"²⁵.

(Structure) = بُنية

وهو المصطلح الذي نجده في أغلب المعاجم العربيَّة²⁶.

²³ ينظر: أندري مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص223.

²⁴ عبد الحميد دباش، الوضع التركيبى للمركَّب الاسميّ المتقدِّم على الفعل، ص68.

²⁵ Esquisse d'analyse syntaxique, in <<Information Grammaticale>> n° 43, Paris, TOURATIER, Christian France, 1989, p10.

²⁶ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص319.

عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص182.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

(Expansion) توسعة

ورد هذا المصطلح عند عبد القادر الفاسي الفهري ولكن بصيغتين متقاربتين هما "توسيع، توسع"²⁷، أما مبارك مبارك فقد ترجم هذا المصطلح بـ "توسعي، تعميم المعنى"²⁸. أما مؤلفو المعجم الموحد فاستعملوا مصطلح "فضلة"²⁹.

وهو حسب "أ. مارتيني" (A. MARTINET) والوظيفيين كل ما ليس ضرورياً :
(Expansion tout ce qui n'est pas indispensable)³⁰.

(Énoncé) ملفوظ

وهو المصطلح نفسه الذي نجده في قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي³¹.

(épithète) نعت

ورد هذا المصطلح في أغلبية المعاجم العربية³². إضافة إلى مصطلح "خصيصة"³³.

(Amalgame) مزيج

من اللغويين الذين استعملوا هذا المصطلح عبد القادر الفاسي الفهري³⁴ إضافة إلى مصطلح "ملغمة"³⁵. ونرى بأن مصطلح (مزيج) أفضل؛ لأنه يدل على الخلط³⁶ وهو ما نجده في معنى

²⁷ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 98.

²⁸ مبارك مبارك، معجم المصطلحات اللسانية، ص 103.

²⁹ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 54.

³⁰ MARTINET (André), *Eléments de linguistique générale*, p128

³¹ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 224.

³² المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 53.

³³ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 224.

³⁴ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 103.

³⁵ المرجع نفسه، ص 103.

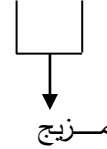
³⁶ ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، تحقيق خالد رشيد القاضي، دار صبيح وإديسوفت، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ج 46، ص 4191.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

هذا المصطلح. والمزيج هو أن تأخذ الوحدة اللغوية مدلولين موجودين في ملفوظ ما بحيث أننا لا نستطيع أن نحلل ذلك التداخل إلى مقاطع متوالية³⁷.

ومثاله في اللغة العربية علامة الجر مثلاً في الأسماء الخمسة نحو:

التقى الطالب بأخيه



فالتمازج وقع في حرف الجر (الباء) والياء (علامة جر الأسماء الخمسة). أي إن جر الأسماء الخمسة وقع من خلال تمازج الوجدتين اللغويتين (الباء) و(الياء) ولا نستطيع فصل كل وحدة هنا عن الأخرى. حيث يشكّلان معا علامة جر الاسم.

(Phonème) صوتم

وهو المصطلح نفسه الذي اعتمده عبد السلام المسدي³⁸. كما نجد مصطلح "صوتية"³⁹ متداولاً في بعض المعاجم العربية. ويعرف "الصوتم" بأنه: أصغر وحدة لغوية ليس لها مدلول. بهذا يتفق الصيغ والصوتم في أنهما لا يقبلان التحليل إلى وحدات أصغر غير أن الصيغ له مدلول، والصوتم ليس له مدلول. والصياغم نوعان؛ إما أن تكون معجمية، أو نحوية. فالأولى هي التي نجد مكانها بالمعجم، ومن ثم تنتمي إلى مجال مفتوح (inventaires illimités)، أي إنها لا تنتهية العدد فنجدها بكثرة مثل: الأسماء والأفعال والصفات... وأما الثانية فهي التي نجد مكانها

³⁷ النص الأصلي:

(Mais il peut se faire que deux signifiés qui coexistent dans un énoncé enchevêtrèrent leurs signifiants de telle façon qu'on ne saurait analyser le résultat en segments successifs).

MARTINET(André),1998, Eléments de linguistique générale, Armand-Colin, Quatrième édition, Deuxième tirage,, Paris, France, p102.

³⁸ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص195.

³⁹ المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص111.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

بالنحو، ومن ثم إلى مجال مغلق، أي إنها منتهية العدد فهي تتناوب مع عددٍ محددٍ من الصيَاغ مثل: علامات الشَّخص، والضَّمائر المتَّصلة، والمنفصلة، والحروف بكلِّ أنواعها...⁴⁰.

صيغم (Morphème)

نجد هذا المصطلح في قاموس اللسانيات⁴¹. إضافةً إلى مصطلح "صرفية"⁴². والصيغم هو "أصغر وحدة لغوية لها معنى أو وظيفة صرفية في لغة من اللغات"⁴³.

صواتمية (phonologie)

وقريب منه مصطلح "صوتمية"⁴⁴. ويعرف هذا العلم بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات من حيث وظيفتها، باعتبارها وحدات تميزية تدخل في تشكيل الملفوظ، وهذا مقابلة بالصوتية. الوحدة الأساسية للصواتمية هي الصوت (phonème).

صوتية (phonétique)

وهو ما استعمله عبد السلام المسدي ولكن بصيغة الجمع "صوتيات"⁴⁵. ويتناول هذا العلم بالدراسة الأصوات فيزيائياً وبمعزل عن وظيفتها اللغوية التي تكون داخل الملفوظات، والوحدة الأساسية للصوتية هي الصوت (son).

صيغية (morphologie)

ترجم عبد السلام هذا المصطلح إلى "صيغية"⁴⁶. أما مبارك مبارك فقد فضّل ترجمته إلى "علم الصرف"⁴⁷. أما المعجم الموحد فقد آثر أصحابه ترجمته إلى "صرافة، صرف"⁴⁸.

⁴⁰ MARTINET(André), Eléments de linguistique général, p126.

⁴¹ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص203.

⁴² المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص95.

⁴³ سامي عياد حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، ص89.

⁴⁴ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص194.

⁴⁵ المرجع نفسه، ص194.

⁴⁶ المرجع نفسه، ص203.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

ونريد بالصَّيغِيَّة دراسة صيغ الكلمات أي دراسة البنية الشَّكْلِيَّة للكلمات مقابلة بالتركيبيَّة التي هي دراسة ببنية الجملة؛ من حيث تعيينُ الوحدات [الدَّالة] المشكلة، وتحديد العلاقات التي تربط هذه الوحدات بعضها ببعض⁴⁹.

وضمن هذه الآلية أيَّ آليَّة التَّرجمة لجأ عبد الحميد دباش -كما لجأ غيره من اللغويين- إلى التَّصْغِير لصناعة المصطلح، والتَّصْغِير بنية معروفة في العربيَّة من حيث يمكن لعدد كبير من الأسماء أن تصغر، وتدلُّ هذه الصيغة على جزء من الكلِّ كما في:

جُمَيْلَة (Proposition)

قليل هم اللغويون الذين استعملوا هذا المصطلح ومنهم عبد القادر الفاسي الفهري⁵⁰ "جملة صغرى"⁵¹.

وتُعرف الجُمَيْلَة بأنَّها عنصر من عناصر الجملة له بنية الجملة، ومن ثَمَّ يمكن أن تُشكِّل الجميلة ملفوظاً. لما كانت الجملة والجُمَيْلَة لهما نفس البنية، أعطيناها الرمز نفسه (ج). بهذا تصطفي اللُّغويات الحديثة في نطاق النُّخلص من التَّعميم والشُّمول ثلاثة مصطلحات تكون بديلاً عما ورد في النُّحو العربي:

النُّحو العربي	اللُّغويات الحديثة (التركيبيَّة)
جملة	جملة (phrase)
جملة صغرى	جميلة (Proposition)
شبه جملة	مركب (syntagme)

⁴⁷ مبارك مبارك، معجم المصطلحات اللُّسنيَّة، ص188.

⁴⁸ المنظمة العربيَّة للتَّربيَّة والثقَّافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص95.

⁴⁹ دباش عبد الحميد، بنية الجملة والتَّرجمة من خلال القرآن الكريم آفاق الثَّقافة والتَّراث، مركز جمعة الماجد للثقَّافة والتَّراث،

دبي، الإمارات، عدد 25، 2006، ص15.

⁵⁰ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللُّسنيَّة، ص322، 333.

⁵¹ عبد السلام المسدي، قاموس اللُّسانيات، ص191.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

الجملة (phrase) وتقوم على الاستقلال ووجود الإسناد.

الجميلة (Proposition) وتقوم على التَّبعية ووجود الإسناد.

المُرْكَب (syntagme) ويقوم على التَّبعية وانعدام الإسناد.

ثانياً: إحياء الألفاظ القديمة وإطلاقها على متصور مستحدث:

يرى بعض اللغويين أنَّ إحياء الألفاظ القديمة وإطلاقها على متصور مستحدث يسبب مشاكل مصطلحيّة عديدة؛ فهو يؤدي إلى خلط مفاهيم سابقة بمفاهيم مستجدة واردة، وهو مضرٌّ خاصّة إذا كان في العلم الواحد مثل اللُّغويات⁵². لذلك رفضه بعضهم فهذا عبد السلام المسدي يهاجم إحياء الألفاظ القديمة وإطلاقها على متصور مستحدث قائلاً: "وكثيراً ما يتجاذب الميراث الاصطلاحيّ ذوي النظر فينزعون صوب إحياء اللفظ واستخدامه في غير معناه الدقيق... فإذا بالمدلول اللسانيّ يتوارى حيناً خلف المفهوم النحويّ، ويتسلل أحياناً أخرى وعليه مسحة من الضباب تعتم صورته الاصطلاحيّة، فتتلبس القضايا، ويعسر حسم الجدل بين المختصين"⁵³. ونرى عبد القادر الفهري كذلك يحذر من استعمال المقابلات العربيّة الواردة في التراث العربيّ؛ لأنّ هذا يخلق توهمًا بصدق المصطلح العربيّ "على ما لا يصدق عليه المصطلح العربيّ نتيجة إسقاطات ظرفيّة أو ذاتيّة يقوم بها المترجم، وينتهي إلى إيجاد مناسبات غير قائمة"⁵⁴. ومن المصطلحات -التي تمّ أحيائها وإطلاقها على متصور مستحدث- المستعملة عند عبد الحميد دباش ما يلي:

(apposition) بدل

وهو المصطلح المتفق عليه في معظم المعاجم⁵⁵. إضافةً إلى مصطلح "عطف بيان"⁵⁶.

⁵² عبد الحميد دباش، المصطلح اللغويّ في المعاجم الشّائنة، ص 25.

⁵³ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، قاموس اللسانيات ص 55-56.

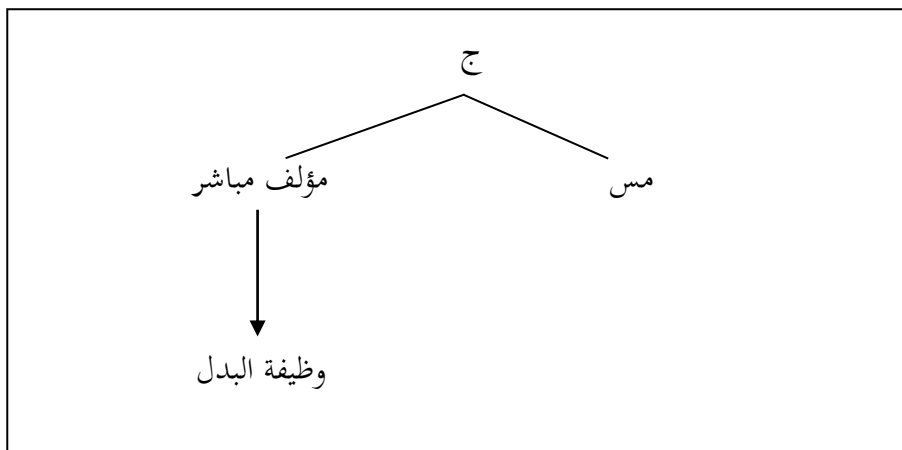
⁵⁴ المصطلح اللساني، ص 144.

⁵⁵ المنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، ص 16.

⁵⁶ المرجع نفسه، ص 16.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

إذا كان البديل في النُّحو العربيّ تابع مقصود بحكم بلا واسطة⁵⁷. فهو في اللغويات الحديثة وظيفة تركيبية يشغلها مؤلف مباشر لمركب اسمي (مس) دخوليّ؛ فهو إذن مؤلف مباشر لـ(مس)، وفي الوقت نفسه توسعة لـ(مس)⁵⁸:



مثل قولنا: باع التَّاجِرُ القمحَ بالنَّقودِ

فالمؤلف المباشر (بالنقود) توسعة بالنسبة للمؤلف المباشر (القمح) لذا يأخذ وظيفة البديل في اللغويات الحديثة. وعليه فإنَّ وظيفة البديل في اللغويات الحديثة أعمُّ من البديل كوظيفة نحوية في النُّحو العربيّ القديم.

رَكِيبٌ (synthème):

وهو من المصطلحات التي انفرد بها عبد الحميد دباش، -بحيث لم نعثر عليه في المعاجم العربية-، ونجد في مكانه مصطلح "منسق"⁵⁹ و"وحدة تركيبية"⁶⁰.

⁵⁷ جلال الدين السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس

الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988، ج3، ص147.

⁵⁸ TOURATIER (Christian), Esquisse d' analyse syntaxique, in <<Information Grammaticale>> n 43, Paris, France, 1989, p09.

⁵⁹ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص180.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

والغرض الذي من أجله أحيا أستاذنا هذا المصطلح هو التّقريب، أو التّسلسل في استعمال المصطلحات الدّالة على الوحدة الكبرى، والوحدة التي هي أدنى منها فهناك مصطلح:

مركب (وحدة أقل من الجملة) ومصطلح ركيب (وحدة أقل من المركب)
فكأن أستاذنا احتكم إلى مقولة -إن صحّ التعبير- كل وحدة تكون أقل من أختها لا بد أن تأتي لها بلفظ يناسب هذا التّركيب أو التّسلسل وهو ما وجدناه في: (جملة- جميلة) (مركب- ركيب) ويعني مصطلح "الرّكيب" في معاجمنا القديمة: "اسماً للمركب في الشّيء... رَكِبْتُهُ فَتَرَكَّبَ فهو رَكِيبٌ"⁶¹.

أما في اللغويات الحديثة، وحسب رؤية "أ. مارتيني" أن بين الجملة والصّيغتين هما: المركّب (syntagme) والرّكيب (synthème) وهو "نتاج وضع عدّة صياغ معاً"⁶².

وهو عند "ج. دييوا" قسم من أقسام الكلام يتألف من عدّة صياغ معجميّة تشغل مثل وحدة معجميّة دنيا"⁶³. أي إننا نسمّي ركيباً كلّ ائتلاف بين صيغتين أو أكثر [...] يمتلك تماماً السلوك عينه والخيارات النّحويّة ذاتها التي تعود لصياغ من صنف معين". ف"تأبط شراً، وحضر موت، ومعد يكرّب..." جملة خبريّة وبعد التّسميّة بها صارت كلمة مفردة وصار الأوّل كالصدر للثاني فلا يدلّ جزء اللفظ منها على جزء من المعنى"⁶⁴. ف"تأبط شراً، وحضر موت، ومعد يكرّب..." جملة خبريّة وبعد التّسميّة بها صارت كلمة مفردة، وصار الأوّل كالصدر للثاني، فلا يدلّ جزء اللفظ منها على جزء من المعنى.

⁶⁰ المنظمة العربيّة للتّربية والتّعلّم والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص146.

⁶¹ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ط1، مادة عرب.

⁶² أندري مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، ص228.

⁶³ DUBOIS (Jean), 1973a, Dictionnaire de Linguistique, Librairie Larousse, Paris, France, p47.

⁶⁴ عبد الحميد دباش، المحدّدات في العربيّة، وحدة بحث اللسانيات والنظم المعرفيّة المتّصلة بها، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة،

صفاقس، تونس، 2009، ص144.

ثالثاً: النَّحْتُ:

ويحصل بمزج عنصرين أوليين على الأقل، أو نتيجة لصق أو تركيب خارجي. وطبيعي أن يؤدي استعمال النَّحْتُ إلى ظهور صيغ جديدة لا تتضوي تحت أي من الموازين الصَّرْفِيَّةِ أو الاشتقاقِيَّةِ ولا يقف طولها عند حدٍّ⁶⁵. وهناك من يرى أن سبب تزايد النَّحْتُ في المصطلح اللغويِّ اللُّسانيِّ هو تأثر جزء من اللغويين باللغات الأوربيَّةِ مثل الإنكليزيَّةِ والفرنسيَّةِ، بل أعجبوا بها إلى درجة الاندهاش، فرأوا فيها التَّمُودَجَ المثاليَّ الذي يجب أن يقتدى به، وهذا الأمر انعكس على طريقة عملهم، وتعاملهم مع العربيَّةِ⁶⁶. فالنَّحْتُ عنوان توالد اللغات، وأنموذج تكاثرها: فيكون بضمِّ الألفاظ المتكاملة بعضها إلى بعض لوضع لفظ جديد، ويكون بانتزاع اللفظ الجديد من بعض أجزاء الألفاظ المتعاملة، ويكون بضم اللفظ إلى أدوات معجميَّة غير ذات وجود مستقل هي تلك الزوائد التي تكون صدوراً وحشواً ولواحق⁶⁷.

وقد لجأ عبد الحميد دباش إلى النَّحْتُ مرَّةً واحدة لصناعة مصطلح لم نجد له مثيلاً في المعاجم والكتب العربيَّة، وهو: (Sous catégorisation) **نقصفة** وهي كلمة منحوتة من (نقل) و(صنف). وتعني: "أن يترك صنف مكانه لصنف آخر فيدخل في جدول، بأن ينتمي إلى القسم نفسه، ومن ثمَّ يَقُومُ مقامه بأن يأخذ وضعه التَّركيبيَّ فيعمل عمله"⁶⁸ وهي في النَّحُو التَّوليديِّ مقولة ناتجة عن النَّقْسِمات التي تطرأ على مقولات الأساس المركبيِّ، مثل المقولات الفرعيَّة للمركب الاسميِّ التي تنتج عنه؛ وهي الاسم، نحو:

⁶⁵ أحمد مختار عمر، المصطلح اللُّسنيُّ العربيُّ وضبط المنهجية، مجلة الألسنيَّة، عالم الفكر، الكويت، مج 20، عدد3،

أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر، 1989، ص19.

⁶⁶ دباش عبد الحميد، المصطلح اللغويُّ في المعاجم الثَّانِيَّة، ص20.

⁶⁷ عبد السلام المسدي، قاموس اللُّسانيَّات، ص29-30.

⁶⁸ عبد الحميد دباش، الجملة العربيَّة والتحليل إلى المؤلفات المباشرة، ص75.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

الرجل (مقولة) المقولة الفرعية التي تنتج عنه هي: رجل⁶⁹

مركب اسمي اسم

ومن المصطلحات الواردة في المعاجم التي تدلُّ على هذا المصطلح نذكر: "تصنيف فرعي"⁷⁰
"تفريع مقولي"⁷¹.

رابعاً: الاشتقاق:

يعدُّ الاشتقاق أبرز آليات التوليد الاصطلاحي، وهو يكسبها طواعيةً داخليةً تمكنها من تلبية كثير من الحاجات الدلالية والمتطلبات المصطلحية⁷². وهو كما ورد في كتاب التعريفات: "تزرع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنىً وتركيباً، ومغايرتها في الصيغة"⁷³. ويرى عبد الحميد دباش بأنَّه الوسيلة الغالبة التي استعملت في إنتاج المصطلح اللغوي للتعبير عن المفاهيم الواردة وهي كثيرة جداً؛ لأنَّ اللُّغويات الحديثة غريبة في نشأتها وتطورها ووجدت العربية نفسها مضطرة للتعامل مع هذه الوضعية ولو ببطء شديد⁷⁴. ومن المصطلحات المستعملة عنده والخاضعة لآلية الاشتقاق نذكر:

(مُفَاعِلٌ = (actant)

اشتق المصطلح من الفعل (فاعِل) المزيّد بحرف على وزن (فَعَلَ)، ومن اللغويين الذين استعملوا هذا المصطلح "محمود أحمد نحلة" في كتابه "مدخل إلى دراسة الجملة العربية". ويعرف المُفَاعِلُ بأنَّه: "كلُّ عنصر، أو عناصر تُشَبَّع الفعل وتكمّل دلالاته مشكلةً معه ملفوظاً"⁷⁵.

⁶⁹ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص141.

⁷⁰ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، المسدي 183.

⁷¹ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص317.

⁷² أحمد مختار عمر، المصطلح اللساني العربي وضبط المنهجية، ص19.

⁷³ الجرجاني (شريف علي)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص26.

⁷⁴ دباش عبد الحميد، المصطلح اللغوي في المعاجم الثنائية، ص20.

⁷⁵ محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1988، ص122.

(valence) = قدرة

اشتق المصطلح من الجذر الثلاثي (ق، د، ر). وقد استعمل عبد السلام المسدي مصطلح "استخدام"⁷⁶. ونرى بأن المصطلح الأول أفضل من الثاني في الدلالة على قوة الفعل دلاليًا؛ وذلك في احتياجه لعدد من المفاعلات لتكتمل دلالاته، فإذا كانت التعدية تدل على قوة الفعل تركيبياً، فإن القدرة تدل على قوة الفعل دلاليًا. مثل قولنا: قاوم الشعب المحتل.

يوصف الفعل (قاوم) بأنه متعد إلى مفعول واحد (المحتل) هذا على المستوى التركيبى. كما أنه ثنائى القدرة؛ لأنه يحتاج إلى مفاعلين لاستكمال دلالاته وهما على الترتيب (الشعب) و(المحتل) وهذا على المستوى الدلالي.

(extraposition) = متطرف

اشتقت من الجذر الثلاثي (ط، ر، ف)، وهو مصطلح تفرد به عبد الحميد دباش. أما أصحاب المعاجم العربية فقد استعملوا "مطارفة"⁷⁷ و"زحقة"⁷⁸. ويعرف المتطرف بأنه مؤلف مباشر لـ (ج)، وهو في الوقت نفسه توسعة لـ (ج)⁷⁹. مثل قولنا: السيارة تعطل محركها
متطرف

⁷⁶ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 175.

⁷⁷ المرجع نفسه، ص 222.

⁷⁸ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، الموحد 55.

⁷⁹ Christian (Touratier), Esquisse d'analyse syntaxique, p08.

النص الأصلي:

(L'extraposition est un constituant immédiat de P qui est en même temps une expansion de P)

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

(Complément) = مُتَمِّم

اسم فاعل من الفعل (أَتَمَّ)

وقريب منه مصطلح "تَمِيم"⁸⁰ الوارد في قاموس اللسانيات، كما نجد مصطلحي "فضلة"⁸¹، و"تكملة"⁸² في معاجمنا. ونظراً لتعدد المصطلحات الدالة على هذه الوظيفة التركيبية فإننا نفضل مصطلح (متمم)؛ وذلك لـ "توفر الحافزية؛ أي ما يحفز المستعمل إلى اختياره؛ إما لصيغته البسيطة أو لتركيبه الصرفي الواضح، أو لعدم غرابته، أو لموافقته التجمعات الصوتية العربية"⁸³.

(circonstant) = ظَوْرَفٌ ومُكَمَّل

أما المصطلح الأول فقد اشتقت من جذر الفعل الثلاثي (ظ، ر، ف). وأما المصطلح الثاني فقد اشتق من الفعل المزيد (أكمل). وقريب من مصطلح ظورف مصطلح "ظرف"⁸⁴. ونرى بأن مصطلح (مُكَمَّل) أفضل من مصطلحي (ظورف) و(ظرف) لدلالته على العناصر اللغوية التي تنضم إلى الفعل بطريقة اختيارية مثل:

صَلَّى الولدُ صلاةَ العصرِ في المسجد

فالوحدة اللغوية (في المسجد) تنضم إلى الفعل (صَلَّى) بطريقة اختيارية، وعليه فهي مُكَمَّل. عكس الوحدة اللغوية (صلاة العصر) التي تنضم إلى الفعل بطريقة إلزامية فهي إذا مُتَمِّم:

صلى الولد صلاة العصر في المسجد

متمم مكمل

⁸⁰ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 235.

⁸¹ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 33.

عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 49.

⁸² عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 49.

⁸³ أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي، ص 22.

⁸⁴ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 30.

عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 237.

ضميم (adjonction)

يعدُّ هذا المصطلح من المصطلحات التي لم نعثر عليها في معاجمنا العربية. أما عبد القادر الفاسي الفهري ومُعِدُّو المعجم الموحد فقد ترجموا هذا المصطلح إلى "إِلْحَاق"⁸⁵. وهو على وزن (فَعِيل) الذي نصادفه مع كلمات عامة، مثل: رقيب، بريد.

(monème) = لَفْظَم

وهي على وزن (فَعْلَم) الذي تصاغ عليه كلمات عامة، مثل: مرقد، ملبس. ونجد مصطلح (لفظم) مستعملاً عند السلام المسدي⁸⁶.

(grammème) = نَحْوَم

وهي على وزن (فَعْلَم) الذي نصادفه مع كلمات عامة، مثل: رقيب، بريد. تفرد عبد الحميد دباش بهذا المصطلح وقد استعمل عبد السلام المسدي مصطلح "مَنْحَم"⁸⁷. أما عبد القادر الفاسي الفهري فاستعمل مصطلحي "تحويلة" و"حدة نحوية"⁸⁸.

(lexème) = مَعْجَم وهي كذلك على وزن (فعلَم).

تعدُّ هذه الصيغة الاشتقاقية من الصيغ التي تفرد بها عبد الحميد دباش في ترجمته لهذا المصطلح. وقد ترجم كلُّ من عبد القادر الفاسي الفهري وأصحاب المعجم الموحد هذا إلى "مُعْجَمِيَّة"⁸⁹، و"مَأْصَل"⁹⁰.

⁸⁵ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 8.

عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 17.

⁸⁶ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 203.

⁸⁷ المرجع نفسه، ص 219.

⁸⁸ عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 123.

⁸⁹ المرجع نفسه، ص 173.

⁹⁰ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 207.

.....المصطلح اللساني عند عبد الحميد دباش بين التجديد والتبني

وهذه المصطلحات كلها تتشكل بكيفية إصافيّة (par affixation) بحيث تتكون لفظة المصطلح من كلمة عربيّة هي الثابت (suffixe) مضافاً إليها لاحقة (radical) (م) أو (يم)

الثابت + لاحقة

ضم - يم

لفظ - م

نحو - م

معج - م

خاتمة:

برغم قلّة كتابات عبد الحميد دباش فإنّه أسّس رصيذاً أو منظومة اصطلاحية لا غنى عنها لدارس اللسانيات وخاصّة ما تعلق منه بالجانب التركيبيّ (تحليل الجملة).

نرى في بعض المصطلحات التي استعملها عبد الحميد دباش نقرداً؛ حيث ورد عنه مجموعة من المصطلحات لم نعثر عليها في معاجمنا اللسانية العربيّة.

برغم التفرد الذي ميّز مصطلح عبد الحميد دباش فإنّ هناك مجموعة كبيرة من المصطلحات التي أخذها من المعاجم اللسانية العربيّة.

أبرز آلية اعتمد عليها عبد الحميد دباش في إنتاج المصطلح اللغويّ للتعبير عن المفاهيم الواردة هي آلية الاشتقاق؛ لأنّ اللغويات الحديثة كما يرى غربية في نشأتها وتطورها ووجدت العربيّة نفسها مضطرة للتعامل مع هذه الوضعية [...].

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

بحوث في الترجمة

محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية

من منظور جورج طرابيشي

د. رحمة بوسحابة

جامعة معسكر - الجزائر

الملخص

المحنة Epreuve مفهوم محوري في دراسات الترجمة وتاريخها، إذ به تُوسم كل مكابدة للفعل الترجمي ما بين الوفاء -ببعده الأخلاقي- للأصل من جهة، ومحاولات التوفيق مع النسق المُستقبل من جهة أخرى، وما يطرحه هذا التجاذب -الذي يصل إلى حد التصادم أحياناً- من جدل حول علاقة الأنا بالآخر وحدودها في أفق النظر الترجمي، وهو جدل ضارب في التاريخ يبدأ منذ لعنة الشتات البابلي التي تعتبر المدخل التأسيسي للفعل الترجمي، وما تلاه من تاريخ كامل من التجارب والمحن المريرة في تحريم الترجمة وتجريم وحرق للمترجمين على مر العصور، وهو ما لم تخل منه الحضارة العربية الإسلامية في بعض أطوارها المتأخرة عن العهد العباسي خصوصاً، والتي تجلّت فيها محنة المترجم العربي والمسلم الذي تحوّل في عرف الفقهاء والأصوليين آنذاك إلى ناقل للكفر (اليوناني) تجب محاكمته وتحريم وتجريم نشاطه. وقد أولى المفكر العربي جورج طرابيشي لهذه الانتكاسة في التاريخ الإسلامي اهتماماً كبيراً، ضمّنها في محاولته الشهيرة الإجابة عن سؤال: "من قتل الترجمة في الإسلام؟"، والتي خصّص لها عدداً من المباحث في مختلف كتبه ومقالاته.

وهذه الورقة محاولة لتدارس مسار هذه المحنة في كتابات طرابيشي، وتقديم رؤيته في هذا الإطار، وتحليله لآثارها على المدى البعيد على الثقافة الإسلامية، مُتمثلاً أساساً في عرقلة تأسيس فلسفة عربية تجيب عن أسئلة الإنسان العربي في ظروفه الحالية.

نص المقال:

جورج طرابيشي مفكر سوري ولد في مدينة حلب عام 1939م، تحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية، ثم ماجستير في علوم التربية، عمل مديراً لإذاعة دمشق بين عامي 1963 و1964، كما اشتغل في مجال الإعلام رئيساً لتحرير مجلة "دراسات عربية" بين 1972 و1984، ومحرراً رئيسياً لمجلة "الوحدة" أثناء إقامته في لبنان بين 1984 و1989، ليغادر بعدها إلى فرنسا حيث أقام بها، وتفرغ للترجمة والتأليف.

قدم جورج طرابيشي عدداً من الدراسات والأبحاث في ميادين الفلسفة والنقد الأدبي، منها "الماركسية والمسألة القومية"، و"رمزية المرأة في الرواية العربية"، و"مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة"، و"مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام"، و"هرطقات"، كما قضى ما يقارب الربع قرن من حياته في حواراته الفكري الشهير مع محمد عابد الجابري، يردُّ فيه على مشروعه الفكري "تكوين العقل العربي"، إلى جانب ترجماته لكبار المفكرين الغربيين والتي فاقت المئتي كتاب.

توفي جورج طرابيشي يوم 16 مارس عام 2016 في باريس، تاركاً وراءه إرثاً ضخماً من الترجمات والمؤلفات التي حاول فيها معالجة عدد من القضايا المركزية، خاصة تلك المتعلقة بالتراث وعلاقتنا به، طارحاً أسئلة حساسة وجوهرية تدور كلها حول السؤال الخالد الذي صاغه أرسلان: لماذا تأخر العرب والمسلمون ولماذا تقدم غيرهم.

ومن جملة هذه القضايا التي اشتغل عليها طرابيشي مبحث الترجمة، ودورها في مشروع التنوير العقلاني العربي، مُنطلقاً من تجربته الشخصية الثرية مع الترجمة، والتجربة الحضارية للعرب والمسلمين في هذا المجال منذ العهد الإسلامي الأول، وصولاً إلى مرحلة الانحطاط التي يعتبر أن توقف الترجمة نتيجة الجدال الفقهي حول مشروعيتها، هو السبب الأساسي في وصولنا إليها، فيما يمكن أن نسميه محنة الترجمة ومحنة الحضارة الإسلامية نتيجتها، التي أدت إلى استقالة العقل العربي من الإسهام في مجال الفكر العالمي.

جورج طرابيشي مترجماً:

ترجم طرابيشي عشرات الكتب والمؤلفات، منها نحو ثلاثين كتاباً من أهم ما كتب فرويد Sigmund Freud، وترجم عدة أعمال لهيغل Friedrich Hegel منها "المدخل إلى علم الجمال" و"الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي"، وترجم لهربرت ماركيز Herbert Marcuse "الإنسان ذو البعد الواحد"، ورواية "زوريا اليوناني" لنيكوس كازانتزakis، و"تاريخ الفلسفة" لإميل برهيه Émile Bréhier في ثمانية مجلدات، و"الفوضى والعبقريّة" لجان بول سارتر Jean Paul Sartre، و"واقع الفكر اليميني" لسيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir وغيرها، وهي ترجمات عن اللغة الفرنسية في مجملها، حتى تلك التي أصولها باللغة الألمانية أي إنها ترجمات وسيطة.

ويعترف طرابيشي بنقيصة الترجمة عن طريق لغة وسيطة، باعتبارها خيانة مضاعفة، فضلاً على نقيصة الخيانة الأصلية، التي تعترى كل فعل ترجمي مهما حاول صاحبه أن يكون أميناً ودقيقاً، مصداقاً للقول الإيطالي الشهير (Traduttore, traditore) (الترجمة خيانة)، والذي استشهد به في أحد نصوصه الرئيسية حول الترجمة "الترجمة بين الخيانة والاجتهاد"، وهو نص مقدمة الطبعة الأخيرة من ترجمته لمحاضرات فرويد وذلك في قوله إن "المسافة التي تفصل لا محالة النص المترجم عن النص الأصلي تتضاعف في حال المرور بلغة وسيطة بين اللغة الأصلية للنص وبين اللغة المترجم إليها"¹.

وقد عكف طرابيشي -قبيل رحيله- على تنقيح ترجمته لكتب فرويد، مستفيداً من صدور ترجمات جديدة لها باللغة الفرنسية، وقام بطبعها ونشرها عام 2014 ويشير في هذا الإطار إلى أن الترجمات الفرنسية الجديدة، التي استند إليها في المراجعة تتميز بحرصها على الحفاظ الحرف الألماني للأصول، بعكس النصوص القديمة التي تعاملت مع معنى النص أكثر من جسديته،

¹ سيمون فرويد، المؤلفات شبه الكاملة، المجلد الأول، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ترجمة ج طرابيشي، الناشر دار مدارك للنشر، الطبعة الأولى سبتمبر 2014م، دبي الإمارات العربية المتحدة. ص8.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وهو توجُّه ترجمي عاد إلى ساحة الدراسات الترجميّة من أوسع الأبواب، تبنّاه طرابيشي هو الآخر، مُحاولاً من خلال مراجعاته الشاملة والجذرية أحياناً لترجمته لمؤلفات فرويد " التوفيق بقدر المستطاع، وبالقدر الذي تتيحه اللغة العربية، بين روح النص الفرويدي وحرّفه الذي هو على درجة عالية من الرهافة والدقة المفهومية شبه المستغلقة أحياناً في آن واحد².

وهذا التوجه الترجمي الجديد لدى طرابيشي هو الذي أسسه الرومنتيكيون الألمان وعلى رأسهم شلايرماخر Friedrich Schleiermacher وتبنوه في ترجمتهم عن اللغة الفرنسية - للمفارقة - في نهاية القرن السابع عشر، لأجل تغذية لغتهم الألمانية الضعيفة آنذاك. ويقوم هذا التوجه على ضرورة تلقّي النص الأصل في جسدِيته، التي لا تتفصل عن حرفه، فقد استفادت الثقافة الألمانية، وخاصة لغتها، من هذا النهج الترجمي في تطورها، من خلال إنصاتها بدقّة لغيرها من اللغات، ذلك أنّ انفتاح اللغة أمام الاستعمالات الجديدة يؤدي إلى إعادة كتابة القصص القومية³، ويساهم في تحرير اللغة المترجمة من الانغلاق، واستبدال النزعة الوطنية، بحملها على الحوار مع اللغة المختلفة، وتخصيبها بواسطة لغة أجنبية. ومن خلال هذه الممارسة الحرفية، يتم الكشف عن العنصر الأصيل في النص الأصلي، فيكون الهدف من ترجمته الحفاظ لهذا الأصل على عظّمته، وبهائه القائم في أصل نشأته، وهو يُسمّى هذا النوع من الترجمة بـ "الحرفية الموضوعية" *littéralité objective*، وإعادة الصياغة الذاتية *la recreation subjective* التي تصبح من خلالها الترجمة توازناً، بتحقيقها لعنصرين مهمّين هما:

- اقتراب وابتعاد عن الأصل أي اندماج واختلاف عنه في نفس الوقت.

² ينظر م ن، ص 10/09.

³ ينظر لورانس فينوتي، اختفاء المترجم، تاريخ للترجمة، ترجمة سمر طلبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، 2009، ص 138.

.....محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي

- ترجمات تاريخية لأنها تجعل اللغات والثقافات تتناخم وتقيم حدوداً مشتركة⁴.

ويتبنى طرابيشي لهذا النظر الترجمي الحرفي يكون قد انخرط هو الآخر في هذه الرؤية الحضارية، التي كان ولا يزال حرياً بها أن تساهم في تلقيح اللغة العربية، وخاصة باعتبارها لغة اختصاص في مختلف العلوم والمعارف من فلسفة وعلم نفس وغيرها.

وإدراكاً منه لصعوبة فهم النصوص المترجمة حرفياً، لم يكتف جورج طرابيشي بممارسة الترجمة فحسب، بل زوّدها بشروح كافية بيانية بأسماء الأعلام، وجميع الوقائع التاريخية والإحالات الثقافية التي قد لا يستطيع القارئ العربي الوصول إليها⁵، وهذه طريقة في الترجمة - أي المصاحبة بالشروح والتعليقات - قديمة، مارسها المترجم العربي والمسلم في نقله للتراث اليوناني بوجه خاص، وقد تجددت وقُعد لها في دراسات الترجمة المعاصرة، وأصبحت تتميز بها ورشات الترجمة في مختلف الثقافات، وخاصة في أمريكا الشمالية، من حيث استعمال ملحقات ومواد تكميلية بالترجمة تشمل تقديماً، أو مراجعة، أو حواشي تُعين القارئ على التكيف مع البنى والمعاني الأجنبية⁶.

ويسمى هذا الأسلوب في الترجمات بالإيضاح explicitation، وأهمه الإيضاح التداولي Pragmatic explicitations الذي يأتي نتيجة الاختلاف بين الثقافات، ويتمثل في الكشف عن العناصر الثقافية الموجودة ضمناً في النص الهدف لا يتقاسم أعضاء جماعته الثقافية المظاهر التي تعتبر معارف عامة ومعروفة في الثقافة المصدر، وفي مثل هذه الحالات يحتاج المترجم إلى إدراج توضيحات وتفسيرات لهذه العناصر المختلفة، فمثلاً هناك أسماء للقرى والمدن

⁴ ينظر حسن البحراوي، أبراج بابل، شعرية الترجمة من التاريخ إلى النظرية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط سلسلة بحوث ودراسات 44، الطبعة الأولى 2010 ص186/187.

⁵ دوين غينتسلر، "في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة"، ترجمة د. سعد عبد العزيز مصلوح الطبعة الأولى 2009، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، ص10.

⁶ ينظر، م ن، ص127.

وللأنهار، وأسماء أنواع من المأكولات والمشروبات المعروفة والمشهورة لدى مجتمع اللغة المصدر، قد لا تكون مفهومة بالنسبة لمتلقي الترجمة، إذا لم يَجْر توضيحها وتفسيرها من قبل المترجم أثناء عملية الترجمة.

ومن هنا يمكن القول أن جورج طرابيشي استطاع -من خلال ممارسته الطويلة لفعل الترجمة- أن يخط لنفسه منهجاً في الترجمة، تطوّرت الرؤية الكامنة خلفه مع تطوّر فكره من جهة، ومن جهة أخرى مع تطوّر المسار في النظر الترجمي العالمي، من الاعتداد بالتحويل على حساب الحرف، إلى العودة إلى إنصاف الحرف، وجسدية النصوص الأصلية. وعلى مدار هذا الاهتمام والممارسة، ظلّ طرابيشي يؤمن بكون الترجمة أداة مهمّة من أدوات التنوير العقلاني، خسرت الحضارة العربيّة الإسلامية الكثير بتوقّف عجلتها، ودخولها مرحلة المحنة، التي شغلت حيزاً مهماً في كتاباته.

محنة الترجمة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة

أفرد جورج طرابيش في كتابه "هرطقات، عن الديمقراطية والعلمانية والحدائث والممانعة العربيّة" نصاً مهماً في مقاربة الأزمة التي عاشتها الترجمة في التاريخ الإسلامي، عنوانه بسؤال صادم: "من قتل الترجمة في الإسلام؟" فقام بتتبع مسار هذه العملية الحضارية منذ العهد الإسلامي المتقدم، مُتمثلاً في العهد النبوي، وصولاً إلى مرحلة الانحطاط، في محاولة منه لتعرّف أسباب هذا الانحطاط، الذي يُعتبر تجريم الترجمة، وتوقيف مسارها، أحد أسبابه الرئيسية بحسبه⁷.

ويقسّم طرابيشي مسار الترجمة في العهد الإسلامي الأول إلى مرحلتين أساسيتين بناء على الدوافع وراء هذه العملية، الأولى هي المرحلة البراغماتية، أي تلك التي ارتهنت إلى البعد العملي، والثانية هي مرحلة الايديولوجيا، نتيجة صلتها بالايديولوجيا المذهبية وتحديد الاعتزالية. وتبدأ المرحلة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم منذ اختياره لزيد بن ثابت الأنصاري

⁷ جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحدائث والممانعة العربيّة، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، الطبعة الأولى، 2006م، ص39.

.....محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي

الخرجي مترجماً، الذي كان «يكتب إلى الملوك ويحيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يترجم للنبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية: تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن»⁸، وهو نفس الدافع يبعده العملي الذي كان وراء حركة الترجمة الأولى في العهد الأموي في القرن الهجري الأول، مع تعريب الدواوين عن الفارسية والرومية، كما أن أول كتاب ترجم في الإسلام كان «الخلاصة الطبية»، الذي نقله الطبيب اليهودي "ماسرجويه" إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان بن الحكم.

وقد اهتم الخلفاء الأمويون بوجه عام بترجمة الطب والكيمياء، سوى هشام بن عبد الملك الذي اهتم أكثر بترجمة شؤون السياسة وتدبير الحكم، مثل حرصه على ترجمة رسائل أرسطو طاليس للإسكندر⁹ وغيرها. وتعد هذه المرحلة مرحلة ترجمة بالتفريق دون تنظيم وعمل جماعي واضح يضبط العملية، بعكس ما كان عليه الأمر في العهد العباسي، الذي تميز بالعمل الجماعي في الترجمة، وامتداد الاهتمام بمختلف العلوم والمعارف من الطب والهندسة والتنجيم والفلك والجغرافيا، والموسيقا، وعلم الحيل، والحركة، والحساب، وعلوم الفروسية، والحرب، والبيطرة والصيدلة والباه (الجنس)، وفنون السحر، وتعبير الرؤيا وغيرها، وهي كلها دوافع عملية جعلت الحاكم العربي والمسلم يتجه صوب الترجمة، ويخصص لها الأموال الباهظة.

ويميل طرابيشي إلى رأي ابن خلدون الذي ضمنه في "المقدمة"، في كون الحاجة إلى الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية لم تكن مجرد حاجة شخصية عند الحاكم العربي المسلم لتثبيت حكمه، أو تمرير وتبرير توجهاته العقيدية أو السياسية، بل كانت حاجة حضارية أقرب إلى الحتمية منها إلى أي اعتبارات عشوائية أو شخصية، ذلك "أن حركة الترجمة في زمن المنصور فصاعداً إنما جاءت تعبيراً عن تطور حضاري جمعي وتلبية لحاجة الحضارة العربية الإسلامية، في لحظة تجاوزها لذاتها ولسائر الحضارات التي تقدمتها، إلى هضم تراث هذه الحضارات في

⁸ جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، ص 39.

⁹ ينظر م ن، ص 40.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

عملية انفتاح على الآخر يقلّ نظيرها من حيث الاتساع في التاريخ الحضاري ما قبل الحديث¹⁰.

وفي هذا السياق الحضاري الواسع تبدأ المرحلة الثانية من دوافع الترجمة بحسب طرابيشي، وهي الحاجة المذهبية الايديولوجية التي أشار إليها ابن خلدون نفسه في مقدمته: "وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله، فانبعث لهذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين، وانتساخا بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب، وعكف عليه النظار من أهل الإسلام، وحذقوا في فنونها، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها"¹¹، ومن هنا كان ارتباط الترجمة بالبعد الايديولوجي بحسب طرابيشي وذلك بارتباط تأسيس بيت الحكمة ببغداد بمذهب المأمون وهو الاعتزال، الذي حوله إلى عقيدة رسمية للدولة، ويؤمن طرابيشي قوله بإيديولوجية المأمون، ومن ثمّ أيديولوجية حملة الترجمة التي أطلقها، بحلمه الشهير الذي روى فيه أنّه رأى أرسطو طاليس، وحاوره في مسائل النقل والعقل "قلت: أيها الحكيم، أسألك؟ قال: سل. قلت: ما الحسن؟ قال: ما حسن في العقل. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن في الشرع. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور. قلت ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم!"¹²، وكان هذا المنام بمثابة المبرر للمأمون لاحتضان الترجمة بوجه عام، وترجمة علوم اليونان بوجه خاص، ولو أن طرابيشي شكك في صحة الحلم واقعاً، إلا أنه زكاه دلاليّاً، ذلك أن ما يميّز الاعتزال هو تقديمه العقل على النقل، وهو ما تدعمه الفلسفة اليونانية في بنيتها وخلفيتها الفكرية، ومن هنا كانت ترجمتها ستكون تركية لهذه التراتبية في تقديم العقل على النقل.

وقد تُرجمت المنظومة الفلسفية اليونانية المتاحة آنذاك كلها في عهد المأمون، واستفاد منها مذهب الاعتزال، باعتباره هو الآخر اشتغالاً على العقل على غرار الفلسفة اليونانية، ومن ثم

¹⁰ جورج طرابيشي، هرقات عن الديمقراطية والعلمانية والحادثة والممانعة العربية، ص 41.

¹¹ ابن خلدون، المقدمة، ورد في جورج طرابيشي م ن، ص 42.

¹² ينظر: في م ن، ص 43.

.....محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي

استفادت الترجمة ككل من اعتزالية المأمون في انفتاحها وتقوية نشاطها، ليتحول الاعتزال في مرحلة لاحقة إلى "لعنة" أصابت الترجمة، بتعبير طرابيشي، لأنها قدمت الذريعة لخصوم الاعتزال ليعيدوا إغلاق بابها، وقمعها ابتداء من القرن الخامس الهجري، في سياق حركة الإبادة الشاملة التي تعرض لها الاعتزال، ومن ثمّ النزعة العقلية في الحضارة الإسلامية ابتداء من الانقلاب القادري (380 - 422هـ)، والتي شملت عملية وأد الترجمة وتنظيم محرقة حقيقية، عملية ونظرية معاً، للعلوم والكتب المترجمة الدخيلة"، على يدي السلاطين والعامة معاً في المشرق والمغرب¹³.

ويذكر طرابيشي قائمة الفقهاء الذين تصدوا لتكفير وتحريم علوم الأوائل المترجمة، بداية بآبن قتيبة، المتوفى سنة 376هـ، الذي كان من أوائل من عارض بين هذه العلوم والقرآن، ثم عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة 429هـ، الذي كَفَّر الفلاسفة والمُشتغلين بعلوم الأوائل، ثم جاء بعده عبد القاهر البغدادي، الغزالي والشهروزي وغيرهم ممن حرّم علوم الأوائل. وصولاً إلى ابن تيمية (661 - 728هـ) في أول قرون الانحطاط، الذي قاد أشرس حملة في عصره ضد الفلسفة وعلوم الأوائل المترجمة، مُحَمِّلاً المأمون مسؤولية البدع، وضروب الكفر التي انتشرت بين المسلمين بسبب الكتب المترجمة، ويقول في ذلك "في دولة أبي العباس المأمون ظهر الخرمية ونحوهم من المنافيين، وعُزِب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين. وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة. فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين، وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك استيلاء الجهمية"¹⁴.

وبعد ابن تيمية جاء السيوطي، المتوفى سنة 906هـ، الذي أجرى للمأمون ولبنى العباس عموماً، أوسع محاكمة على "جريمة" ترجمة علوم الأمم الأخرى. في إطار ما سُمّي بمؤامرة استجلاب الكتب اليونانية، التي لم يسلم من التسليم بها حتى "ابن خلدون"، الذي اعتبر مبادرة

¹³ ينظر جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، ص 46، 47.

¹⁴ م ن ص 52.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

المأمون سلبيةً أضرت بالدين، مع أنه كان شاهداً على أن هذه الترجمات نفسها عندما عادت إلى الغرب عبر العرب، ساهمت في انحصار الظلام ويزوغ التنوير الأوربي، في الوقت الذي ماتت فيه الترجمة في الشرق نظراً وعملاً، ودخلت الحضارة الإسلامية عصر الانحطاط.

ويذهب طرابيشي أنه لو لم تتم محاصرة الترجمة ايدولوجياً وإبادتها، لظلت الحضارة العربية الإسلامية في طور التقدم، ولما حدثت كارثة الانحطاط، أو على الأقل لما تأخرت النهضة العربية إلى القرن التاسع عشر، ولكان أمكن أن يبدأ من القرن الخامس عشر أو السادس عشر، فيما لو تنبهنّا لملاحظة ابن خلدون عن نهضة العلوم العقلية في عصره، في الجزء الشمالي من البحر الأبيض المتوسط، وتدشين حركة ترجمة عن اللاتينية، مُشابهة لتلك التي دشّنها أمويو القرن الثاني، وعباسيو القرن الثالث عن الفارسية واليونانية¹⁵.

في نقد مقارنة طرابيشي في الترجمة

تعرّض جورج طرابيشي للنقد نتيجة مطارحته حول الترجمة، ومقارنة محتتها في التاريخ الإسلامي، خاصة تلك الرؤى التي تطلّ تهاجمه نتيجة تبنيه فكرة نقد التراث الفقهي، متهمه إياه بالانطلاق من دوافع إيدولوجية لنقد العقل الفقهي الإسلامي الذي حارب الترجمة بحسبه، مع أن هذا العقل قد حارب في الواقع، منتجات ترجمة بعينها، ولم يحارب الترجمة كفعل حضاري ككل. ويتحدث الزواوي بغورة في ورقة قدمها في مؤتمر الترجمة والمثاقفة¹⁶ بعنوان "جورج طرابيشي: بين الترجمة والنقد ونقد العقل العربي"، أن طرابيشي نفسه ينطلق من دوافع ايدولوجية مُلمحاً إلى توجهاته العلمانية التي يفصح عنها في كتاباته، بنقده المتواصل للعقل الديني الفقهي، ودوره في حالة الانحطاط، ويشير بغورة إلى أن طرابيشي استشهد بمقولة لميشال فوكو في نقده لهذا العقل، وهي عبارة "الدين عقل مجتمع بلا عقل" والتي إضافة إلى كونه لم

¹⁵ ينظر جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، ص55، 56.

¹⁶ ينظر الزواوي بغورة، جورج طرابيشي، بين الترجمة والنقد ونقد العقل العربي، مؤتمر الترجمة والمثاقفة 3، منتدى العلاقات

العربية، رابط المداخلة على يوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=4yIf9v9UHj8>

..... محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي

يوثق لها، فإنها ترجمة غير صحيحة للمقولة الأصلية لفوكو "esprit d'un monde sans esprit"، فترجمة esprit بالعربية لفظياً هي إما روح أو فكر، أما العقل فمقابله la raison، وكما هو جلي فهي استراتيجية ترجمية تحويلية تصل إلى حد التحويل لخدمة توجه ايديولوجي قبلي لدى طرابيشي، وهو ما تدعمه العودة إلى سياق مقولة فوكو -والذي لم يذكره طرابيشي- المتمثل الحلقة النقاشية حول الثورة الإيرانية التي ذكر فيها فوكو العبارة، فهو المتعاطف مع هذه الثورة كان يعني أن الإسلام بما هو الدافع وراء الثورة الإيرانية الناجحة حينها، ليس أفيون الشعوب - كما حكم ماركس وليس فوكو - بل هو "روح لعالم بلا روح"، ويضيف بغورة أنه يبدو أن طرابيشي ظلّ عملياً يؤمن بفكرة الخيانة والاجتهاد في الترجمة، مع أنها لا تستقيم في كل الأحوال، بسوى مجاهدة صفة الأمانة في الفهم وعند النقل.

ويرى بغورة أن طرابيشي وقع في تناقض غير مبرر حول تصوّره لعملية الترجمة نفسها بين نصه "من قتل الترجمة في الإسلام"، الذي يُعتبر تثنياً لدور الترجمة في الحضارة الإسلامية وفي كل الحضارات، وكيف أن توقيف مسارها ألحق اللعنة بهذه الحضارة، وزج بها في أتون الانحطاط، وبين نصه التالي في نفس الكتاب "الفلسفة العربية المستحيلة"، والذي أقرّ فيه أن الفلسفة العربية القديمة والمعاصرة لا يمكن أن تكون أصيلة ومبدعة، باعتبارها تنطلق دوماً من مثال سابق، أي إنها مجرد ترجمة.

والواقع أن كثيراً من ملاحظات بغورة صحيحة، بل إن طرابيشي في هذا النص الأخير الذي يتحدث عنه، يستهين بدور الترجمة من الأساس خاصة في الفلسفة العربية المعاصرة، التي يعتبرها حتى في نقدها للحدثة وما بعد الحداثة، مجرّد ترجمة لنقد هذه الحضارة نفسها بنفسها، على يد منظري مدرسة فرانكفورت وجاك دريدا وإدغار موران وغيرهم، وهو ما يعني أنه عملياً لا يرى في الترجمة سوى وسيلة تنوير مبدئية، هذا إضافة إلى أنه -أي طرابيشي- لم يقدم الأدلة الكافية على حدوث هذه المحارق التي تحدّث عنها، وهذا تشكيك في استنتاجات وتحليل طرابيشي لهذا المسار بمجمله.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

والواقع أنّ الرد على فكرة طرابيشي فيما تعلّق بمحنة الترجمة في الحضارة العربيّة الإسلامية، والمتمثلة في التحريم والتجريم، ووأدها وإبادتها والمحارق التي نصبت للكتب المنقولة وغيرها من مفردات المحنة التي استعملها طرابيشي، والتي توحى كلها بالمأساة التي عاشتها الترجمة العربيّة الإسلامية، يمكن أن يستند إلى حيثيات وتفصيل في تلك المرحلة اعتماداً على كتاب واحد من أهمّ الكتب التي درست هذا الموضوع دراسة مستفيضة وهو كتاب ألفه المستشرق الأمريكي المعاصر "ديميتري غوتاس" Dimitri Gutas: "الفكر اليوناني والثقافة العربيّة، حركة الترجمة اليونانية-العربيّة في بغداد والمجتمع العباسي المبكر" أرّخ فيه لحركة الترجمة في العهد العباسي¹⁷، ويثبت فيه أن حركة الترجمة لم تتوقف مطلقاً، بل استمرت ولو بوتيرة أقل منذ العهد المتأخر العباسي.

ويشير غوتاس إلى أنّ حركة الترجمة استمرّت في الازدهار في تلك المرحلة (بقية القرن 9/هـ و طوال القرن 10/هـ)، ولم يكن لها أيّة صلة بالمحنة الفكرية والدينيّة التي عاشتها الحضارة الإسلاميّة آنذاك، وأنّ المأمون هو الذي ثبّت هذا الربط باتخاذ حركة الترجمة أساساً للاعتزال وبالتالي تركيز السلطة الدينيّة في يد الخليفة. ومن هنا فإن غوتاس يعتبر أن مقاومة أهل الفقه كانت منصبةً أساساً على الاعتزال ولم تكن مضادةً للعلوم المترجمة أو الأجنبية، بل مجرد رقابة مؤقتة ولمدة قصيرة نتيجة الاضطراب السياسي والاجتماعي العاصف الذي كاد يودي بالدولة نفسها خاصّة بعد نهاية الحرب على الزنج (270هـ/883م وبداية خطر القرامطة [278هـ/829م])، وحدث اقتتال داخلي بين الجند في بغداد، ليخلص غوتاس إلى أنّ تلك الرقابة "لا تشير إلى مجابهة إسلامية متأصلة للعلوم الأجنبية أو لدراساتها"¹⁸، والدليل على ذلك

¹⁷ ينظر: ديميتري غوتاس، الفكر اليوناني والثقافة العربيّة، حركة الترجمة اليونانية-العربيّة في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، ترجمة وتقديم د نقولا زيادة، المنظمة العربيّة للترجمة، ومركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، يونيو حزيران 2003 ص266.

¹⁸ م ن ص268.

.....محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي

أنه بعد القرن الرابع هـ لَمَّا استقرَّت الشريعة في الحياة الإسلامية عادت بعض العلوم المترجمة لتصبح جزءاً من مناهج الدراسة على عدّة مستويات¹⁹.

وبالعودة إلى تاريخ الترجمة العربية الإسلامية، سنجد أن حركة الترجمة فعلاً لم تتوقف كما في قوله "على حد علمنا أنه لم يُترجم كتاب واحد في الفترة الممتدة من القرن 5م إلى 12هـ"، إذ كانت هناك حركة ترجمة جديدة في هذه الفترة بالذات، أكثر تطوراً مع الفارابي وابن سينا وابن رشد على الخصوص (أي الجيل الثاني من الفلاسفة والمترجمين)، الذين عادوا إلى الترجمات الأولى لتتقيحها وتصويبها، بناء على ثقافة فلسفية قويّة، وقد انطلقت هذه الموجة الثانية لحركة الترجمة من خلال مسارين هما:²⁰

1. البحث عن الكليات والقوانين: فعَمَلُ الفارابي وابن رشد وابن سينا يهدف، على نحو صريح، إلى تخليص أعمال أرسطو من الخصوصيات المحليّة، التي تعود إلى عادات اليونانيين في أدبهم، خاصّة الحديث عن الأجناس الأدبية، وتخليصه من الأمثلة اليونانية.
2. بسط المفاهيم الكلية وإرفاقها بالأمثلة العربية، وهو ما أدّى إلى تسميتها بالشروح عوض الترجمة أحياناً.

كما أن مرحلة الترجمة كان لابد أن تتحوّل إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة التّأليف، باعتبارها مرحلة حتميّة، على رأي حسن حنفي، ذلك أن الترجمة بحسبه "مرحلة محدودة للوعي الفردي، والوعي الحضاري تنتهي تلقائياً بعد التعليق والشرح والتلخيص"²¹، فهي -أي الترجمة- وسيلة

¹⁹ دمتري غوتاس، م س، ص 270.

²⁰ ينظر عبد الكبير الشرقاوي، عبد الكبير الشرقاوي، شعرية الترجمة، الملحة اليونانية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2007م، ص 52.

²¹ حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، المجلد الأول، النقل، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، طبعة سنة 2000، ص 310.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وليست غاية، دورها هو إعادة تمثّل التجربة الحضارية الأولى فحسب، ولا معنى لاستمراريتها دون تأليف.

وبوجه عام يمكن القول إن جورج طرابيشي، وبرغم كل هذه التجاوزات، والقصور في تحرير واقعة المحرقة والمحنة والإبادة للترجمة في الحضارة العربية الإسلامية، وليّه عنق الأحداث أحياناً أخرى، من أجل مهاجمة العقل الفقهي الإسلامي، إلا أن ما قدّمه يبقى مهماً في تنبيه النسق العربي والإسلامي المعاصر إلى أهميّة الترجمة أداةً للتطوير، وإلى ضرورة إعادة تمثّل التجربة الأولى كما تمّت على يد المترجم القديم لمنظومات معرفية كاملة في الفلسفة والطب والكيمياء وغيرها، وفي الوقت ذاته التنبيه إلى الضرر الذي لحقها نتيجة آراء الفقهاء الرافضة لعلوم أجنبيّة النشأة والبنية بعينها، والذي وإن لم يصل إلى حد قتل الترجمة نفسها أو تحريمها كما ذهب طرابيشي، إلا أنه ساهم في إضعافها، وتعطّل عجلتها، ومن ثمّ الدخول في عصر من الظلام والانحطاط.

..... محنة الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية من منظور جورج طرابيشي

مكتبة البحث:

- جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربيّة، دار الساقى بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب، الطبعة الأولى، 2006م.
- حسن البحراوي، أبراج بابل، شعرية الترجمة من التاريخ إلى النظرية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط سلسلة بحوث ودراسات 44، الطبعة الأولى 2010.
- حسن حنفي، من النقل إلى الابداع، المجلد الأول، النقل، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، طبعة سنة 2000.
- دوين غينتسلر، "في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة"، ترجمة د. سعد عبد العزيز مصلوح الطبعة الأولى 2009، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان.
- ديمتري غوتاس، الفكر اليوناني والثقافة العربية، حركة الترجمة اليونانية-العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، ترجمة وتقديم د. نقولا زيادة، المنظمة العربية للترجمة، ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، يونيو حزيران 2003.
- الزواوي بغورة، جورج طرابيشي، بين الترجمة والنقد ونقد العقل العربي، مؤتمر الترجمة والمناقشة 3، منتدى العلاقات العربية، رابط المداخل على يوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=4yIf9v9UHj8>.
- سيغموند فرويد، المؤلفات شبه الكاملة، المجلد الأول، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ترجمة جورج طرابيشي، الناشر دار مدارك للنشر، الطبعة الأولى سبتمبر 2014م، دبي الإمارات العربية المتحدة.
- عبد الكبير الشرقاوي، عبد الكبير الشرقاوي، شعرية الترجمة، الملحمة اليونانية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2007م.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

- لورانس فينوتي، اختفاء المترجم، تاريخ للترجمة، ترجمة سمر طلبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، 2009.

الهوية ومآزق الترجمة من منظور سيميائي:

قراءة في سيميولوجيا التواصل

(La Sémiologie de Communication)، والسيميوزيس (Le Sémiosis)،

وسيميوطيقا الثقافة (La Sémiotique de la Culture)

د. دريس محمد أمين

جامعة مصطفى استنبولي

معسكر - الجزائر

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مختلف التحديات الهوية التي تفرضها الترجمة على المستويات السيميائية المتنوعة، التي تحضن نشأتها وتحدد مساراتها في إطار حيزين بسيطين هما النص الأصل ونسخته الوصل. وتكمن هذه التحديات في سيميولوجيا التواصل الاتجاه النافذ في الدرس السيميائي، وكيف أنّ الترجمة تطرح صعباً جمة من الزاوية نفسها بوصفها فعلاً اتصالياً وتواصلياً يسعى إلى رتق الفتق بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، والثقافتين الباثنة والمستقبلة عبر وظيفة اللسان الأولى التي تُعنى بالتواصل. ومنه مقارنة مآزق آخر يبرز حين الترجمة هو التأويل الذي يعد أساس الفهم ومحركه، وعماد الترجمات السوية المدركة للتوظيف المثالي للاستراتيجيات الذهنية المفضية إليه، وعلاقته بالسيميوزيس (أو السيميوز) الذي يوصف بأنه الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها. وثمة مسألة سيميوطيقا الثقافة التي تنظر إلى الظواهر الثقافية بأنها موضوعات تواصلية وأنساق دلالية. ولعل ذلك يمثل أبرز المعوقات الترجمية بين الجماعات اللسانية المختلفة لكونه يتصل بنقل المكنون

الثقافي والكنه العلاماتي في إطار ما يُصطلح عليه تسمية (سيمياء الكون) التي تعني الفضاء السيميوطيقي المعقد والمركب الذي تشغله ثقافة معينة، ما يعني حتمية أن يتقن المترجم الاستراتيجيات الثقافية القمينة بالتقليل من الخسارة الترجمية عند نقل المرسلات من المناحي كافة، الإفرادية والدلالية والأسلوبية والتداولية.

1. توطئة

تعد اللغة أداة طبيعة في يد الإنسان، ومصدر حياة لا ينضب أبداً، إذ توظف لقضاء الحاجات وسد المتطلبات التواصلية والتداولية والحضارية. وتعد الترجمة في الحقيقة إحدى هذه المتطلبات الحياتية، بحيث ينبغي كل إنسان أن لا ينعزل وراء أسوار ثقافته، بل يمضي قدماً في الاحتكاك بالآخر والنهل من معينه الإنساني والمعرفي. فأصبح هذا التواصل مع الآخر أمراً محتوماً في ظل عولمة زاحفة هي كالشبح تحوم في كل مكان. وتبرز قيمة الترجمة أيضاً في إغناء اللغة الجامعة التي تمثل العصب النابض لكل مجموعة إثنوغرافية، بل إنها تعيد الاعتبار للهجات المحلية الدفينة وتعزز من مكانة الأقليات في مجتمع ما. فهذا التعدد الوظيفي للترجمة يمنحها مكانة علمية ذات أهمية بالغة، فهي في الآن نفسه فعل تواصلية وعملية تعليمية تساعد على التعدد الألسني وتنويعه.

والترجمة من بين الحقول المعرفية التي استطاعت أن تؤسس لنفسها مكانة مرموقة بين التخصصات الأخرى، وأن تدفعها إلى الاعتراف بها كعلم قائم بذاته، له خصوصياته وضوابطه وفنياته، فأصبحت ملتقى لعلماء من كافة الأطياف وشتى المشارب ينهلون منها وينتدرون أحوالها ليبرز إلى الوجود علم الترجمة (أو الدراسات الترجمية (translation studies) الذي حقق في وجيزة ما عجزت عنه علوم متعددة سبقته إلى الوجود بكثير. ولعل أبرز الأسباب في ذلك اشتغال الترجمة على اللغة التي تشكل الدعامة الرئيسة لماهية وجود الإنسان تواصلًا وتخابلاً. ثم إن الترجمة لم تهمل أي بُعدٍ مصاحب للغة، بل جميع الأبعاد حاضرة في كل انطلاقة ترجمة من لغوية صرفة ودلالية وسوسيوثقافية، وما انتباه المنظرين والمشتغلين في حقها للمعطيات

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

الميتالغوية، وللبعد الثقافي فيها -الذي عُرف بالمنحى الثقافي- إلا دليلاً على النظرة الاستشراقية لهؤلاء، والتزام علم الترجمة بجميع المسائل التي تدخل في تشكل الفعل الترجمي وبلورته، فمنها ما يرتبط بالمترجم، ومنها ما يتصل بالنص والناص معاً، ومنها ما يتعالق مع بيئتهما، إلى ما ذلك من مقتضيات الفعل الترجمي وأبجدياته.

يشتغل المترجم على النصوص بمختلف صنوفها الدينية والسياسية والأدبية والفلسفية...، وهو أمر ينطوي على تحديات جمة تفرض عليه توظيف استراتيجيات وإجراءات ترجمية قميّة بحل معضلات الفعل الترجمي ومأزقه من جهة، وتُمّاشي وأهداف الترجمة بحسب الوضعيات الخطابية المختلفة من جهة أخرى. ولعل من أبرز المنغصات التي قد تكدّر على المترجم مهمته مسألة البون السيميائي الشاسع الذي يفرق بين الجماعات البشرية، ولا يجمع بينها إلا نادراً في إطار (الجوامع الدلالية) (Semantic Universals) التي تتفق حولها هذه الجماعات بسبب طبيعتها الكونية وحضورها في كل اللغات عموماً، فالبيئة التي نحيا فيها تحتوي هي نفسها على أشكال ورموز وألوان تصبغ رؤيتنا لما يحيط بنا ثقافياً، الأصل فيها الأبعاد اللغوية والإثنوغرافية والاجتماعية والعقدية التي تضي عليها مفاهيم ودلالات موجهة، وهو ما يعني اختلاف تأويلها من مجموعة إلى أخرى. ويسعى المترجم في رحلة الغدو والرواح بين النصين الفصل والوصل إلى استتطاق كنه هذه الدلالات وشرح أبعادها وتفسير مضامينها بغية فهم الآليات المنتجة لها وسير العمليات فيها من دون إغفال بيئة النص الأول التي تعد حجر الزاوية في ذلك كله لكونها تشغل هذا الفضاء الرحب (النص) على الرغم من محدوديته حيزاً ونطاقاً، وتضفي عليه بصمة تسمه هي وجود مؤلفه بمبادئه وقيمه وفردانيته الشخصية، والمستجدات التي أثّرت في أحواله وواكبت حياته والسياقات المختلفة التي وردت فيها، ومنه القارئ للترجمة بوصفه يمتلك هو أيضاً شخصية متفردة لها مقوماتها ومُقدراتها يركن إليها في استيعاب الحقائق وفهم المقاصد، وأفق انتظار يستند إليه في وضع المنطلقات وبناء المسلمات وتوليف الإسقاطات في إطار سيرورة سيميائية لا تتقطع، قوامها سيميولوجيا التواصل والسيميوزيس وسيميوطيقا الثقافة، والقوامة عليها هوية المتخاطبين فيها، والقوامة بينها المترجم بوصفه حكماً عدلاً -كما ينبغي أن يكون عليه

الحال- يمضي في سبر العوالم السيميائية والسيميوطيقية، فيتجاوز الحثيات المادية إلى القوانين التي تُوَظَر عمل العلامات ضمن إطار زمكاني معلوم، ووضع اتصالي-تواصلتي مقنن ومضبوط.

2. في جدلية الهوية والترجمة (Identity Vs. Translation)

لقد ركزت الدراسات اللسانية والإنسانية الحديثة على استكناه طبيعة العلاقة الكامنة بين اللغة الأم والهوية الفردية أو الاجتماعية أو القومية التي تُعنى بها مجموعة بشرية معينة (Social group) -من المنظور الاجتماعي- وجماعة لسانية ما (Speech community) -من المنظور اللغوي الصرف-. وهذه الثنائية المائزة للمجتمعات فيما بينها هي الحلقة المفقودة في جدلية الهوية والترجمة بوصف الترجمة نشاطاً إنسانياً مركباً، يشتغل على الأنساق اللغوية ويقارب العوالم الهويةية في الآن نفسه. والمُعمُن النظر في جدلية الهوية والترجمة يلحظ وجود متغيرات محددة هي بمثابة المعيار الضابط لطبيعة هذه العلاقة ومقوماتها وأبنيتها ومخرجاتها. تتمثل هذه المتغيرات في العناصر التالية:

1.2. طبيعة اللغة وخصائصها (Language Nature and Characteristics)

تعد الترجمة، بمفهومها العام، نقل رسالة من لسان إلى آخر، لكن الترجمة بمعناها الخاص "التعبير في لغة معينة عن مضامين خطاب معين وُضع بلغة أخرى، كتابة أو شفاهة. من هذا المنظور، إذا أردنا أن ندخل في تفاصيل دينامية الترجمة وإمكانات نجاحها، لا بد لنا من تحديد اللغة وخصائصها"¹. وقد ميّز اللسانيون بين اللغة والأنماط التواصلية الأخرى من حيث التوصيف والتوظيف، ولعل أبرز ما نجد في هذا الصدد ما يلي:

¹ بسام بركة، الترجمة إلى العربية دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، في اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط1، الدوحة، قطر/بيروت، لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/يناير 2013م، ص25.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

أ. **الاعتباطية** (Arbitrariness): تعني الاعتباطية أنَّ "الكلمة" (أو الإشارة اللسانية، كما يقولون) تتكوّن من دال هو الصورة الصوتية، ومن مدلول هو الفكرة أو المفهوم، والعلاقة بينهما علاقة اعتباطية، بمعنى أنه لا يوجد أيّ عنصر في الدال يدلّ بطريقة مباشرة وضمنية على المدلول. لا يوجد في تنالّي الأصوات «س» + «م» + «ك» + «ة» ما يدل على فكرة «السمة» سوى الاتفاق أو المواضعة بين أبناء العربية لاستعمال هذه الأصوات المتتالية للدلالة على هذا الحيوان المائي².

ب. **الأنظمة** (Systematization): يُقصد بها أنَّ اللّغة نظام (System) يتضمن العديد من الأنظمة الفرعية الأخرى (Sub-systems)، فالمتكلمون بها -بموجب ذلك- ليس بمقدورهم "الخروج على القواعد التي تسوسها، ولا استعمالها في غير الوظائف التي وُضعت من أجلها. هناك ملاحظة عميقة جدّاً لرومان جاكيسون في هذا المجال، فهو يقول: "تختلف اللغات بعضها عن بعض جوهريّاً في ما «يجب» أن تعبّر عنه، وليس في ما «تستطيع» أن تعبّر عنه"³.

ج. **المفارقة** (Paradox): تحيلنا إلى مسألة أنَّ اللّغة تقوم على عناصر تتمايز في ما بينها على المستويات كلها. على سبيل المثال، هناك اختلاف على مستوى الصوت (الباء تُلفظ بطريقة مخالفة للفظ الفاء... إلخ)، وعلى مستوى الوظيفة النحوية (هناك تمايز بين الفاعل والفعل والمفعول، والأداة والحرف والكلمة... إلخ)⁴.

د. **التمفصل المزدوج** (Double Articulation): وهي أنَّ لكل خطاب مستويين اثنين: الوحدات الصوتية الصغرى أو الفونيمات (Phonemes)، والوحدات المعنوية الدنيا أو المونيمات (Monemes)، "فعلى المستوى الأول يتمفصل كل منطوق (Enoncé) خيطياً (Linéairement) في وحدات ذات معنى، وهذه الوحدات هي الوحدات الدالة (Unités significatives) والتي

² المرجع نفسه، ص 25.

³ بسّام بركة، مرجع سابق، ص 25.

⁴ المرجع نفسه، ص 25.

تشكل المورفيمات (Morphèmes) أصغرها وعلى المستوى الثاني تتم فصل في كل صوت وحدات مجردة من المعنى (Unités distinctives) وأصغرها الفونيمات (Phonèmes)⁵.

هـ. الإبداعية (Creativity): في حديثه عن اللغة، يركز نعوم تشومسكي Noam Chomsky -وكذلك رواد المدرسة التوليدية من بعده وأنصارهم- على مسألة (إبداعية اللغة) التي تعد بالغة الأهمية في تعلم اللغة الأم عند البشر على نحو خاص، بحيث يرى أنّ اللغة الإنسانية تقوم "على تنظيم منفتح وغير مغلق من العناصر، تتجلى فيه السمة الإبداعية عبر مقدرة المتكلم على إنتاج وعلى تفهم عدد غير متناه من الجمل لم يسبق له سماعها قبلاً. تختص هذه المقدرة بالإنسان وبالذات من حيث هو إنسان ولذا لا نجدها عند أي كائن آخر"⁶. ولا تخص هذه الإبداعية -كما يتوهم بعض الناس- الأعمال اللغوية أو الأدبية الخلاقة والفذة من نثر (Prose) وشعر (Poetry) فحسب، وإنما "كل إنسان يتكلم لغة ما قادر على أن ينتج جملاً متجددة لم يسبق له سماعها من قبل واستعماله لغته في مختلف المجالات التواصلية اليومية هو، في الحقيقة، استعمال إبداعي في ظل مفاهيم الألسنية التوليدية والتحويلية [...]"⁷.

2.2. اللغة وعلاقتها بالفكر (Language and Its Relation to Thought)

لقد أضحت مسألة اجتماعية اللغة (Sociability of language) من المسلمات عند علماء اللغة باختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وهو ما يؤكد وجود رابطة متينة بين الإنسان (أو الفرد الاجتماعي) والعالم الذي يحيا فيه (أو البيئة الاجتماعية) بوصف اللغة مكوناً اجتماعياً هاماً يسهم في تشكيل الشخصية البشرية وتفردتها (Idiosyncrasy). وتتبنى الهوية بدورها من خلال تعاطي الفرد مع ذاته ومع الآخرين بملكة التواصل اللغوي من جهة، ومع المحيط الذي يعيش فيه

⁵ حسين تروش، 'هجرة المصطلح التفاضل المزدوج من اللسانيات إلى النقد الموضوعاتي'، مجلة اللغة العربية، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 31، 2018م، ص98-99.

⁶ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ط2، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1406هـ-1986م، ص29.

⁷ المرجع نفسه، ص31-32.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

بالتفاعل (Interaction) مع مدخلات هذا الوسط ومخرجاته من جهة أخرى. وينتج عن التفاعلات المختلفة بين الأفراد وبيئاتهم الاجتماعية من خلال ثنائية اللغة والفكر ترسبات فكرية- تفكرية، وتراكبات اجتماعية، وخلفيات عقدية لا متناهية في الزمان والمكان. يقول أحمد إبراهيم محمد بني عطا في هذا الصدد: "[...] فاللغة منظومة ذهنية، ومنظومة الأفكار ما هي إلا منظومة اللغة، وهي التي تنتج الفكر، واختلاف اللغات لا يعني مجرد اختلاف في النظام النحوي التركيبي فقط، وإنما يعني اختلاف أنظمة ذهنية كذلك؛ ولهذا تختلف تصورات الإنسان عن العالم الخارجي، تبعاً لاختلاف اللغات، واللغة تصنيف وترتيب لتيار التجربة العملية التي ينتجها نظام مجتمع معين، والناس يؤدون المواقف بطريقة تشبه الطريقة التي يتكلمون بها عن هذه المواقف"⁸.

وبصاحب هذا الفكر والخلفيات المتصلة به الذهنية والمعرفية والسلوكية وغيرها تنميط محدد للعوامل المختلفة، وما يقترن بها من مسائل ووسائل. من هنا جاءت نظرية النسبية اللغوية (Linguistic Relativity Theory) لصاحبها بنيامين وورف Benjamin Lee Whorf وإدوارد سابيير Edward Sapir لتميط اللثام عن الطريقة التي ينظر بها أولئك الذين ينتمون إلى لغة معينة إلى العالم المحيط، التي تختلف في ماهيتها وطرائق اشتغالها والدلالات المفضية إليها عن المنظورات الخاصة بالمتكلمين بلغة أخرى، ذلك لأن "[...] مُسْتَحْدِمِي أَنْظِمَةِ نَحْوِيَّةٍ وَاضِحَةٍ الْاِخْتِلَافُ تَقْوِدُهُمْ هَذِهِ الْأَنْظِمَةُ نَحْوُ أَنْمَاطٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمُلَاحَظَةِ وَتَقْوِيمِ الْأَحْدَاثِ الْخَارِجِيَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ؛ وَمَنْ ثَمَ فَإِنَّهُمْ لَا يَتَسَاوَوْنَ فِي الْمُلَاحَظَةِ، بَلْ لَا بَدَأَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى رُؤْيٍ لِلْعَالَمِ مُخْتَلِفَةٍ بِدَرَجَةٍ مَا"⁹.

⁸ أحمد إبراهيم محمد بني عطا، "النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني الحديث (دراسة تأصيلية مقارنة)"، حولية كلية اللغة العربية بالقازيق، محافظة الشرقية-القازيق، مصر، العدد 38، المجلد 1، 2018م، ص454.

⁹ محي الدين محسوب، اللغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، ط1، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون/الجيزة، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، 1998م، ص29.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

يؤدي بنا الحديث عن علاقة اللغة بالفكر، وترميز العالم وتصوره إلى الحديث عن دور اللغة في تشكيل الهوية الثقافية لمنسبها، فقد أدرج علماء الأنثروبولوجيا اللسانيات وفلسفة اللغة والبنى الاجتماعية بمكوناتها ومكوناتها كافة ضمن المجالات التي تختص على نحو شامل بالثقافة والهوية. ونجد أنّ سابير Sapir نفسه قد ركز على بعدين رئيسيين في نسبيته اللغوية، يكمن الأول في أنّ اللغة التي يتداول بها أفراد المجتمع الواحد، ويستعملونها للتفكير "هي المنظم لتجربة هذا المجتمع، وهي تصوغ بالتالي «عالمه» و«واقعه الحقيقي» [...] وهي من ثم تتضمن ثقافةً مستقلةً تشمل رؤية الداخل (علاقة الإنسان بنفسه)، ورؤية الخارج (علاقة الإنسان بمحيطه)"¹⁰، ويتجلى الثاني في أنّ اللغة تبقى أهم الوسائل الاتصالية والتواصلية على الإطلاق نظراً لكونها "[...] تحقيقاً صوتياً لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية]"¹¹.

وتمدنا الممارسة الترجمية بالحجة الدامغة حول ذلك كله، بحيث لا ينبغي على المترجم العناية بالمعاني القاموسية للوحدات المعجمية فحسب، وإنما سبر أغوار هذه الوحدات واستحضار مدلولاتها الشعورية في سياق النص الأصل، ومن ثم إيجاد ما يكافئها في نسخته الوصل وعلى المستويات كافة، الإحالية والتعبيرية... ليضمن توصيل الرسالة ضمن الأطر القمينة بالمحافظة عليها من القصور والعوج.

ويؤدي الترميز بمختلف أنماطه ههنا دوراً حاسماً في جسر الهوة بين اللغوي (Linguistic) والميتالغوي (Metalinguistic) وهذا ما يجعل من النص المترجم تمثلاً حقيقياً للثقافة الباثية في الثقافة المستقبلية، وتجسيدا صريحاً لملكة المترجم التأليفية وقدرة فعله الإبداعية ومستوى إدراكه النوعي لمواطن الائتلاف والاختلاف بين اللغات ومعها ثقافتها.

¹⁰ بسام بركة، مرجع سابق، ص 29.

¹¹ المرجع نفسه، ص 29.

3.2. اللغة وإدراك العالم (Language and the World Apperception)

ثمة في أذهان البشر جميعهم عالمٌ واحد يحيون فيه، وعندما يتكلم الواحد منا عن العناصر التي يتكوّن منها هذا العالم، فإنّه حتماً سيتكلم عن العناصر نفسها المشكّلة له بغض النظر عن اللغة التي يستعملها¹². ومن هنا نقبل هوية الواقع أن تكون بمثابة الخاصية الثابتة (The Fixed Property) عند الجميع على المستوى الإدراكي، ومتجاوزة بذلك الفروق المائزة بين اللغات¹³. لكن الكيفية التي من خلالها تعيش الجماعات البشرية في هذا العالم بوصفهم كائنات تشغل حيزه، وطرق تفكيرهم فيه (Mindsets)، ومواقفهم منه (Attitudes)، ووقفاتهم العقلية اتجاهه (Stances) تختلف باختلاف ملكة اللغة الأم لديهم. غير أنّ ذلك لا يعني وجوباً أنّ "شخصين يتكلّمان لغتين مختلفتين يُفكران في الشيء ذاته أمام عنصر واحد من عناصر العالم الخارجي [...]".¹⁴ ويذهب دارسو أركيولوجية اللغة (Archaeology of Language) -ملكة مكتسبة كانت أم تطوراً عصبياً- إلى القول إنّ تشكل الجهاز القاعدي اللغوي "[...] قد تبلور وفق أسس آلية قوية تحكم التفاعل بين البيولوجي والبيئي بما في كليهما من عمليات عضوية واجتماعية رمزية؛ فمن خلال التعرض للمعطيات اللغوية في خضم التفاعل الاجتماعي بجميع أبعاده ومظاهره تحسنت الأداة اللغوية التواصلية ووظفت أحسن توظيف [...]".¹⁵ وقد قامت القاعدة التطورية من هذا المنظور على ركيزتين اثنتين: "الخلفية العصبية المناسبة، والبيئة التفاعلية الصالحة للاشتغال الذهني [...]".¹⁶ ويرى الأزهر زناد أنّ النهج الموضوعي لتفسير أصل الملكة اللغوية قد اتخذ منحنيين بارزين: المقاربة البيولوجية (The Biological Approach) والمقاربة الثقافية (The Cultural Approach). وإن كان البحث قد أفردوا للمقاربة الثقافية في اكتساب

¹² ينظر: بسلام بركة، مرجع سابق، ص30.

¹³ المرجع نفسه، ص30.

¹⁴ المرجع نفسه، ص30.

¹⁵ عبد الرحمن محمد طعمة، "التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية: قراءة بينية معاصرة لبعض القضايا الأولية"، رسالة المشرق، القاهرة، مصر، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد 30، العدد 4، 2015م، ص519.

¹⁶ المرجع نفسه، ص519.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الملكة اللغوية تعريفات شتى تختلف في التوصيف كما في التوظيف، فإننا لا نجد عدد التعريفات نفسها بالنسبة للمقاربة البيولوجية. وقد يعود السبب إلى الصعاب الجمة التي تطرحها مثل هذه المقاربات في وضع تعريف جامع ومانع لها. وعادة ما تُعرّف المقاربة البيولوجية، من منظور الاشتغال، على أنها "البحث في الآليات الفسيولوجية عامة والعصبية خاصة والعرفانية الكامنة في حصول الملكة اللغوية وإجرائها، ومن أسس هذا التوجه أن البشر يولدون مزودين بالملكة اللغوية في شكل ما عُرف بـ النحو الكلي، وهذه الملكة تحصل عند النوع بحكم التكيف البيولوجي المخصوص بالنوع البشري بمختلف ملكاته وعلى الأخص منها اللغة، وهذا النحو الكوني مر بمراحل مختلفة من بحث المبادئ العامة الموجهة والباراميترات، ثم الانتقال إلى بحث التحقق اللغوي من حيث آليات إنتاج الكلام وإدراكه، وعلاقة المكون اللغوي بالنظام المفهومي من حيث تخزين الكم الهائل من الرموز والوحدات المعجمية واستعمالها [...]".¹⁷

ويتحدد بموجب هذا التعريف مفهوم (المعنى اللغوي/Linguistic Meaning) الذي يرتبط بالفكر، فوجوده هو ما يؤكد أننا نتكلم عن الشيء نفسه عندما نترجم من لغة إلى أخرى (أو أن نقول الشيء نفسه تقريباً بحسب أمبرتو إيكو)، ومَرَدُّ ذلك إلى أن اللغات تقوم كلها على نمطية واحدة هي "الفطرة التي فطر الله عليها المخلوقات، والتي تعود إلى ملكة اكتساب اللغة، وإلى تسمية الأشياء عند آدم"¹⁸.

وينتقاطع التعريف البيولوجي للملكة اللغوية هنا مع مفهوم الملكة اللغوية في الترجمة (The Translational Linguistic Competence) التي تُعد عملية شمولية تنفرع إلى عمليات مصاحبة أخرى لأن المترجم بالأساس شخص تلتحم فيه العديد من الملكات من لغوية وتفاعلية وثقافية وبحثية ورقمية... ففي التعريف المذكور آنفاً مثلاً ثمة عمليات ثانوية تسير جنباً إلى جنب مع إنتاج الكلام وإدراكه كعملية الأفهمة (Conceptualization)، والتخزين (Storage) الذي

¹⁷ المرجع نفسه، ص 519.

¹⁸ بِسْمِ بَرَكَة، مرجع سابق، ص 30.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

يقصد به الحفظ، والاستعمال (Usage) الذي يعني استحضار الذاكرة بنوعيتها قصيرة المدى (Short-Term Memory) وطويلة المدى (Long-Term Memory).

ولا يقتصر المعنى في الترجمة على الجانب اللغوي فقط، وإنما يتساقط بشكل طبيعي مع المعنى الثقافي في كل منجز لغوي. فالأبنية اللغوية الجافة لها دلالات مختلفة بحسب السياق الذي تجيء فيه بوصف اللغة لا تقبل الفصل عن الثقافة، فكلاهما يمثلان الوجه واللقا للمقول الواحد. ولا يعد ذلك حكراً على الترجمة وإنما ظاهرة تقبل التصنيف ضمن ما نسميه بـ (جوامع اللغة/Universals of Language)، بحيث هناك بحسب سيلفان أورو Sylvain Aurox رابطة قوية بين "المقول (Dictum) الذي يرتبط بالتمثيل الذهني، والموقف (Modus) الذي يعني بطريقة التقويم التي يقوم بها الشخص المفكر"¹⁹.

وبإمكاننا أن ننقل بسهولة من الجمل الأكثر نحوية (Grammatical) على الإطلاق [ذهب علي إلى المدرسة] التي تبرز العلاقة الإعرابية بين العناصر اللغوية من فعل وفاعل ومكملات فعلية أخرى (المفعول به وظروف المكان والزمان) إلى جمل إبداعية (Creative) [إلى المدرسة، علي ذهب]، [علي إلى المدرسة ذهب]، [ذهب إلى المدرسة علي ...] التي تكشف عن الطرق المختلفة لأسلبة اللغة بحسب درجة عبقريتها (Genius of Language)، والخيارات والقيود اللغوية التي تمنحها لمتكلميها (Options and Servitudes)، والمواقف التواصلية والتخاطبية المختلفة، وهو ما يعني أن الفكر يتدخل على نحو حاسم في تخريج اللغة من خلال ثنائية (إدراك ماهية الشيء مقابل التعبير عن ماهية الشيء).

¹⁹ محمد أمين دريس، "المنجز اللغوي من الجملة إلى النص: المفاهيم التأسيسية والمبرهنات الإجرائية"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، المركز الجامعي لتامنغست، المجلد 09، العدد 01، 2020م، ص 69.

3. الترجمة والمآزق السيميائية المختلفة

(Translation and the Different Semantic Dilemmas)

يصطدم المترجم بالعديد من العقبات في نقوله، وتمثل العقبات السيميائية أبرزها على الإطلاق وأكثرها حضوراً في سير عملية الترجمة ومخرجاتها. كما تنتوع هذه المشكلات من حيث الصعوبة والعَوَص بحسب أنواع المستويات الدلالية التي يتعاطى معها المترجم، فهي تتراوح ما بين إشكالية الفجوات الدلالية (Semantic gaps) وإعادة الترميز البيثقافي (Intercultural Symbolization) للأمارات والأيقونات سيميوطيقياً. ويحتوي النص المصدر على مجموعة من العلامات السيميائية من علامات منطقية، وعلامات لسانية، وعلامات ثقافية، وعلامات اجتماعية، وعلامات عقدية... التي ينبغي على المترجم إعادة تجسيدها في النص الهدف مع مراعاة عنصر الوفاء في الجوانب كلها. وبإمكاننا أن نصنّف في هذا الإطار المشكلات السيميائية في الترجمة ضمن ثلاثة أنواع رئيسة هي: سيميولوجيا التواصل، والسيميوزيس، وسيميوطيقا الثقافة، أو بمعنى آخر المشكلات المتصلة بإدراك الدلالة وإنتاج الدلالة وإعادة ترميز الدلالة.

1.3. الترجمة ومآزق سيميولوجيا التواصل

(Translation and the Dilemma of Semiology of Communication)

يرى جواد بنيس -مترجم كتاب السيميولوجيا والتواصل لصاحبه إيريك بويسنس Eric Buyssens- أنه غالباً ما يتم تعريف السيميولوجيا (Semiology) بأنها "علم العلامات"²⁰، وهي علم لم ينشأ -في نظره- سوى في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويشير الكثير من الدارسين إلى أن "التفكير في العلامات قديم، بل إن اسم «السيميولوجيا» نفسه كان يطلق عند الإغريق على هذا المبحث الطبي الذي يُعنى بتعرّف الأمراض من خلال أعراضها

²⁰ إيريك بويسنس، السيميولوجيا والتواصل، ترجمة وتقديم جواد بنيس، ط2، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2017م، ص06.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

وأماراتها"²¹. وقد قدم الفلاسفة القدامى تصوراً واضح المعالم حول العلامة ما زال متداولاً إلى اليوم، وهو يتجسد من خلال الأبعاد الثلاثة التالية:

"- التعبير أو الجانب المادي من العلامة.

- المحتوى أو ما يُعبّر عنه، وله شكل غير ملموس.

- المرجع أو الشيء الذي تحيل إليه العلامة، وله شكل ملموس⁽¹⁾"²².

وترتبط السيميائيات والترجمة علاقة وطيدة ومترسخة لا تحتاج إلى أن نتوقف عندها ونستظهر تجلياتها بوصفهما "[...] يشتغلان بواسطة اللغة وموضوعهما هو المعرفة البشرية بصفة عامة، غير أن طريقة كل منهما تختلف باختلاف الوضعيات والسياقات ولكنهما يلتقيان في بناء العقل وصياغة المعرفة وتقديمها في شكل قابل للفهم والتداول"²³. وقد أصبح من الممكن بذلك أن نتصور مبحثاً يتدارس إحداثيات العلامات ومدلولاتها في "صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون قسماً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي قسماً من علم النفس العام، ونقترح تسميته بـ Sémiologie، أي علم الدلائل وهي كلمة مشتقة من اليونانية Sémeion بمعنى دليل ... وليست الألسنية سوى قسم من هذا العلم العام"²⁴.

يعد رومان جاكبسون Roman Jakobson أول من تطرق إلى طبيعة هذه العلاقة في بحثه المانع (المظاهر اللسانية للترجمة) (On Linguistic Aspects of Translation) الذي استلهم عناصره الرئيسة من نظرية الفيلسوف الأمريكي شارل سندرز بيرس Charles Sanders Peirce للسيميائيات العامة. يقترح جاكبسون Jakobson -في تمييزه بين طبيعة المعنى اللغوي والتكافئي- ثلاثة أنواع للترجمة: "الترجمة ضمن مجال اللغة الواحدة (intralingual)، والترجمة

²¹ المرجع نفسه، ص 06.

²² المرجع نفسه، ص 07.

²³ حسين خمرى، 'سيميائية الترجمة'، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، المجلد 3، العدد 3،

2007م، ص 203.

²⁴ المرجع نفسه، ص 204.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

بين لغتين مختلفتين (interlingual)، والترجمة بين أنظمة التخاطب المختلفة (intersemiotic) كنقل الرموز المنطوقة إلى رموز غير منطوقة²⁵(25). واستلهم هذا التتميط لأنواع الترجمة من أفكار فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure فيما يخص تعريفه للغة التي قال إنها "نظام من الإشارات التي يعبر بها عن الأفكار، ولذا فإنها تشبه نظام الكتابة، وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية، ومظاهر الأدب، والإشارات العسكرية.. إلخ... ولكن اللغة هي أشدهن أهمية²⁶(٢٦)، ومنه نفهم أن جميع الإشارات اللغوية منها وغير اللغوية توظف للتعبير عن الأفكار التي تختلج في ذهن الباث والمتلقي على حد سواء وتعمل في صديهما. وقد طور أصحاب الاتجاه السيميولوجي هذه النظرة وأشبعوها تحليلاً، فقد أكد كل من إريك بويسنس Eric Buyssens، ولويس ج. بريطو Luis J. Prieto، وجورج مونان George Mounin، وأندري مارتيني André Martinet أن "وظيفة اللسان الأساسية هي التواصل، ولا تختص هذه الوظيفة بالإنسية، وإنما توجد أيضاً في البنيات السيميائية التي تشكلها الأنواع الأخرى غير اللسانية، أي إن موضوع السيمياء هو التواصل المراد، وبخاصة التواصل اللساني والسيميائي"²⁷.

ويرى الكثير من الدارسين أن بويسنس Buyssens هو صاحب الفضل في التأسيس لسيميولوجيا التواصل بعد أن نشر كتابه (اللغات والخطاب) سنة 1943 سعياً منه لمقاربة اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا²⁸، غير أن أنصار دي سوسير De Saussure وضعوا شروطاً لسيميولوجيا التواصل أبرزها القصد (Intent)، فكل مرسله عندهم ينبغي أن تتوفر

²⁵ محمد أمين دريس، 'المترجم... ذلك المعجمي' (lexicologist) والمعجماتي (lexicographer) على مستوى النص، مجلة الإشعاع، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة د. طاهر مولاي-سعيدة، العدد 8، 2017م، ص79.

²⁶ عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية (Deconstruction) قراءة نقدية لنموذج معاصر، ط4، د م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص45.

²⁷ ميشال أريفييه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2002م، ص31.

²⁸ ينظر: دليلة مرسلتي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص - صورة)، تر. عبد الحميد بورايو، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، ص15.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

على "القصد في التبليغ لدى المتكلم، وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد"²⁹. وتطرح الترجمة مأزق القصد بحدّة، بحيث ينتقل المترجم في رحلة غدو ورواح بين كيانيين شموليين يختلفان في الماهية ومقومات الوجود وما يرتبط بهما من مسائل ثقافية وحضارية. ويتجسد القصد هنا بأن يقوم المترجم بنوع من التوليف بين المقامات على مستوى البنى السطحية، والسياقات على مستوى البنى التحتية ليظفر بالمعنى الذي ينبغي أن يكون تجسيدا حقيقيا لا افتراضيا للناس في اللغة المنقول منها وقصده الأول والأخير، وهو ما يشكل حرباً شعواء يخوضها المترجم ليحصل المعنى الذي يعده جورج شتاينر George Steiner بمثابة الأسير الذي يظفر به المترجم، فالقصد دائماً ما يكون تمثيلاً ذهنياً وشعورياً وسلوكياً يصعب الإمساك به لارتباطه الوثيق بملكة اللغة وإدراك العالم، أو ما اصطلاحنا على تسميته آنفاً بإدراك ماهية الشيء والتعبير عن ماهية هذا الشيء. ويقابل ذلك على المستوى النصي وجوب أن تحقق الترجمة معياراً من المعايير النصية السبعة (The Seven Standards of Textuality)، وهي المقصدية (Intentionality) التي من دونها -أو حتى من دون معيار واحد من المعايير الأخرى- لا يمكننا أن نعد النص حدثاً تواصلياً كما عبر عن ذلك صراحة كل من روبرت دو بوجراند Robert De Beaugrande وولفغانغ أولريتش درسلر Wolfgang Ulrich Dressler.

ويبرز إلى الوجود متغير آخر يُضاف إلى مأزق القصد، هي الأمارات والمعينات (Indications) التي يرى مبارك حنون بأنها تنفرع إلى أنواع ثلاثة هي:

"1- الأمارات **العفوية**، وهي التي تتكون من الوقائع التي تمدنا بإشارات دون أن تكون هذه الوقائع قد أنتجت لهذا الغرض سواء تعلق الأمر بالوقائع الطبيعية أم بالوقائع المصنوعة من قبل الإنسان بشكل لا إرادي أو وقائع مصنوعة ذات قصد مغاير لقصد الإشارة. مثال: لون السماء الذي يشير، بالنسبة إلى صياد السمك، إلى حالة البحر يوم غد.

²⁹ المرجع نفسه، ص192.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

2- الأمارات العفوية المغلوطة، ومثالها اللكنة التي ينتحلها متكلم ما راغب في إيهامنا بأنه أجنبي.

3- الأمارات القصدية: ويتعلق الأمر بالوقائع التي توفر إشارات أنتجت قصداً لتوفيرها وهي إشارات لا تَبْلُغُ هذا الهدف إلا شريطة الاعتراف بها بوصفها أنتجت لتَبْلُغَ ذلك الهدف. مثال: علامات المرور. وتسمى الأمارات القصدية علامة³⁰ (15).

فإذا كانت الأمارات القصدية تدخل في العرف التداولي بين المتكلمين لكونهم يتفقهون حولها من خلال الحوارية الكلامية والإنجازية التخاطبية في عملية التواصل، وما يتبع ذلك من اصطلاحات معلومة بينهم، والتشاركية الإنتاجية في فهم الكلام والاستمرارية فيه، تمثل الأمارات العفوية تحدياً كبيراً في الترجمة لكونها ترتبط بدلالات قد تفهمها مجموعة لسانية معينة مثل اللغة الاستعمالية عند الجماعات المهنية والحرفية التي تسمى بالرطانة (Jargon)، والمعاني الشعورية المتعارفة اجتماعياً بحسب مناسبات أو أزمنة محددة [وضع سلأت التفاح على واجهات المحلات ببريطانيا يوحي باقترب الدخول المدرسي]، [يمثل فصل الربيع بالنسبة لمربي الماشية فصل نماء القطعان وزيادة أعدادها لأن النعاج تلد صغارها فيسمى بالموسم]، وكذلك تفعل الأمارات العفوية المغلوطة بأن توهم المترجم بأن المعنى يتجلى في ظاهره، والحقيقة أنه متوارٍ في باطنه، ومثال ذلك مسألة ترجمة الاستلزام (الخطابي) (Implicature) الذي يعني الأسلوب البارع الذي يوظفه المتكلم لإسماح شيء ما أو لإفهامه دون التعبير عنه صراحة.

2.3. الترجمة ومأزق السيميوزيس (Translation and the Dilemma of Semiosis)

يسير المترجم في اشتغاله على النصوص باختلاف صُنُوفها وفق خط سير محدّد يهدف إلى نقل المعاني التي يزرع بها النص المصدر، ويعتمد في ذلك على التأويل (Interpretation) الذي يعد السبيل الأوحَد في انبثاق هذه المعاني وضبطها بما يماشى الأسس الترجمية المتعارفة أمانةً وجوداً على حد سواء. وقد ناقش علماء السيمياء مسألة إنتاج الدلالة في مباحثهم بوصفها

³⁰ مبارك حنون، دروس في السيميائيات، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار توفيق للنشر، 1987م، ص73.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

تُعنى بالبعد العلاماتي الموجود في كل مرسلّة، وتؤسس لمفهوم السلوك السيميائي الذي لا يعد "[...] سوى خروج عن إكراهات البيولوجي والطبيعي والولوج إلى عالم ثقافي مفتوح على كل الاحتمالات [...]".³¹ وبالتالي يتحول النص في العرف الترجمي من حيز مغلق على نفسه إلى ذات مفتوحة على الأمارات والإحالات المختلفة التي من شأنها أن تقضي إلى فك الارتباط الذي يجمع بين مؤلف النص الأصلي والمترجم، وإنفصام عرى الميثاق الغليظ الذي يربط بينهما من منظور أخلاقيات الفعل الترجمي.

لقد سُمي الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالة بالسيميزيس (Semiosis)، وهو يعرف بأنّه "السيرورة التي يشغل من خلالها شيء ما كعلامة"، وتستدعي ثلاثة عناصر يُنظر إليها باعتبارها الحدود التي من خلالها تستقيم السيرورة وتتحول إلى نسق يتحكم في إنتاج الدلالات وتداولها [...]".³² وإذا كان التأويل محدود المعالم في المكان والزمان، فإنّ السيميزيس تأويل لامتناهٍ يجمع بين أركان الفعل السيميوطيقي هي "الماثول (Représentamen) بصفته علامة، والموضوع بصفته علامة، والمؤول بصفته علامة [...]".³³ ومركزات البعد الإبيستيمولوجي التي تُعنى بثلاث استراتيجيات للمعرفة هي "الفرض الاستكشافي (Abduction) والاستقراء والاستنباط [...]".³⁴ بحيث لا يقف السيميزيس عند رصد المعنى الأولي الذي يحيل عليه التمثيل (أو الماثول) من خلال الإحالة الأولى، وإنما يتجاوز ذلك إلى إمكانية استمرار هذه الإحالة (Continuum) دون انقطاع كما قال بذلك بيرس Peirce. وثمة هنا إشارة صريحة لدور الفكر من خلال العمليات المعرفية التي منطلقها الفكر وموطنها العقل في كل إنسان، غير أنّ

³¹ سعيد بنگراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط3، اللاذقية، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2012م، ص258.

³² المرجع نفسه، ص258.

³³ هيرمان باري، "السيميوطيقا باعتبارها مشروعاً براديفغياً في تاريخ الفلسفة"، تر. عبد المجيد نوسي، مجلة نبئ Tabayyun للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة، قطر، فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 15، المجلد 04، 2016م، ص10.

³⁴ المرجع نفسه، ص10.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الترجمة وبعتمادها على هذه العمليات الذهنية من صياغة للفرضيات وتفكير استقرائي واستدلال استنباطي تجعل من الناقل شخصاً يختلف عن غيره في كونه يستدل بالقشر للوصول إلى اللُّباب، لكنه يعرف في الآن نفسه أنّه من غير المعقول أن نفصل القشر عن اللُّباب أو اللُّباب عن القشر، وأنّ القشر قد يؤدي دوراً بالغ الأهمية مثله مثل اللباب في الإمساك بالمعنى لكون المترجم "[...] ينطلق من المعنى، ويجري كل عمليات التحويل داخل مجال علم الدلالة"³⁵.

ولا يتوقف السيميوزيس عند إشكالية سيرورة الدلالة اللامتناهية، بل يتعداها إلى ربط العلامات بعضها ببعض، وهو ما ينجم عنه نظام من العلامات الجديدة يحددها السياق الثقافي والتداولي والتواضع الاجتماعي البشري، كما تحددها الأعراف والعادات الاجتماعية التي ألفت تأويلات معينة ورضيت بها في حقبة محددة، فهي تقبل التطور والتحول أو حتى الاندثار عبد الأزمنة والعصور نظراً للبعد التاريخي الحاكم بأمره في حياة البشر ومن المناحي كافة. إنّ من بين المشكلات الترجمة التي يطرحها السيميوزيس مسألة الترجمة الدونية (Under-translation) التي تعني الترجمة الهزيلة والقاصرة في التعاطي مع معاني النص المصدر وحتى بنيته التركيبية التي تعد بدورها علامة من العلامات الإشارية بمفهوم سيميولوجيا التواصل عند دي سوسير، وتقابلها الترجمة الزائدة (Over-translation) التي تتجاوز معنى النص، وتقضي إلى استمرارية في سيرورة الدلالة وإنتاجها. وثمة أيضاً أنواع المعاني المنبثقة عن سيميوزيس الفهم هي المعنى الخاطئ أو الخطل (Faux sens)، والمعنى المتناقض أو عكس المعنى (Contre sens)، واللامعنى (Non-sens). ويرجع ذلك إلى أسباب مختلفة تكمن أساساً في:

١- اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين في اللغتين.

٢- اختلاف التوزيع السياقي لكلمتين تبدوان مترادفتين في اللغتين.

٣- الاستعمالات المجازية.

٤- اختلاف التصنيفات الجزئية.

³⁵ جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، تر. لطفي زيتوني، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي، 1994م، ص67.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

- ٥- التلطف في التعبير واللامساس.
- ٦- الإيحاء والجرس الصوتي.
- ٧- اختلاف المألوفات الثقافية والاجتماعية³⁶.

3.3. الترجمة ومأزق سيميوطيقا الثقافة

(Translation and the Dilemma of Semiotics of Culture)

يتعامل البشر مع الثقافة بما تحتويه من أشياء، ومن أبرز ما تحتويه الثقافة الأشكال والألوان والأمكنة بدلالاتها المختلفة، وهو ما يجعلها تتعالق مع الأبعاد الإثنوغرافية والاجتماعية التي تضيف عليها مفاهيم مختلفة ورمزية متعددة، تختلف تأويلاتها وفهمها من مجموعة لسانية إلى أخرى بحسب نظرة كل مجموعة إلى العالم. ويعد هذا المبحث الشغل الشاغل لسيميوطيقا الثقافة (Semiotics of Culture) التي تسعى إلى استنطاق هذه الدلالات وشرح ماهيتها بغية فهم الآليات المنتجة لها وسير العمليات فيها، من دون إغفال دور الكائن البشري الذي يُعتبر حجر الزاوية في ذلك لكونه يشغل هذا الكون الفسيح، ويضيف عليه التحولات التي تواكب حياته وتقرن بقيمه.

وتعد الممارسات والنشاطات البشرية المختلفة معيّنات لا ينضب بالنسبة لمبحث سيميوطيقا الثقافة لأنها تضعها في دائرة العلاماتية التي تنظر إلى الجوهر الثقافي بأنه مخبوء بالأشياء الثقافية التي تضيف عليه أبعاداً دلالية متنوعة. ويعتبر رولان بارث Roland Barthes الفضاء بنية دالة تدعونا إلى افتراض نصيات أخرى تسري في الظواهر الاجتماعية والممارسات اليومية³⁷، فالفضاء من منظور بارث ليس سلبياً ولا صامتاً، وإنما يضم مجموعة من الدوال

³⁶ عمر أحمد مختار، علم الدلالة، ط5، القاهرة، عالم الكتب، 1998م، ص251-252.

³⁷ ينظر: آمال برواق، سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثال الثقافية المعمارية، دراسة تحليلية سيميولوجية لحى العربي بن مهدي-قسنطينة-، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012م، ص06.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

المترسخة في أنظمتنا الثقافية من عادات وتقاليد وتراتيبات وما إلى ذلك. ويرتبط الدرس السيميائي المعاصر ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنيوي الذي فتح الباب واسعاً أمام اللسانيات لتستفيد من العلوم الأخرى مثل الأدب والأسلوبية وعلم النفس وعلم الاجتماع... وقد وجدت السيميائية في علوم اللغة مرتكزاً تقوم عليه، وتستقي منه تقنيات عملها وآليات تحليلاتها خاصة ما ارتبط بسيمياء الدلالة التي تعتمد إلى تطبيق الثنائيات السيميائية على تيمات غير لغوية، تُعنى بالموثوث الثقافي بشكل عام. ويعرّف جميل حمداوي سيميوطيقاً الثقافة أو الثقافات (Sémiotique de la culture) بأنها "دراسة الأنظمة الثقافية باعتبارها دوالاً وعلامات وأيقونات وإشارات رمزية لغوية وبصرية، بغية استكناه المعنى الثقافي الحقيقي داخل المجتمع، ورصد الدلالات الرمزية والأنثروبولوجية والفلسفية والأخلاقية. ولا تقتصر هذه السيميوطيقا على ثقافة واحدة أو خاصة، بل تتعدى ذلك إلى ثقافات كونية تنسم بطابع عام، قوامها: الانفتاح، والتعايش، والتواصل، والتكامل، والتعددية، والتهجين، والاختلاف، والتنوع، والتسامح، والتعاون، والمناقشة، وتداخل النصوص (التناص)، وتعدد اللغات والثقافات...³⁸.

وثمة قضايا هي من الأهمية بمكان تشغل عليها سيميوطيقا الثقافة هي: "الإبداع، والآداب، واللغة، والفن، والفلكلور، والترجمة، والأدب المقارن، والتواصل، وعلاقة الأنا بالآخر، وأدب الصورة، وأدب الرحلة...³⁹". والترجمة بوصفها علماً ببنياً (Multidisciplinary) تبرز إلى الوجود مأزق بناء المعنى الثقافي من منظور الثقافة وسيميوطيقيتها، فقد يصطدم المترجم عند نقله لمرسلة من لغة إلى أخرى ببعض الحقائق الثقافية المنفردة في اللغة/الثقافة الأصل؛ أي في حالة اللاترجمة الثقافية مما يؤدي إلى مقاومتها لعملية الترجمة⁴⁰. ومنه صعوبة بل واستحالة

³⁸ جميل حمداوي، 'سيميوطيقا الثقافة (بيوري لوتمان نموذجاً)'، مجلة تمثيلات Representations، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري-تيزي وزو، المجلد 2، العدد 1، 2017م، ص 59-60.

³⁹ هويدا صالح، مقاربات في النقد الفني، ط1، تقديم رمضان بسطاوي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دار بئانة للنشر والتوزيع، 2017م، ص 11.

⁴⁰ voir: Paul Bensimon, Traduire la culture, Palimpsestes, N° 11, Presses de la Sorbonne Nouvelle, 1998, p10.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

إيجاد ما يقابلها في اللغة المنقول إليها، وهذا ما يلغي فكرة التطابق الكلي بين اللغات بدءاً بالطريقة التي تُنظم بها، التي تختلف حتى عند تعاملنا مع الحالات التواصلية نفسها، وهو ما يعني أنه "ليس هناك من لغتين متشابهتين بشكل كاف لكي يتم عدّهما ممثليين لواقع اجتماعي واحد. فالعوالم التي تعيش فيها مجتمعات مختلفة هي عوالم متميزة، وليست مجرد عوالم متطابقة"⁴¹. وما يثبت هذا الطرح جهود علماء الإناسة في فهم الظواهر الثقافية ومعها مشايعوها من البشر، فقد قام إدوارد. تي هال Edward T. Hall بدراسة أشكال التواصل المختلفة بين العديد من الثقافات، أهمها مسألة التحكم بالسياق (Context) والزمن (Time) والمكان (Place) في كل ثقافة، واستخلص أن هناك نمطين من الثقافات: ثقافات غنية السياق وأخرى فقيرة السياق بحسب درجة وضوح كل مرسل⁴².

يثير التواصل الثقافي صعوبات جمة لكونه يتجاوز المعرفة اللغوية لأنّ اللغة في الواقع ليست سوى قمة جبل الجليد المغمور. وتأتي العناصر المعجمية ضمن شبكة من العلاقات المتداخلة، وتعطي معانيها المبوّية في القواميس والطرق الجاهزة التي تقدمها بها المعاجم قيمة نسبية⁴³، وهذا ما جعل من الحقول الدلالية -الفوارق ودرجات المعنى- ثقل أو تعظم من لغة إلى أخرى. فلغة (الغوشو) التي تتكلمها قبائل (مابوش) -وهم القبائل الأصليون في الأرجنتين- تتوفر على حقل دلالي واسع يضم ما لا يقل عن مئتي (200) عبارة تحيل كلها على جلود الأحصنة، فيما تحصى اللغة الفرنسية عدداً أقل بكثير مما هو متداول في هذا الصدد⁴⁴.

⁴¹ محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس، ط1، الأردن، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1998م، ص36.

⁴² ينظر: ماثيو غيدر، الثقافة والتواصل والترجمة، تر. محمد أحمد طجو، مجلة الآداب الأجنبية، دمشق، سورية، اتحاد الكتاب العرب، المجلد 34، العدد 140، 2009م، ص05.

⁴³ see: Farouk A.N Bouhadiba, Semantic Fields and Translation, Al Mutargim, Algeria, Laboratory of Translation Didactics and Multilingualism, University of Oran, N° 01, 2001, p68.

⁴⁴ George Mounin, Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Paris, Gallimard, 1963, p72.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

يمكن أن تفسر مسألة اختلاف اللغات ثقافياً بموضوعية المدلول وذاتية الشحنة الثقافية المشتركة؛ أي بموضوعية المنهج الدلالي وذاتية المنهج البراغماتي. فعندما نقوم بتقطيع الواقع نفسه الذي ينشأ عن الإحالة نفسها، يحدث أن يكون لمدلولات متطابقة في لغتين شحنات ثقافية مختلفة. ومثال ذلك كلمة (بقرة) (vache) التي تدل من دون شك على الشيء نفسه في الهند وفرنسا بوصفها من الثدييات وأنثى الثور، أما بالنسبة لمسألة الشحنة الثقافية لهذه الكلمة في اللغتين فالأمر سيختلف، ذلك أن للبقرة في الهند بعداً ثقافياً دينياً لأنها محمية إلى درجة الألوهية، في حين يُنتع بلحمها وجلدها في فرنسا لأنها مصدر للغذاء.⁴⁵

فإذا تحقق البعد الثقافي نفسه في اللغة المنقول إليها، فإن ذلك لا يعني البتة أن هذه الشحنة الثقافية ستحدث الأثر نفسه. ونقصد بذلك البعد الديناميكي للترجمة، فمتى أراد مترجم عربي على سبيل المثال أن ينقل المقولة الانجليزية (love me love my dog) إلى اللغة العربية، وجب أن يضع في حسابه أن الثقافة العربية الإسلامية تحرّم اقتناء الكلاب إلا ما استثناءه الشرع (الحراسة أو الصيد). فلا يمكنه إذن أن يحتفظ بكلمة (كلب) التي لا توحى إلى القارئ العربي بما توحى به إلى القارئ الغربي. وهذا الاختلال الثقافي بسبب مكانة الكلب في الثقافتين العربية (التي تنظر إليه على أنه حيوان يتصف بالوفاء لصاحبه)، والإنكليزية (التي تعدّه فرداً من أفراد العائلة الواحدة، يعيش في كنفها ويحزن لأجله إن هو أصيب بمكروه) يضطر المترجم إلى تكييف المرسلة مع أفق انتظار القارئ المستقبل ليصبح المقابل عندها "إكراماً لعين تكرم مرجعون"⁴⁶. ويمكننا هنا أن نترجمها ببيت شعري لصاحبه المُنخّل يشكري بغية تصوير البعد الثقافي نفسه كأن نقول "وَأُجِبُّهَا وَتُجِبُّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي"⁴⁷، ومن ثم الإشارة إلى ما يمثله الجمل للرجل العربي في البيئة البدوية الصحراوية حياً ووداً بدلاً من الكلب.

⁴⁵ ينظر: ماثيو غيدر، مرجع سابق، ص 07.

⁴⁶ Hasan Ghazala, The translator's Dilemma with Bias (English-Arabic), Babel, vol.48, N°2, 2002, p152. (In Hasan Ghazala, ESSAYS IN TRANSLATION AND STYLISTICS, Beyrouth, DAR EL-ILM LILMALAYIN, 2004, pp149-167).

⁴⁷ Ibid, p152.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

ولا نستثني في هذا الصدد العادات السلوكية للأفراد في البيئة الاجتماعية الواحدة، فقد عبّر عنها بيتر نيومارك Peter Newmark بالإيماءات والإشارات وحركات الجسم. ومثال ذلك (البصق) الذي يتخذ معنى التبريك⁴⁸ في بعض الثقافات، وهو ما قد تعدّه ثقافة أخرى إهانة صارخة.

وقد ميّز أوجين ألبير نيدا Eugene Albert Nida على هذا الأساس بين خمسة أنواع من المشاكل الثقافية قد تتغص على المترجم عمله، ووافقه في ذلك نيومارك Newmark الذي أعطى بدوره خمسة تصنيفات للفئات الثقافية هي على التوالي:

1. البيئة الطبيعية (الأيكولوجية)

النبات والحيوان، أنواع الرياح المحلية، الجبال والسهول...

2. الثقافة المادية

الطعام والهندام والسكن ووسائل النقل ووسائل الاتصال...

3. الثقافة الاجتماعية

الأعمال وأوقات الفراغ

4. التنظيمات الاجتماعية، التصورات المختلفة والتقاليد

من اجتماعية وسياسية وقانونية ودينية وفنية.

5. العادات والإيماءات

الخصائص غير لغوية⁴⁹.

انطلاقاً من هذه التصنيفات للفئات الثقافية، يمكننا أن نميّز بين ثلاثة أنواع من المشاكل الترجمية المرتبطة بسيميوطيقا الثقافة: أولها المشاكل الترجمية المتصلة بالبيئة الإنسانية عامة،

⁴⁸ بيتر نيومارك، **الجامع في الترجمة**، تر. حسن غزالة، د ط، طرابلس، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ص 138.

⁴⁹ see: Hasan Ghazala, Translatability of Cultural Terms (English-Arabic): Translation Mechanisms, Turjuman Translation Journal, vol.11, N°2, 2002, p172-173. (In Hasan Ghazala, ESSAYS IN TRANSLATION AND STYLISTICS, Beyrouth, DAR EL-ILM LILMALAYIN, 2004, pp169-193).

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

ويدخل في عموم ذلك ما اصطلحت عليه جماعة بشرية تسميته من جغرافيا وتضاريس وأسماء طوبونيمية مختلفة، وأسماء النباتات والحيوانات وأنواع المناخ وغيرها. تلبيها المشاكل الترجمية التي ترتبط بالحياة الاجتماعية والمادية والملاحم الشعبية الضاربة في جذور كل مجتمع. أما آخرها فهي المشاكل الخاصة بالمحظور عموماً (The banned) من مسائل أخلاقية ودينية وغيرها، فقد يصعب على سبيل المثال نقل مفهوم الفصول الأربعة لشعب لا يعرف إلا فصلين⁵⁰. وقد تكون المعاناة أكبر عند نقل أسماء الرياح المحلية السائدة في بيئة جغرافية معينة مثل (السيروكو) الريح الجنوبية الحارة أو الريح الموسمية الهندية (monsoon)، أو أسماء بحيرات مثل البحيرة الاسكتلندية (loch).

وقد يشكل توظيف اللهجات المحلية (Dialects) واللهجات الشخصية (Idiolects) واللهجات الاجتماعية (Sociolects) في النص المراد ترجمته مشقة أخرى بالنسبة للمترجم خاصة إن هي تداخلت مع اللغة الفصحى، أو كما سماه أنطوان برمان Antoine Berman بـ (التراكب اللغوي) (Superposition des Langues). وقد عُرفت هذه الظاهرة عند الكثير من الأدباء العرب مثل نجيب محفوظ الذي كان يوظف في رواياته وقصصه حوارات بين شخصيات تتكلم العامية أو لهجة من اللهجات المحلية، لتنتقل بعدها إلى اللغة العربية الفصحى في إطار منحنى تصاعدي وتنازلي وفقاً لما أراده الكاتب. وبإمكاننا أن نشير هنا إلى القصص الشعبية والملحومات البطولية التي كانت تُروى على لسان الحكواتي في مصر وبلاد الشام، وطرائق نظمها بالتراكيب المسجوعة إيقاعاً، المستقاة من السجل العامي الخاص بلهجة تلك البلاد، الشيء الذي قد يجعل المترجم يُجسّ بنوع من التعريب اللغوي والدلالي لا يمكنه التعاطي معه إلا إن هو فهم المكنون اللغوي العامي، وتفاعل مع الإيقاع فيه، وأحس بمخارج بعض الحروف التي تنطق بوجه خاص. وقد يتساءل الواحد منا كيف السبيل إلى ترجمة عبارات مثل [يدك كثير فت خبز]، [يا أرض

⁵⁰ voir: George Mounin, Les Problèmes Théoriques de la Traduction, op.cit, p62.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

اشتدي ما حد قدي]، [عيش يا غديش حتى ينبت الحشيش]، [يا همّالي]⁵¹ إلى اللّغتين الفرنسية أو الإنكليزية.

4. الخاتمة

تعد الترجمة فسحة رحبة تلتقي فيها العلامات والدلالات المختلفة، بمضامينها اللّغوية والميتالغوية، التصريحية والضمنية على حد سواء ما يؤسس لفكرة الارتحال من ضفة إلى أخرى، وإبراز متعة العيش وشغفه. ولكن الترجمة تطرح أمام المترجم أيضاً مأزق جمة يصعب عليه تجاوزها في الكثير من الأحيان، بحيث يشكل البعد السيميائي في هذه المعوقات الجانب الخفي ومسألة الحسم في الآن نفسه، لأن المعنى لا يستقيم والقصد لا ينكشف من دون دلالة تبرزهما إلى الوجود. وقد تبين لنا من خلال ما تقدم كيف تجتمع متغيرات سيميولوجيا التواصل والسيميوزيس وسيميوطيقا الثقافة لتصنع ماهية المجموعات اللسانية هوياتياً ضمن نطاق الكونية التي لا تقبل أن يتلاعب بها المترجم أو يتصرف فيها إلا ضمن أطر منظمة وحدود مضبوطة هي استراتيجيات الترجمة وإجراءاتها المختلفة. وبالتالي فإن الترجمة مجال خصب تراه، ومعين لا ينضب ماؤه بالنسبة لكل دارس يرنو إلى تسليط الضوء على الثقافات البشرية من منظور سيميائي المقول دلالة وثقافة، وعلى المستويين النظري والإجرائي، الذي سيمكّننا من تحليل النصوص والخطابات ومعها الأنظمة الثقافية من خلال معايير مفاهيمية محكمة، ومنهجيات علمية رصينة من شأنها أن تبرز علاقة الأنية (Selfhood) بالغيرية (Otherness) في إطار النص موضوع الترجمة، ومنه فهم الطريقة التي تتحول بها الأمارات من نص مصدر إلى نص هدف، وتبيان أساليب النقل الجديرة بحفظ البعد الثقافي وإبراز التمايز فيه.

⁵¹ عبد الله الشناق، 'صعوبة ترجمة آداب المهمشين، هيلة بشرى نموذجاً'، مجلة المترجم، الجزائر، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران، العدد 12، 2005م، ص159.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

المصادر والمراجع (مرتبة ترتيباً ألفبائياً)

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، القاهرة، عالم الكتب، 1998م.
- أريفيه ميشال وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2002م.
- الشناق عبد الله، 'صعوبة ترجمة آداب المهمشين، هبيلة بشرى نموذجاً'، مجلة المترجم، الجزائر، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران، 12، 154-166، 2005م.
- الغدامي عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (Deconstruction) قراءة نقدية لنموذج معاصر، ط4، د م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- باري هيرمان، 'السيميوطيقا باعتبارها مشروعاً برادغمياً في تاريخ الفلسفة'، تر. عبد المجيد نوسي، مجلة تبئ Tabayyun للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة، قطر، فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 04 (15)، 7-21، 2016م.
- بركة بسام، الترجمة إلى العربية دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، في 'اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح'، ط1، الدوحة، قطر/بيروت، لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/يناير 2013م.
- برواق آمال، سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثلات الثقافية المعمارية، دراسة تحليلية سيميولوجية لحي العربي بن مهدي -قسنطينة-، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012م.
- بنگراد سعيد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط3، اللاذقية، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2012م.
- بني عطا أحمد إبراهيم محمد، 'النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني الحديث (دراسة تأصيلية مقارنة)'، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، محافظة الشرقية-الزقازيق، مصر، 38 (1)، 440-497، 2018م.

..... الهوية ومأزق الترجمة من منظور سيميائي

- بويسنس إيريك، السيميولوجيا والتواصل، ترجمة وتقديم جواد بنيس، ط2، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2017م.
- تروش حسين، 'هجرة المصطلح التفصيل المزدوج من اللسانيات إلى النقد الموضوعاتي'، مجلة اللّغة العربية، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، (41)، 95-120، 2018م.
- حمداوي جميل، 'سيميوطيقا الثقافة (يوري لوتمان نموذجاً)'، مجلة تمثلات Representations، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري-تيزي وزو، 2 (1)، 59-82، 2017م.
- حنون مبارك، دروس في السيميائيات، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، 1987م.
- خمري حسين، 'سيميائية الترجمة'، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 3 (3)، 203-215، 2007م.
- دريس محمد أمين، 'المنجز اللغوي من الجملة إلى النص: المفاهيم التأسيسية والمبرهنات الإجرائية'، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، المركز الجامعي لتامنغست، 09 (01)، 65-83.
- دريس محمد أمين، 'المترجم... ذلك المعجمي (lexicologist) والمعجماتي (lexicographer) على مستوى النص'، مجلة الإشعاع، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة د. طاهر مولاي-سعيدة، (8)، 69-96، 2017م.
- زكريا ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ط2، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1406هـ-1986م.
- شاهين محمد، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس، ط1، الأردن، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1998م.
- صالح هويدا، مقاربات في النقد الفني، ط1، تقديم رمضان بسطاويسي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دار بتانة للنشر والتوزيع، 2017م.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

- طعمة عبد الرحمن محمد، "التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية: قراءة بينية معاصرة لبعض القضايا الأولية"، رسالة المشرق، القاهرة، مصر، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 30 (4)، 507-550، 2015م.
- غيدر ماثيو، الثقافة والتواصل والترجمة، تر. محمد أحمد طجو، مجلة الآداب الأجنبية، دمشق، سوريا، اتحاد الكتاب العرب، 34، (140)، 35-54، 2009م.
- محسب محي الدين، اللغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، ط1، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون/الجيزة، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، 1998م.
- مرسلي دليلة وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص - صورة)، تر. عبد الحميد بورايو، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م.
- موانان جورج، المسائل النظرية في الترجمة، تر. لطفي زيتوني، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي، 1994م.
- نيومارك بيتر، الجامع في الترجمة، تر. حسن غزالة، د ط، طرابلس، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، د ت.
- Bensimon Paul, Traduire la culture, Palimpsestes, Presses de la Sorbonne Nouvelle, (11), 9-14, 1998.
- Bouhadiba Farouk A.N, Semantic Fields and Translation, Al Mutargim, Algeria, Laboratory of Translation Didactics and Multilingualism, University of Oran, (01), 43-62, 2001.
- Ghazala Hasan, The translator's Dilemma with Bias (English-Arabic), Babel, 48, (2), 147-162, 2002. In Ghazala Hasan, ESSAYS IN TRANSLATION AND STYLISTICS, Beyrouth, DAR EL-ILM LILMALAYIN, 2004, pp149-167.
- Ghazala Hasan, Translatability of Cultural Terms (English-Arabic): Translation Mechanisms, Turjuman Translation Journal, 11, (2), 67-90, 2002. In Ghazala Hasan, ESSAYS IN TRANSLATION AND STYLISTICS, Beyrouth, DAR EL-ILM LILMALAYIN, 2004, pp169-193.
- Mounin George, Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Paris, Gallimard, 1963.

المظاهر الثقافية للترجمة

بعض المفاهيم الرئيسة

د. عادل داود

جامعة البعث – كلية الآداب
الجمهورية العربية السورية

نبدأ بتقديم ملاحظة تمهيدية، تبدو بدهية للمختص. ولكن يجدر برأينا إعادة تأكيدها دائماً أبدأ، ما دمنا نسمع تكراراً مصدره العُرف والتجريب، من مؤتمر إلى مؤتمر ومن مقال لآخر، لحُجج هدفها التوسّع، إذ تسوّغ لنوع من تعذّر الترجمة، مثل: «ليس له وقع سليم» أو «نشعر أنه مترجم» أو «لن يفهم القارئ ذلك»، إذ تتركّن هذه الحجج كاملةً في إطار اللغة، ولا تراعي الخطاب (وفق نظرة إيميل بينفينيست)، وتحدّ من قيمة الطاقات الكامنة في عمل إعادة الكتابة ضمن العملية الترجمية. وتكمن هذه الملاحظة في أنّ الترجمة ليست عملية لغوية فحسب، بل تُؤخّذ بمجملها في مجموعة من العلاقات الاجتماعية والثقافية المتبادلة، وذلك في كنف ثقافتها الخاصة أولاً، ومن ثمّ بين الثقافات الأجنبية المعنية؛ فتؤدّي العوامل الثقافية بالمحصلة دوراً كبيراً في الترجمة عموماً؛ بما فيها ما سُمّي عُرفاً: الترجمة العلمية والتقنية، وإن لم يكن هذا النوع من الترجمة المكان الذي تبرز فيه الرهانات الثقافية بحدّتها الأشد.

ولم تكن اللقاءات المخصّصة بكمالها لموضوع المظاهر الثقافية للترجمة شائعة حتى عهد قريب¹. ونذكر أن جورج موانان بيّن قبل أكثر من أربعين سنة، في كتابه: **المشكلات النظرية في الترجمة** (الفصل الثالث عشر)، ما سمّاه حدّثاً نظرياً، أعرب عنه بالآتي: «تتطلب ترجمة لغة

¹ هذا المقال نسخة أُعيدت مراجعتها وتنقيحها لمحاضرة ألقينها في أثناء: «المؤتمر الدولي الأول: المظاهر الثقافية للترجمة»، الذي نظّمته جامعة يلدز التقنية في اسطنبول (تركيا)، من 22 إلى 24 تشرين الأول 1997.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

أجنبية تحقيقَ شَرْطَيْنِ، يكون كل واحد منهما ضرورياً، ولا يكون أيٌّ منهما كافياً بذاته؛ وهُما: دراسة اللغة الأجنبية، والدراسة (المنهجية) للممارسات والتفاعلات الاجتماعية الخاصة بالمجموعة البشرية التي تعبّر عنها هذه اللغة المترجمة. ولا تكون أي ترجمة لاثقة بوجه تام إذا لم يُراعَ هذان الشَّرطان» (جورج مونان، 1963: 236).

ويُرجى بطبيعة الحال استحضار علوم إنسانية أخرى، للاشتغال بعلم ترجمة ذي أوجه عدة. ويتّجه تفكيرنا على الأخصّ إلى الأدب والتاريخ واللغويات والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والتحليل النفسي والفلسفة.

وينبغي القول إنه بعد عام 1963، وهو عام نشر كتاب: **المشكلات النظرية في الترجمة**، تأخّر تلقّي نداء مونان آذاناً صاغية. وبحوزتنا مقالات كثيرة تُعالج مشكلات دقيقة لها صلة بالمظاهر الثقافية للترجمة، غير أننا لدينا قليل من الأعمال التي حاولت الاشتغال على الإشكالية الثقافية بمجملها، وإقامة علاقةٍ بينها وبين الإشكاليات الأخرى في عمل الترجمة. بيد أن هنري ميشونيك (1973) صاغ في فرنسا، في السبعينيات من القرن العشرين، مفهوم: «اللغة-الثقافة» في إطار تفكّره عن الشاعرية، فأراد الإشارة إلى أن اللغة وثقافتها يكونان كلاً واحداً لا يتجزأ.

وتحليلات هنري ميشونيك معروفة، لدرجة تجعلنا لا نُطيل الوقوف عندها. ولكننا ابتغي هنا الإشارة إلى رغبته في التفكّر بالترجمة ضمن إطار ثقافي رحب، يتضمّن التاريخ والأدب والكلام والناحية السياسية. ثم أثار عملُ كتبه أنطوان بيرمان، عام 1984، انتباه المترجمين والعاملين في علم الترجمة، مُبيناً الدور الذي يمكن لحركة ثقافية بأكملها إعطاؤها للترجمة، وتناول في هذا السياق الدور الذي تخيّل الرومنطقيون الألمان. وسعينا من ناحيتنا إلى وضع الترجمة في صميم الإشكالية الثقافية. وأظهرنا أهمية معالجة التاريخ المعرفي للترجمة، ووضع ممارسة الترجمة في إطار أخلاقي، لنقدّم نظرة مَرَجية، لكنها غير وافية، عن المشكلات التي يصادفها المترجمون في ترجمة بعض الأعمال، وتكمن غاييتنا أيضاً في تحديد بعض التوجّهات للعمل والبحث (كوردونييه، 1995).

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

ونبتغي -في حدود هذا العرض- الإتيانَ بتوضيحات عن خمسة مفاهيم رئيسة، وهي أيضاً خمسة حقول رئيسة. فنرجو أن يُطوّر حولها في قادم الأيام عملُ إبراز القيمة الاجتماعية لنشاط الترجمة، وعمل التفكير العلمي في الترجمة؛ وهي: الغيرية، والتاريخ، والنقد، والأخلاق، ومهام الترجمة².

وتخصّ الملحوظات الآتية المؤلفات، أي تلك النصوص التي تُنشئُ جوهرَ الثقافة وتمثّلها، وتكوّن جذور الثقافة، وتُوجد الخطاب (وفق نظرة إيميل بينفينيست أيضاً) عبر فعل الكتابة الذي يتخلّلها، وتُعيد نشر الثقافة نحو أفاقٍ أخرى تُسمي متوسّعة فتزيد الثقافة اتساعاً. وأحتاطُ من الناحية المنهجية لِكَيْلا أنحصَرَ فيما يسمى تقليدياً: «الدراسات السابقة». لذا يمكننا أن نُدرج في حقل دراستنا مؤلفات تنتمي أيضاً إلى المجال العلمي، إذ إننا نواجه نصوصاً تبرز فيها أسلوبية شاعرية تكون من صنع فردٍ كاتبٍ (وفق نظرة هنري ميشونيك)، أي هي شاعرية لا تنتمي إلا لذاتها.

ويترك عنوان مقالنا حقلاً واسعاً من الممكنات فيما يخصّ إدراك مفهوم الثقافة. ويمكن أن يُقصَد بـ«المظاهر الثقافية» الدلالات والملاحم الثقافية، ومشكلة استيرادها إلى لغة الترجمة. ولن ينصبّ اهتمامنا اليوم في ذلك. ويمكننا أن نفهم منها أيضاً ما يجعل الثقافة تتدخل في أنماط الترجمة³، وسأمضي بهذا الاتجاه في عرض مقالي؛ فالترجمة عملية ثقافية بامتياز، بمعنى أننا لا نترجم في جميع الثقافات بالطريقة نفسها، وهنالك تفاعل بين أنماط الترجمة وأنماط وجود الثقافات. فضلاً عن انتقاء كون الترجمة نشاطاً منعزلاً، بل امتدادها متصلةً بمفاصل مع أجناس أخرى أساسية تتحكّم بمصير الأعمال، من نحو: النقد والتعليق والتحليل؛ لنكوّن بذلك جزءاً من تقليدٍ ثقافي مرتبط ببناء جوهر ثقافة معينة.

² نهدف هنا إلى تعميق مفاهيم أدرجناها في مواضع أخرى، ودراستها من زاوية مختلفة. يُنظر: جان لويس كوردينييه، الترجمة والثقافة، 1995.

³ بالطبع، لا تُفهم: «أنماط الترجمة» هنا بمعنى النوق العصري.

إنَّ مفهوم الثقافة معقّد⁴. أمّا نحن، فنستند هنا إلى المعنى المنسّج اليوم عن الأنماط المشتركة للفكر والحياة في مجموعة بشرية معينة، والتي تقود الأفراد المنتمين لهذه المجموعة إلى التصرّف في بعض المواقف الاجتماعية بطريقة واحدة؛ أي نستند إلى ما سمّاه ميشيل فوكو (1966) «أنماط الوجود» لثقافة ما. ويجدر الاهتمام بهذه الأنماط في الوجود، فمن شأنها جعل المترجمين يستدلّون إلى أنماطٍ مشتركةٍ نسبياً في الترجمة في بعض أوقات بناء الثقافات؛ وهي أنماطُ ترجمةٍ مرتبطة بالضوابط الاجتماعية التي تُقرّض عليهم. ونستحضر بهذا الشأن التكوين اللغوي والثقافي والسياسي للدول القومية في أوروبا. ونركّز تفكيرنا في الثقافة الفرنسية، وفي الثقافة الغربية بصورة أوسع، من حيث إنّ جميع الدول القومية في أوربا كوّنّت نثرها وأدبها على أساس الترجمات.

وينبغي من ناحية أخرى التنبّه إلى عدم "تشييء" الثقافة، وهذا مظهرها الثاني الذي نستند إليه هنا؛ فهي ليست إلا تجريداً وبناءً ذهنياً (يُنظر: كيش، 1996: 57). والحاصل أنه يجب مراعاة الممارسات الفردية أيضاً، ولا سيما موقف المترجم في علاقته الغريبة بالغريب، والتصور الذي لديه عن الدور الذي ينبغي لثقافته الخاصة تأديته في روابط الغريبة؛ وهذا مبحث نتمسك به هنا. فهذه الجدلية بين الثقافة والفرد، أي المترجم في حالتنا، ستكون إذن إطار عرض مقالنا.

الغريبة

تنتشر الترجمة في كنف الروابط مع الغير. فيجد المترجم نفسه أمام مهمةٍ استيرادٍ قيمٍ وأحداثٍ ثقافية، ولكنّ دوره لا يكمن في هذا فحسب. يقول دليل و دسورث (1995: 193): «المترجم ليس منقّباً عن الاختلافات، ولا مستكشفاً لبقاعٍ ثقافيةٍ غير معروفةٍ فقط؛ بل هو أيضاً -إذ يتعرّف بالآخر- مستكشفٌ يغيّر منظورات جماعته، ويُقلّق "كلمات قومه"، وفق تعبير مالارمييه الشهير (1877) [...]». وبعيداً عن أصحاب القرار (طالبي الترجمة والناشرين وغيرهم)، وعن الناحية المادية للنصوص، [...] فهو يخلط الأوراق، أي في هذه الحالة يخلط تلك الثقافات والقيم التي تعود للآخر وإليه، حين يُراد الإحاطة بها وتحديدها، فتكون سلسلة ومتبدّلة».

⁴ نُحيل القارئ إلى قراءة كتاب دونيس كيش (1996) للحصول على نظرة شمولية أكثر اكتمالاً عن مفهوم الثقافة.

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

وثمة فكرتان أساسيتان في هذا المقتطف. الأولى أن المترجم يؤدي دوراً أساسياً في بناء ثقافته الخاصة؛ فهو -بعبارة أخرى- يَفكِّك هوية ثقافته ويصوغها ويُعيد تركيبها؛ ويفكِّك هوية الثقافة الأجنبية بالنصوص المترجمة. والفكرة الثانية أن الثقافة، أيّاً كانت، ليست كُلاً واحداً ثابتاً وجامداً في المطلق؛ بل مجموعة متنوعة ومعقدة تتسم بالتطور على نحوٍ مستمر.

وسنعود إلى مسألة الهوية لاحقاً، حين سنتناول الإشكالية الأخلاقية. ولكننا نُبقي ههنا الحديث عن دورَي الثقافة والمترجم بأن واحد في روابط الغيرية؛ إذ تجدر دراسة هذين الدورين بطريقة أدق. فليس سدىً إذن النظر في تطور مفهوم الثقافة. غير أننا نكتفي بعرض بعض الملاحظات في الإطار المحدود هنا.

وقد حاولنا أن نُظهر في كتاب: **الترجمة والثقافة**⁵ سبب عدم قدرة النظام المعرفي للعصر الحديث في فرنسا، وللعصر الكلاسيكي أيضاً، على استيعاب اختلاف الغريب في مجمل أصوليته، وأدى ذلك إلى ممارسة الترجمة الاستعرافية ذاتية المركز. والمُستخلص أن هذا النوع من الترجمة أفاد في بناء الكلام والثقافة بالتوازي في فرنسا؛ ليكون ذلك دوره المخصَّب والإيجابي لنا.

وتطوّر في فرنسا، إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر، تصوّر شمولي عالمي عن الثقافة، مقرونٌ بمفهوم الحضارة. وأراد عصر الأنوار الترويج لما عدّه فوائد (له)، وارتبط الأمر في ذهنيته بإفادة باقي الشعوب منها. وكان ذلك ممكناً بفعل تطور فكرة وحدة الجنس البشري. فضلاً على أن الكلاسيكية الفرنسية امتدت أطول مدة في أوروبا، لأكثر من قرنين ونصف. وكان هنالك في القرن التاسع عشر توسّع واستمرارية في آن واحد لمفهوم الثقافة. يقول كيش (1996: 13): «ثمة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في فرنسا استمرارية للفكر الشمولي العالمي. فالثقافة بالمعنى الجمعي هي قبل كل شيء "ثقافة البشرية". وفكرة الوحدة، على الرغم من التأثير الألماني، طغت على الوعي بالاختلاف»، وينحو أبعد: «تمضي منطقياً الفكرة

⁵ يُنظر الباب الأول من: نحو تاريخ المعرفة للترجمة.

الفرنسية الشمولية العالمية عن الثقافة مقترنةً بالتصوّر الانتقائي للأمة، الذي انبثق من الثورة الفرنسية. ويشرح المؤرخ رينان أنّ المنتمين للأمة الفرنسية هم جميع من يتماهون معها، أيّاً كانت أصولهم» (كيش، 1996: 13). وأفضت نوعاً ما النزعة العالمية في عصر الأنوار إلى الخصوصية الفرنسية، إذ لم يُنظر في التنوع الثقافي إلا استناداً إلى الأمة والحضارة: «تتّضح إعاقَةُ السياق الأيديولوجي الخاص بفرنسا في القرن التاسع عشر ظهورَ المفهوم الوصفي للثقافة. وتشرّب المختصون في علمي الاجتماع والأعراق البشرية بالنزعة الشمولية العالمية التجريدية لعصر الأنوار تشرباً زائداً، فتصوّروا التعددية الثقافية في المجتمعات البشرية بطريقة تختلف عن الإسناد للحضارة. والحقُّ أنّ السياق التاريخي لا يحمل على التساؤل عن هذه المسألة. وقد قامت الملحمة الاستعمارية باسم المهمة "الحضارية" لفرنسا» (المرجع السابق: ص23). ويضيف دونيس كيش أنه وجب انتظار أعوام الثلاثينيات من القرن العشرين ليبدأ علماء الأعراق البشرية باستعمال مفهوم الثقافة حقاً. ثم بقي زمناً طويلاً مناهضاً لمفهوم الحضارة. ولزمته ثلاثون سنة أخرى كي يظهر بصورة نهائية، ويأخذ مكاناً لا جدل فيه في علم الأعراق البشرية والأنثروبولوجيا (المرجع السابق).

نستنتج مما تقدّم ضرورة الإشارة إلى الاستمرارية التاريخية، ووجود نسبية غير موضحة -حتى عهد قريب- عن مفهوم الاختلاف الثقافي، ودوره بالوقت نفسه في إخصاب الهوية وتطويرها. وما هذا إلا تحقّق بسيط. فما نزال في مجال الترجمة بعيدين عن استخلاص جميع النتائج من الدراسة العلمية والمعمّمة للاختلاف الثقافي، سواءً على صعيد استيراد الملامح الثقافية أم على صعيد تقدّم إعادة الكتابة في النصوص المترجمة. ولما كانت الترجمة تواصلاً بين الثقافات، فهي توصيل مضمونات المعلومة، والخصوصيات الثقافية؛ أي ما يميّز الآخر لا الأنا. بيد أنها توصيل ما تكون عليه، ونقصد من ذلك أن الطريقة التي تُمارس بها -وما أطلقنا عليه أنماط الترجمة- تنقل معلوماتٍ عن وجود المترجم وثقافته في علاقته بالآخر.

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

لذا نادينا بتتبُّع التاريخ المعرفي للترجمة، بهدف الكشف عن أنماط الترجمة، وبذلك عن أنماط وجود المترجمين. ويجدر الإلحاح على اتساع المهمة، و«فجوات» المعرفة، ولا سيما فيما يخص القرنين التاسع عشر والعشرين، إذ نفتقر إلى أعمالٍ استنتاجية بشأنها. وربما سيُسهم هذا العمل في إظهار عدم وجود شيء مطلق بمجال الترجمة، وفي تغيير ممارستها والتفكير الذي يتطور حولها وقتَ تغيير الثقافة؛ فالترجمة والثقافة مشمولان في تطور التاريخ. وبهذا لا تكون ممارسة الترجمة في القرن السادس عشر مماثلةً لممارستها في العصر الكلاسيكي، والتي لا تكون ذاتها في القرن التاسع عشر، وهكذا... ويُظهر التاريخ المعرفي من ناحية أخرى كيفية قدرة الثقافة على توجيه الممارسات وترشيدها؛ ويكون بذلك المترجمون الكلاسيكيون منغلقيين نوعاً ما في نظرية التصور. ويُظهر دانييل ميرسيه بهذا الشأن كيف أنَّ مترجمي العصر الكلاسيكي، مع وجود اختلافات بينهم قد تبدو كبيرة مبدئياً، مجبرون جميعاً على تركيز نشاطهم في إطار التصور الكلاسيكي، بمن فيهم ديدرو الذي عرف مع ذلك القيام بنقد الحالة الكلاسيكية، أي علم ممارسة نمطٍ من الترجمة التي تُجنس وتُفقد السمة التحريرية وتُضيف وتوطن (ميرسيه: 1995). فثمة في هذه الحالة توازن بين الثقافة التي تؤسس صلة عالمية شاملة مع الغريب، وفق معاييرها الثقافية الخاصة، والممارسة التوسعية للترجمة.

وأسلمنا القول إنَّ الترجمة تواصلٌ بين الثقافات. وتؤدي دوراً جماً في الغيرية على مستوى انتشار النصوص في العالم، وهذه ظاهرة معروفة. ولكن لا نعرف كثيراً كيفية انتشار هذه النصوص، وما الذي يُصنع بها، وما تؤول إليه من ثقافة إلى أخرى.

ونتناول هنا مجدداً مفهوم **النقل** الذي طوره أنطوان بيرمان (1995: 17). ويُقصد به مساحة تبادلٍ بين الثقافات المعنية، تنتشر فيه بعلاقة جدلية إلى جانب النص الأصلي «أنماطٌ عدة من التحولات النصية (وغير النصية أيضاً) التي لا تكون ترجمية» (المراجع السابق)؛ من نحو: الانتقادات والتحليلات والتعليقات والأفلام والمواصفات... في إحدى الثقافات. وتحدث روابط الغيرية في هذا الموضع حيث تتواجه تصورات المترجم، وتصورات كل ثقافة من الثقافات المعنية

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

بخصوص المعارف السابقة. ولا يمكن لجميع هذه التفاعلات البقاء في حلٍّ من التأثير في عملية التحضير للترجمة ذاتها. ويكوّن مجموع هذه الحركات النصية -عند حدوثها- ما سمّاه أنطوان بيرمان: «نقل المؤلف» (المرجع السابق). ويبدو لنا هذا المفهوم خصباً جداً، إذ إنه يوسّع مفهوم الترجمة في مجمل مساحته الأدبية الطبيعية، وقد كان يعاني من الضيق. وصحّت نظرة أنطوان بيرمان حين أكد أن: «الترجمة لا تؤثر حقاً في هذه اللغة-الثقافة إلا إذا استندت إلى أعمال نقدية وعمليات نقل غير ترجمية، وأحييت بها» (المرجع السابق ص18).

ولكن، لا ينبغي في الاستناد الترجمي نسيان إضافة مجمل النصوص التي تُحيط بالعمل نفسه في لغة-ثقافة الآخر؛ والتي ينبغي للمترجم أن يأخذ علماً بها. فما دور الغيرية في هذه المواجهة بين النصوص؟ ثمة ههنا بالتأكيد موضوعٌ غنيٌّ للدراسة، إذ يأتي بمعلومات مهمة عن التأثير الذي يمكن للثقافة الأجنبية إحداثه في المترجم وأسلوبه في الترجمة، وفي إعادته الكتابة بنهاية المطاف.

التاريخ

يتعيّن اليوم اللجوء إلى مجمل الأدوات التصورية التي يضعها بحوزتنا علم الأعراق البشرية والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والأدب، والتي تسمح لنا بتحليل أبعاد الثقافة في الترجمة تحليلاً جاداً؛ ويصحّ هذا بخصوص ترجمات الوقت الراهن؛ ولكنه يمسّي أصعب ما إن نلتفت نحو الماضي، بسبب «فجوات» المعرفة التي أحلّنا إليها، مع أنّ بعض الحقب، مثل حقبة أسلوب (الجماليات الخائئات) في الترجمة، قد منحت المحلّلين⁶ إلهاماً واسعاً.

وأياً كان الأمر، فإنه من الأهمية البالغة تكوين تاريخ أو تواريخ للترجمة. والحقُّ أنه لدينا نقص جسيم في هذا المجال. ويسمح تاريخ الترجمة بإخراج المترجمين من الظلّ، وإشهار دورهم الكامن في صميم العلاقات الثقافية، ودورهم على نحو ناقلين للمعلومات من جميع الأنواع، وفي

⁶ تشير بهذا الخصوص إلى صدور عمل جديد عن الحقبة الكلاسيكية، عنوانه: الترجمة في العصر الكلاسيكي، دراسات جمعتها ميشيل بالارد و ليفن ديلست، مدينة ليل، مطبوعات سينتنتريون الجامعية، 1996.

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

تكوين الكلام والثقافات المحلية، ولكونهم وسطاء أحياناً؛ وهذا كله غير وافٍ. وموجز القول إنَّ عمل البحث التاريخي سيُعين على منح المترجم من جديد أهميته كاملةً في كنف الثقافات، والإطاحة بتلك الحالة من الطمس التي يتعرَّض لها في فرنسا منذ نهاية القرن السادس عشر؛ فيكون هذا إطاحةً لذاك الموقف في «الثانوية» و«التبعية» (بيرمان 1984)؛ حيث كان يَغمُر انبلاجُ وجه الكاتب الترجمة، بتنفيذها نشاطاً ثانوياً، ينبغي فيه للمترجم طمس نفسه لكيلا يُتيح للقارئ إلا رؤية نسخة مطابقة يقدِّمها عامل بسيط بلا روح.

وفضلاً على ذلك، يُمثِّل تكوين تاريخ أو تواريخ للترجمة إحدى المهام الضرورية، للتمكُّن في نهاية المطاف من بناء ما يبدو نظريَّةً منيعة في الترجمة والأدب. ولكن، يمكن على الأقل التوجُّه في ذاك الاتجاه. وتحدَّث رئيس الجمعية الدولية للمترجمين جان فرانسوا جولي، عام 1995، عن تاريخ الترجمة، ورأى أنَّ «هذا الاختصاص الناشئ لا يمكنه ادِّعاء التطور مستقبلاً، لولا تَعُدُّيه من مكتسبات الماضي، والتزوُّد من الأنماط العتيقة. وإنَّ في عرض تاريخ الترجمة إيضاحاً للشبكة المعقدة من التبادلات الثقافية التي حدثت بين الكائنات البشرية والثقافات والحضارات على مرَّ العصور» (ذليل و و دسورث، 1995: 15). وأضاف مستشهداً بالباحث ليفن ديلست: «التاريخ من الناحية العملية هو الوسيلة الوحيدة لإيجاد وحدة الاختصاص، إذ يُظهر النقاط المتوازية والنقاطات بين الأعراف المتباينة في الفكر والعمل، وذلك بالمقاربة بين الماضي والحاضر» (المرجع السابق).

إنَّ صَحَّت قدرة تاريخ الترجمة على إيجاد وحدةٍ في التفكُّر العلمي الترجمي، فنظنَّ أنه ليس الوسيلة الوحيدة لذلك، لأنَّ الترجمة كائنة في تقاطع طرق العلوم الإنسانية، من ناحية. ومن ناحية أخرى، ثمة تركيز مبشِّر حالياً من الهواجس العلمية الترجمية في التاريخ، ولكنَّ هذا لا يعني وجوب إهمال محاور البحوث المرتبطة بالأنثروبولوجيا أو اللسانيات أو الفلسفة؛ وهذه ثلاثة أمثلة فحسب. ولن نتمكن من إيجاد وحدةٍ في الترجمة إلا بدراستها من جميع أوجهها. وهذا بالضبط ما

يُصعبُ تكوُّنُ علمٍ ترجمةٍ يستمدُّ من العلوم الإنسانية سلطةً لا جدال فيها. بل نرى أنَّ ما يَطرح صعوبة في ذلك هو نقص الوسائل البشرية أكثر من الوسائل العلمية.

وثمة أيضاً خطورة في عدِّ تاريخ الترجمة كما يظنَّ ليفن ديلست: «الوسيلة الوحيدة عملياً لإيجاد الوحدة» في التفكير بشأن الترجمة. فهل يمكن الحديث أولاً عن الوحدة في التاريخ؟ ويجب البدء بطرح هذه المشكلة المنهجية. فالواقع أنه ليس هنالك منهجية وحيدة في التاريخ. ولا يوجد سبب لعدم إيجاد جدالات في الترجمة، تصل حدَّ المباحكات، والتي نصادفها لدى المؤرخين. وهنالك في الترجمة خطر ثانٍ في كتابة التاريخ من أجل التاريخ، مع غياب منهجية علمية دقيقة، وإغفال النظر عن كون الترجمة قبل كل شيء نشاطاً يمتدُّ بين الثقافات.

ونودُ إيضاح النقطة الأخيرة بمثال معبر. ففي كتاب: **المرجمون في التاريخ**، مقال بعنوان: «جميس إيفانس لدى الهنود الكري في كندا» (المرجع السابق: ص 32-35)⁷. ويروي هذا المقال كيفية ابتكار هذا المترجم المبشِّر أبجديةً، لكي يدوِّن لغةً ذاك القوم. ولا داعي للقول إنَّ هذا العمل جرى في إطارٍ أوسع بكثير من تنصير هؤلاء الهنود. ويَطرح هذا المقال، بنظرنا، مشكلةً مهمة، ويعاني من نقص خطير. فيَنطلق من المعرفة البدائية بأن عمل المترجم عند هؤلاء الهنود يوصَف بالعمل «جيد»، وكأنَّ التنصير يجري من تلقاء نفسه. ويُغيَّب الهنود الكري بصورة غريبة عن هذا السرد، ولا تُثار على الإطلاق تِبعات أساطيرهم الخاصة، والتنصير، والأبجدية. فيجب على المؤرِّخ في حالة كهذه تبني شخصية المختصِّ في دراسة الأعراق البشرية. وثمة سؤال أساسي هنا، نوقش في علم الأعراق البشرية والأنثروبولوجيا، هو: أين تظهر مكانة المؤرخ في العلاقة بين الثقافات؟ عند الذات؟ أم عند الآخر؟ أم في الوسط؟ ولا يمكننا هنا تقديم إجابة عن هذا التساؤل. ولكن كان يمكن -على الأقل- استحضار الهندي الكري في المثال. ولا يكرِّم المترجم في الحقيقة لمجرّد أنه مترجم، وإن كان العمل المُنجَز مميّزاً، أو وجدنا أنفسنا في علاقة

⁷ كتب هذا المقال: جان دُليل، بالمشاركة مع بيير كلوتيه.

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

ذي اتجاه واحد؛ نظنها من جهتنا قديمة الطراز. فمن المؤكد أنَّ الأمر يرتبط/يضاً بالتساؤل عن أنماطِ ترجمة المترجم.

وبخصوص كتاب: **المترجمين في التاريخ**، لا نودُ التوقُّف عند تلك الملحوظة الناقدة. وتنبغي تحية هذه المبادرة والجهود التي بذلها الاتحاد الدولي للمترجمين خصوصاً، ليعيش تاريخ الترجمة أو ليبدأ بالعيش، كما يوضِّحه مشرفو المؤلف في توطئتهم عن تاريخ الترجمة. غير أن العنوان نفسه يشير إلى عدم كون ذلك تاريخاً بالمعنى الدقيق للكلمة، بل مساراتٍ اختيرت في العالم كله لإبراز دور المترجمين، وربما بهدف إثارة الرغبات في التعمق.

النقد

ثمة أهمية كبرى في تطوير نقد الترجمات، سعياً لبناء علم ترجمةٍ أو نظريةٍ ترجمةٍ للغد. ومن بين ما سيُتيحه هذا النقد فهمُ الكيفية التي وُجدت بها روابطُ المترجم مع ثقافته الخاصة، ومع الثقافة الأجنبية؛ وبصورة أوسع، روابطُ ثقافة الذات مع ثقافة الآخر. ويمرُّ النقد بجانبٍ تحليلي للنصوص المترجمة، بهدف إظهار أنماط الترجمة، وأنماط وجود الثقافات نوعاً ما؛ وفي ذلك إيضاحٌ للحيوية والجدلية بين الترجمة والثقافة؛ إذ يبرز حتماً الأفق التاريخي للترجمة. وبعيداً عن النواحي الفردية لدى المترجمين، تُميّز كل ثقافة، وكل عصر (مثل: النهضة - الكلاسيكية - الرومانطيقية) نشاط الترجمة برويئتهما الخاصة للعالم. وهكذا، سيُسمح العمل النقدي بإثارة وعي المترجم لهذه الحالة من الواقع. ولن يتوانى ذلك بالنتيجة عن طرح مشكلةٍ بصمة مترجم اليوم، وموقفه ضمن التبادل الثقافي في عصره.

وينبغي القول إننا نعيش الآن أزمةً في النقد، وخصوصاً في مجال الترجمة؛ لا لغياب الانتقادات، بل لكون هذه الانتقادات غير خاضعة لأي قاعدة، ولعدم تكوينها بذاتها جنساً يمكن التعريف به بيسرٍ، إذ ينسَم بنوعٍ من السطوة العلمية في مجال الأدب. ويعرّف أنطوان بيرمان ما يقصده بالنقد، متبنيّاً هذا القصور: «إذا كان النقد يعني تحليلاً دقيقاً لترجمة معينة، ولملامحها الأساسية، والمشروع الذي منحها النشوء، والأفق الذي بزغت فيه، وموقف المترجم، وإذا كان النقد

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

يعني بصورة جوهرية استجلاء حقيقة ترجمة ما⁸؛ فيجب القول عندئذ إنَّ نقد الترجمات يكاد يبدأ بالوجود» (بيرمان، 1995: 13-14).

ونشير إلى عدم جدلية موقف أنطوان بيرمان من النقد، الذي يبدو لنا ثراً من ناحية إشكالياتنا في التبادل الثقافي؛ لأنه يعيد وضّح عمل الترجمة نفسه في حقل أوسع لا يضعه العُرف فيه، لكنه حقل يخصّ فعلاً هذا العمل بالذات. وكما رأينا، تشتمل فكرة نقل المؤلف أولاً على مجمل عمل النقد، وعلى «كثير من أشكال تحويل المؤلف» النصية وغير النصية، والترجمية وغير الترجمية؛ وهذا ما يسميه أنطوان بيرمان «مساندة الترجمة». إذ «تضمّ مساندة الترجمة كلّ ما يحيط بالنص ويأتي لمساندته، مثل: المقدمة أو التوطئة أو التعليق في آخر العمل أو الملحوظات أو قاموس المصطلحات... ولا يمكن للترجمة أن تكون "متجرّدة" تحت طائلة عدم تطبيق النقل الأدبي. ولا تبدو المسانداثُ الترجمية التي اقترحها العصر الكلاسيكي، ومن ثمّ العصر التفسيري للنصوص التاريخية (القرن التاسع عشر) كافيةً اليوم. فينبغي إعادة النظر فيها، وبعض المترجمين بصدد القيام بذلك. إذ تستحوذ مسألة هذه المسانداث الجديدة، والإجماع الجديد بهذا الخصوص على أهمية محورية» (المرجع السابق: ص68)⁹.

يجب الآن إنَّ إعادة النظر في علاقتنا بالنصوص المترجمة، لكي نتمكن من استخلاص النتائج للترجمة اليوم. غير أنَّ هذا المفهوم في «مساندة الترجمة» يَظهر لنا -على صعيد الثقافة- غنياً بالاحتمالات التي تُتيح تناول ظاهرة تعدُّر الترجمة. وقد تناولنا سابقاً المسألة الخاصة بالإضمار الثقافي (كورونيه، 1995: 172-176). فتناسب درجة قابلية الترجمة تناسباً مباشراً مع درجة مخالطة الثقافات. فكلما ضعفت المخالطة، ظهرت درجة تعدُّر الترجمة أكبر. ونُعاش في العُرف الغربي أسطورةً شفافية المترجم، فنجد أنَّ هذا المفهوم منتقَد في عصره (المرجع السابق: ص144-146 وفي أمكنة أخرى). وذاك المترجم لا يجرؤ على الخروج من

⁸ الكاتب من قام بتمييز العبارة.

⁹ يُنظر إلى الحاشية رقم (70)، التي ميّزها الكاتب.

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

ظلّ الكاتب، ليكونَ ما يجاور الجانب الثقافي في الترجمة، ويعطي لثقافته مفاتيح الولوج في المؤلف، إذ يفتح له في الوقت نفسه مساحات من إمكانية الترجمة.

ويُرى هنا مجدداً عُرِفَ في الترجمة، حين يبنى المترجم مساندة الترجمة¹⁰؛ أي يستعيد بطريقة ما دوره الذي كان يؤديه قديماً في تبسيط العلوم ونشرها. ولكنه دورٌ مبسّطٌ وناشرٌ مدركٌ بتناغم، وضمن الحقل الأوسع لنقل المؤلفات. إذ نكون أمام مجال ضخم من البحث حيث يمكن رصد الصلة الجدلية بين تبسيط الوقائع الثقافية والعمل التنفيذي في تقليص مساحة تعذّر الترجمة. وسيكون لازماً إذن دراسة كلِّ مسارِ المؤلف عن طريق مجمل النصوص المترجمة أو غير المترجمة، ودراسة ما يحيط بها ويفسّرُها، ودراسة المواءمات... لأن الترجمة تقع في هذه البوتقة. ولا يجد أنطوان بيرمان مناصاً من تبيين قصورِ «النظرية العامة في النقل»¹¹ الأدبي، والانتقال من مؤلّف في "لغة-ثقافة" إلى مؤلّف آخر» (المرجع السابق: ص 56). ولكن، تُرى بوضوح كل القوة الكامنة في هذا السبيل الذي يُرسَم للنقدِ نحو اقتراحاتِ سُنَّعين المترجمين على مواجهة ترجمة الثقافة بطريقة أفضل.

الناحية الأخلاقية

تُخصّص جميع هذه الجهود لرسم تصوّر يُمكن مترجم اليوم من تحديد موقعه بوضوح في صلات الغيرية. والواقع أنّ تاريخ الترجمة والتقدّم الذي تحقّق في إطار العلوم الإنسانية يطرحان مواقف وواجبات جديدة؛ ولا سيما في العلاقات الثقافية الخاصة بالموقف إزاء الآخر. فهذا الموقف ليس في حلٍّ من إحداث بعض التأثير في النصوص المترجمة نفسها.

¹⁰ ولا ينبغي خلط هذه العبارة مع عبارة «مساندة الفعل الترجمي» (بيرمان، 1995: 68)، والتي تُشير إلى مجمل فعل البحث التوثيقي للمترجم، وإلى جميع القراءات الضرورية الواجب القيام بها لتكون الترجمة ناجحة.

¹¹ الكاتب من قام بتمييز العبارة.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

ولنرجع إلى الخلف قليلاً. فقد قمنا في كتاب: **الترجمة والثقافة** بانتقاد الترجمة الاستعرافية الموعلة في الذات. ولم يكن نقد الترجمة الاستعرافية نتيجة ما كان سائداً في ذاك العصر، مع معرفتنا لما سببته من معاناة بشرية؛ بل لما يمكنها إحداثه من سلوك لدى مترجمي اليوم.

وكان هنالك -من ناحية- نشاط يُنفذ للتوعية بخصوص أنماط الترجمة، وطرح -من الناحية الأخرى- لتساؤل عن مكانة المترجمين الاستعرافيين اليوم في كنف الحيز الأدبي الثقافي، ضمن الحركة الكبيرة لنقل النصوص.

ويظهر جلياً في فجر القرن الواحد والعشرين أننا لم نعد نستطيع التصرف تجاه الآخر كما في الماضي. وثمة أولاً أسباب أخلاقية لذلك، لكن هذه الحجة تتجاوز حدود بحثنا هنا. وقد تغير أيضاً الدور التأسيسي على صعيد ثقافة الترجمة تغيراً خاصاً.

ويمكننا أيضاً قلب الحجة. فنتحتاج ثقافتنا اليوم في علاقتها بالعالم إلى الإخصاب بطريقة أخرى، عن طريق الترجمة؛ إذ نتمركز في أفق تاريخي. والترجمة، في نظرنا، ينبغي أن تتوضع الآن في كنف أخلاق تقود إلى حركة عامة في نقل المؤلفات، وبصورة أخص في عموم العمل الترجمي.

واقترحنا في إطار أخلاقيّة الترجمة اللفظ الجديد: "الانفتاحية" (كوردونيه، 1995: 153-154 وفي أمكنة أخرى)، لوصف موقف المترجم في علاقة الغيرية. ويكوّن هذا اللفظ المولد جزءاً من نشاط إثارة الوعي الذي تحدّثنا عنه آنفاً. والثابت أنّ جميع الثقافات استعرافية إلى حدّ معين، مع وجود بعض الاختلاف الذي يكون مع ذلك كبيراً؛ بحيث إنّ بعضها يهيمن، ولا يكون ذلك حال البعض الآخر. وزادت الكلاسيكية في فرنسا من حدّة الحركة الاستعرافية. غير أنّ هذه الحركة امتلكت دوراً إيجابياً ومخصّباً، لكونه أحد العناصر الأساسية المؤسسة لأدبنا وثقافتنا. ونفسر هذه القوة الغابرة بأسّ الأفكار الكلاسيكية على اللغة والثقافة، أي على الترجمة أيضاً في

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

أيامنا هذه¹². ويُقَلِّق هذا الترتيب المتوارث للتاريخ الترجمة في إعادة توزيعها الثقافي الضروري. وأوجدنا مفهوم "الانفتاحية" إذن بهدف الخروج من ممارسة استعرافية شديدة العمومية، وإبراز سبيل آخر بجلاء.

ويكون ذلك أساس عمل المترجم الذي يختار هذه النظرة لتبني موقفٍ ترجميٍّ يكمن في تخصيص الثقافة الذاتية، مع «استعراض» ثقافة الآخر؛ ويكون هذا مشروعه في الترجمة. ويرتبط الأمر من ترجمة إلى أخرى بجلب عناصر ثقافية مؤسّسة جديدة إلى ثقافته، فتسمح له شيئاً فشيئاً باستشراق علاقات الغيرية بنحو أكثر نقاءً، في ظلّ معرفة أفضل للوقائع، ومع تحسين التواصل والفهم بين الثقافات في عالم الغد.

لذا نادينا بالترجمة-الكاشفة. فينبغي إعادة ترجمة الأعمال التي لم تلقَ حتى الآن إلا ترجمات مكرورة. ويتعيّن أيضاً منح الجمهور المعاصر نصوصاً مترجمة تتيح استشفاف حقيقة المؤلف. ويُفهم أنّ هذه الحقيقة لا يمكنها إلا أن تكون نسبية، مع ارتباطها بالأدوات التصورية التي نمتلكها في الوقت الراهن. ولكنّ هذا الالتفات التاريخي المتجليّ في الخروج من الانغلاق داخل الأنا الذي كان انغلاقاً استعرافياً، والتمركز في نقطة غير متصلّبة تجاه البقية، وإيجاد الذات في مكان يتجه نحو الآخر؛ لا يكون تخلياً عن الذات والهوية، على النحو الذي وجّه به اللوم لمواقف هنري ميشونيك أو أنطوان بيرمان. وهكذا يمضي جان رينيه لادميرال حتى يبلغ حدّ الحديث عن «كره الذات»: «لنقل إنّنا نرى فيه عَرَضاً في كره الذات¹³ الذي يبدو لنا مرضاً في الثقافة الغربية لزماننا» (لادميرال، 1997: 133).

وتبدو لنا هذه السمة متسرّعة بعض الشيء. بل يكون أنطوان بيرمان شديد الاتزان بخصوص المسألة. فلا يُظهر الكاتب فكراً مفيداً بالمنظومة، ويعترف بحرية المترجم، ويُقرّ له أيضاً

¹² يُنظر هنري ميشونيك (1997) بخصوص المسلّمات التقليدية التي ما زالت ناجزة، ومنها على سبيل المثال: الوضع والخصوصية والنقاء.

¹³ الكاتب من قام بتمييز العبارة.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

بـ«جميع الحقوق»¹⁴ (1995: 93)؛ فيجعل ببساطة موضع الترجمة في إطار الأخلاق. ويعني ذلك أنَّ المترجم لا ينبغي له تمرير تدخّله في النص الأصلي عن طريق الترجمة تحت جناح الصمت. وإذا تلاعب بالنص (من دون معنى مُذم)، وإذا شوّه، وواعم، وهذه بعض الأمثلة عمّا يفعل، فيجد أنطوان بيرمان أنه ينبغي للمترجم الإعلان عن الأمر، وعدم تمريره تحت لواء الصمت، لوجوب إعلام القارئ عن نوع الترجمة التي يتعامل معها.

والواقع أنَّ مسألة الهوية الثقافية هي التي تدخّل في القضية هنا. والحقُّ أننا نشهد نوعاً من النمط الملائق للهوية. ويتبيّن دونيس كيش (1996: 83) أنَّ هذا النمط «امتداداً لظاهرة إثارة الاختلاف التي انبثقت في السبعينيات من القرن العشرين». ويمكن تفهّم حالة التأرجح هذه، ولكنّ وضع الاختلاف في الترجمة على الواجهة أو انتقاد الاستعرافية لا يعني بأي حال التهجم على الهوية؛ وإلا وجب الإقرار بعدم تقبّل النقد.

يجب القول أولاً إنَّ مفهوم الهوية ليس جامداً. فهو متنوع ومتبدّل. وبناءً على ذلك لا يتوقّف. ولا يمكن تصويره في معزّل عن العلاقة مع الآخر. ويضيف دونيس كيش أنَّ: «الهوية بناءٌ يُشيد في علاقة تخالف فيها جماعة الجماعات الأخرى، مع اتصالها بها» (المرجع السابق: ص86). ويعني ذلك أهميتها المحورية في الترجمة. ويبدو جلياً أنَّ الترجمة تبنّي جوهر الثقافات. والترويج اليوم لحركة الترجمة، من دون أفكار سابقة، سيضع الاختلاف الثقافي في الواجهة، ويأتي بلبنة إلى الهيكلية المعاصرة للهوية. ويمكن ذلك في إعطائها الأدوات التي ستُعِينها على الانتشار بنحو أفضل في عالم اليوم والغد. فهذا يجعل التواصل بين الثقافات ناجحاً أكثر. وبناءً على ذلك، تتبّع العلاقات بين الثقافات المبدأ الآتي: كلما زادت معرفتي بالآخر في نصوصه، نمت معرفته بي في نصوصي، وفهم بعضنا بعضاً بصورة أفضل.

أمّا بخصوص هنري ميشونيك، فإنّ انتقد حب اللغة المستند إلى الأساطير القديمة، وتسبّب بالعقم للتطور المفرح لثقافتنا، من نحو: الوضوح والنقاء والخصوصية المُفترضة للغة الفرنسية؛

¹⁴ الكاتب من قام بتمييز العبارة.

.....المظاهر الثقافية للترجمة: بعض المفاهيم الرئيسية

فهدف ذلك إخراج اللغة من سلبيةٍ دفاعيةٍ وعقيمة، والتوقُّف عن الانكفاء على الذات، بل استيعاب الغيرية بطريقةٍ إيجابية. لذا يقترح هنري ميشونيك (1997: 210): «تحوُّلاً للهوية عن طريق التنوع». ولا يرتبط الأمر إذن بالاستكانة أمام «الهويات المتأرجحة»، مع افتراض كونها كذلك، والتي حدَّثنا بها جان رينيه لادميرال (1997: 133). بل العكس تماماً هو الصحيح. فيمكن ذلك في النظر وُجهاً إلى عالم اليوم، ومواكبة تحوله بنجاح.

وإنَّ الرجاء في تطور حركة واسعة من الترجمة-الكاشفة يعود إلى تبيُّنا وجودَ نقص في ثقافتنا، وإلى وعينا بدورها المجدِّ والمخصَّب. ولا يعني ذلك رغبتنا في جعل هذا الاندفاع الترجمي مقصوراً في نوع مختلف تماماً من الترجمة. بل على العكس. فقد أشرنا فيما تقدَّم إلى أهمية عودة المترجم إلى تولِّي ذاك الدور في النشر والتبسيط الذي فقده في الماضي. ويمكننا المتابعة بهذا الرِّخم، واقتراح إعادة الألق للتمارين التي كوَّنت جزءاً من الحقل الترجمي في تاريخنا، وذلك في المؤسسة التعليمية أولاً. ونورد أمثلة عن التقليد والحشو والمحاكاة الساخرة والمواءمة. ولكن، أيّاً كان نوع الترجمة الممارسة والمقترحة، ما نطلبه بوضوح هو أن يسمي معلناً بوضوح.

المهام

حين تسعى الترجمة-الكاشفة لإظهار الآخر، تتوكَّل أيضاً بمهمة تكوين الثقافة الذاتية، وذلك ضمن الورشة الضخمة في العلاقات بين الثقافات. ويمكننا القول وفق هذا المعنى إنها تسهم في الظاهرة الاستعرافية. لكنَّ ذلك يكون مع وجود اختلاف كبير، فكان بناء الذات يقوم بنحوٍ واسع في الماضي على طمس الذات، أما الآن فأصبح يجري بإبراز الآخر أيضاً. وقد أشرنا آنفاً أنَّ الاستعرافية موجودة في الثقافات كافة، بدرجات مختلفة. ولكن، يبيِّن دونيس كيش (1996: 116) أن للاستعرافية في الثقافة الغربية هذه المرة «استعمالاً منهجياً». ثم يستشهد دونيس كيش (المرجع السابق) بعالم الاجتماع بيير بورديو قائلاً: «لديّ قناعة أنه يمكن لنمط معين من الاستعرافية أن يكون شرطاً للفهم الحقيقي، إذا أشرنا للإنسان إلى خبرتنا وممارستنا الخاصَّتين،

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

والشرط المؤكّد هو أن يكون هذا الإسناد مدرّكاً ومضبوطاً [...] . ويصعب التعرّف في الآخرين - الغرباء جداً بمظهرهم - على ذاتٍ لا نريد معرفتها. فعلماً الأعراق البشرية والاجتماع -اللذان يكفّان عن تقديم إسقاطات مُرضية نوعاً ما- يُفضيان إلى اكتشاف الذات، بإسباغ السمة الموضوعية عليها وعن طريقها؛ والتي تتطلبها معرفة الآخر¹⁵ . فنتمركز الحركة الترجمية في "انفتاحية" واعية ومضبوطة، ولا نتعارض إذن مع بناء الهوية. بل هي على العكس استيعابٌ لجدلية الأنا والآخر، والهوية والاختلاف، ضمن حركة تمضي نحو الوعي الواضح بجوهر ما تقدّم، وبالعلاقات القائمة بينها، ولا تُقوم هذه الحركة على حساب إحدى الثقافتين المعنيتين.

ونختم بالتشديد على أنّ هذا الدور المؤسّس للترجمة على صعيد الثقافة لا ينتهي. وسنفهم الآن بنحو أفضل سبب وجود مهامّ عظيمة أمامها. وبذلك تشارك -إبان تنفيذها- في الارتقاء البشري والاكتمال الكلامي، وهما -كما نعلم- غير منتهيين. وهذا الأسلوب في النظر يُعيد وضع مشكلة تعذّر الترجمة بطريقة إيجابية؛ إذ لا يُعدّ تعذّر الترجمة بعد ذلك قدراً محتوماً. أمّا بخصوص عمل إعادة الكتابة على الصعيد اللغوي في الترجمة، فلا يكون اشتغالاً بالمعنى أو الإشارة إليه، بل يشمل مجمل العلامة اللغوية، أي المعنى وما يشير إليه. ونحن لا ننْبَع التيار الهذفي ولا المصدري؛ فهذا تفرّع ثنائي بسيط لا نعي أنفسنا فيه. وعمل إعادة الكتابة ليس ترجمةً للغة، بل لما يفعله الحوار باللغة؛ في موضع بين التيارين، إذ يلتفّ ضمن علاقة بين الثقافتين، أي بين ما يقوله نص الآخر، وما أقوله إياه في ثقافتِي، وفي صلةٍ توتر ثقافي بين اللغة والخطاب؛ وهو توتر لا يُضبط ولا يكفّ عن التغيّر.

¹⁵ اقتبس هذا الاستشهاد من مقال لعالم الاجتماع بيير بورديو: «مقابلة مع ألبان بينسا: حيث يقوم شعب الكاناك بالتحدّث»، مجلة (أعمال البحث في العلوم الاجتماعية)، العدد 56، آذار 1985، ص79.

المراجع

- Berman, A. (1984): L'épreuve de l'étranger. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique, Gallimard, coll. «Les Essais».
- — (1995): Pour une critique des traductions: John Donne, Paris, Gallimard, coll. «Bibliothèque des idées».
- Cordonnier, J.-L. (1995): Traduction et culture, CREDIF/Hatier-Didier, Coll. LAL.
- Cuche, D. (1996): La notion de culture dans les sciences sociales, Paris, Éditions La Découverte, Coll. Repères, no 205.
- Delisle, J. et J. Woodsworth (sous la dir. de) (1995): Les traducteurs dans l'histoire, Les Presses de l'Université d'Ottawa/Éditions UNESCO.
- Foucault, M. (1966): Les mots et les choses, Paris, Gallimard, coll. «Bibliothèque des sciences humaines».
- Ladmiral, J.-R. (1997): «Aspects interculturels de la traduction», in: Hommage à Hasan-Ali Yücel — La traduction: carrefour des cultures et des temps, sous la dir. du Prof. Dr Hasan Anamur, Istanbul, Université technique de Yildiz.
- Mercier, D. (1995): L'épreuve de la représentation. L'enseignement des langues étrangères et la pratique de la traduction en France aux xvii^e et xviii^e siècles, Besançon, Annales littéraires de l'Université de Besançon, no 589, Diffusion Les Belles Lettres.
- Meschonnic, H. (1973): Pour la poétique II, Paris, Gallimard, 1973.
- — (1997): De la langue française, Paris, Hachette.
- Mounin, G. (1963): Les problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard, coll. «TEL», no 5.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

من تطبيقات الترجمة 1

أ. د. سام عمار

جامعة دمشق – كلية تربية

الجمهورية العربية السورية

1. مقدمة

تتناول الكاتبة في هذا المقال الذي نقدمه للقارئ، دور الترجمة في ميدان هام من ميادين تطبيقها¹، هو: الترجمة في تعليم اللغات. ولكن قبل الخوض في هذا الموضوع يحسن بنا أن تقدّم عرضاً لبعض المشكلات التي تلاحظ في تطبيق الترجمة².

2. بعض المشكلات الملاحظة في تطبيق الترجمة

يمكننا أن نذكر العديد من الأمثلة للمشكلات مقتبس من ذلك من المجالات التي تروي بتفصيل تجارب وتأمّلات لمترجمين محترفين. ولكنني أفضل³ أن أبقى في التطبيق مع ترجمات نص

¹. المقال مستقى من كتاب:

- Marianne, Lederer (2015). La traduction aujourd'hui, le model interprétatif, Cahiers 9, Champollion, Lettres modernes minard. Paris.

والمؤلفة: ماريان لوديري: عملت مديرة للمدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين (ESIT) بين عامي 1990 و 1999، ثم مديرة لمركز البحث في علم الترجمة بجامعة السوريين الثالثة، ثم سميت أستاذة خبيرة في جامعة السوريين الجديدة (باريس الثالثة) عام 2002، وهو عام إحالتها على المعاش. وقد رأت قبل ذلك قسم اللغات الأجنبية التطبيقية (LEA) في جامعة باريس السابعة.

². هذا الكلام للمترجم، وما عداه في المتن (باستثناء ترجمة النصوص المقارنة: الإنكليزية والفرنسية إلى العربية) هو للكاتبة: ماريان لوديري.

³. حيثما ورد الكلام في المقال بصيغة المتكلم فهو للكاتبة ماريان لوديري. المترجم.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

صغير للكاتب الهزلي الأميركي آر بوشوالد⁴ (Art Buchwald)، قام بها ستة من المترجمين المحترفين كانوا يتابعون سيمينارات الدكتوراه في علم الترجمة في المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين (ESIT) في العام 1992-1993. وهذا يمكّني في آنٍ معاً من تجنّب التفكير في المجرّد، وإيضاح بعض مشكلات التطبيق في السياق.

بوشوالد يوضح في واحدة من أخباره في مجلة نيويورك تايمز (New York Times) المفارقة التي وجب على امرأة بحسبها أن تسخّر امرأة أخرى لكي تكون هي حرّة، وهي حالة الموظفة التي تُعنى بالمنزل وبالأطفال في الوقت الذي تمارس فيه الأولى نشاطاً مهنيّاً.

سأقتصر هنا على استعادة الجملة أو المقطع بدقة من النصّ الأصل.

1.2. غياب مرحلة تحويل اللفظ إلى معنى (déverbalisation)

تمتاز الترجمة التفسيرية بثلاث مراحل تتبدى في ترتيب عشوائي إلى حدّ ما، تتداخل في الغالب أكثر مما تتتالي بدقة، ولكننا نستطيع تقديمها منفصلاً بعضها عن بعض من أجل مزيد من السهولة كما يأتي: 1. القراءة، 2. تحويل اللفظ إلى معنى، 3. إعادة صياغة المعنى. والمرحلة المتوسطة ضرورية لتجنب الترجمة إلى قانون لغوي مختلف (transcodage) والمحاكاة اللغوية: نقل التعبير بترجمة حرفية (calque).

1.1.2. ترجمة الكلمات إلى قانون لغوي مختلف

سنجد فيما سيلي مثالين للترجمة المعجمية إلى قانون مختلف، هما كلمتا: liberated: محررة) و(screaming).

مثال 1:

"Behind every liberated women, there is another women who has to do the dirty work for her".

⁴. Buchwald, A. (1981): "The woman behind the woman" , While Reagan slept, Fawcette Crest, New York.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

إن من يفهم الإنكليزية يجد هذا المقطع واضحاً فوراً، والمشكلة الوحيدة هي مشكلة تعبير عندما تكون الترجمة إلى قانون لغوي مختلف غير كافية. لدينا هنا ترجمتان:

1. Derrière chaque femme libérée, il s'en cache une autre qui fait le sale boulot à sa place.

"خلف كل امرأة محررة تختبئ امرأة أخرى تقوم بعملها القذر بدلاً منها".

2. Derrière chaque femme libérée, il s'en cache une autre, en tablier.

"خلف كل امرأة محررة تختبئ امرأة أخرى، وراء الستار".

طبّق المترجمان المحاكاة اللغوية: (femme libérée)، التي نجدها بين ترجمات أخرى في الصحافة النسائية. في الواقع، هم يعرفون أن بوشوالد يستحضر في هذا المقال ظواهر المجتمع الناجمة عن "Women's lib: تحرر المرأة" لحقبة الستينيات. إن مفهوم المرأة/المحررة يتطابق في الولايات المتحدة مع مفهوم واضح، مع دالٍّ محدّد جيداً. إن الحركة النسائية لم تأخذ في فرنسا الحجم الذي أخذته في الولايات المتحدة (...).

مثال 2:

"But on breakdown in the support system and then he starts screaming he didn't marry a women who would ignore her house and children".

لقد توافقت عدة ترجمات على:

Ils (les maris) se mettent à hurler que...

"لقد بدؤوا (الأزواج) بالصياح: إن....."

إن انطباع العنف الهستيري إلى حدٍّ ما الذي أعطاه، باللغة الفرنسية، الفعل (hurler: صاح) يتوافق توافقاً سيئاً مع سلوك الزوج كما هو موصوف في مكان آخر.

في الإنكليزية يمكن القول: صياح، ولكن كلمة (hurler) الفرنسية أفسدت الفكرة. إن الفعل (crier: صرخ) الذي استعمله المترجم 1 يتوافق أكثر مع الفكرة التي تنتج عنه، ومع الكلمة، ومع سياق المعنى: Ils se mettent à crier que.....

ومثل ذلك ترجمة المترجم الثاني:

Ils poussent les hautes cries et disent : يصرخون بصوت عالٍ ويقولون....،

أو ترجمة مترجم آخر: Il fait tout une histoire en disant que : يثير ضجة كبيرة قائلاً: ... إن ترجمة كلمة (screaming) بقانون لغوي مختلف دون أخذ السياق بعين الاعتبار هي خطأ منهجي. (...). إن ترجمة نص ما تعني الانطلاق من فكرة غير معبر عنها لفظياً بعد (déverbalisée)، والبنية الصريحة الدقيقة لكلمة ما تساهم في إبراز الفكرة، إنها تحيل إليها أكثر مما تعبر عنها.

2.1.2. ترجمة الجمل إلى قانون لغوي مختلف

يفرض اختلاف البنى النحوية للغات على المترجم قواعدها، حتى إن المترجم المبتدئ المتوسط المستوى لا يلجأ إلى الترجمة كلمة كلمة، بل يحترم قواعد اللغة المترجم إليها. ولكن عندما لا تفرض اللغات منذ البداية إعادة هيكلة لغوية مهمة قد تتطلب بعضاً من تحويل النص اللفظي إلى معنى، نرى ترجمات معجمية يمكن أن تشبه الترجمة كلمة كلمة.

مثال:

"She always knows where his shirts are"

أجاب عدة مترجمين بـ:

Elle sait toujours où sont ses chemises.

"هي تعرف دائماً أين قمصانه؟".

جاء في إحدى الترجمات: Elle sait toujours lui trouver ses chemises.

الجملة الإنكليزية المترجمة هي مجاز مرسل يحيل على مجموع معرفي هو:

Juanita est précieuse non seulement parce qu'elle sait où sont les chemises de Monsieur, mais parce qu'elle les lui trouve lors qu'il en a besoin.

"جوانا فتاة أمينة ليس فقط لأنها تعرف: أين هي قمصان السيد؟ بل كذلك لأنها تجدها له

حينما يكون بحاجة إليها".

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

إن الإنكليزية تتضمن أنها تجدها له، والفرنسية تتضمن أنها تعرف: أين هي؟

إن المجاز المرسل الصريح، في كل لغة، يحيل بوسائله المختلفة إلى مجموع لغوي أوسع. والجمل الأجنبية التي تتوافق بنيتها مع بنية مألوفة في لغة الوصول (المترجم إليها) تشكل، بسبب من بساطتها الظاهرة، مشكلة إعادة صياغة صعبة عندما يتعلق الأمر بترجمة النصوص. وسهولة الترجمة التي تبدو عليها تعيق البحث المعمق عن المعنى.

2.2. تحويل اللفظ إلى معنى مسألة منهجية

إن ثبات الإشارات على الورق يجعل المهمة صعبة على مَنْ لا يَعُون ضرورة تحويل اللفظ إلى معنى. وسواءً أكتبوا ترجمتهم دون أن تغادر أبصارهم الأصل أم لم يشكّلوا جُمْلَهُمْ ذهنيّاً قبل تدوينها على الورق، تبقى النتيجة أكثر سوءاً مما لو كانوا قد عبّروا عن فكرة متحرّرة تماماً من مصفوفتها اللفظية الأصلية.

مثال:

.. (He starts screaming) he didn't marry a woman who would ignore her house and children".

لقد سبّبت ترجمة هذه الجملة عدداً من الأخطاء:

(T1) Ils ne se sont pas mariés pour vivre avec une femme qui néglige ses enfants et sa maison.

"لم يتزوجوا لكي يعيشوا مع امرأة تهمل أولادها وزوجها".

(T2) Ils n'ont pas épousé une femme qui se fiche de sa maison et de ses enfants.
"لم يتزوجوا امرأة تهزأ ببيتها وأطفالها".

(T3) En se mariant, il ne croyait pas qu'un jour sa femme négligerait foyer et enfants.

"عندما تزوج لم يكن يعتقد أن زوجته ستهمل البيت والأطفال".

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

(T4) Il ne s'est pas marié pour avoir une femme qui néglige sa maison et ses enfants.

لم يتزوج ليكون له امرأة تهمل بيتها وأطفالها".

(T5) (Il pousse les hauts cris en disant que) sa femme abandonne ses enfants et son foyer et qu'il ne s'est pas marié pour ça.

"(يصرخ بصوت عالٍ ويقول إن): زوجته تهجر أطفالها وبيتها، وأنه لم يتزوج من أجل ذلك"

الترجمة الأولى والثانية هما متناقضتان قليلاً، والثالثة متباكية كثيراً، والرابعة حرة كثيراً. والخامسة أمينة بدقة على المعنى. إن فكرة الجملة بسيطة، ولكن كان يجب، من أجل التعبير عنها مثل 5، تصورها خارج البنية اللغوية.

3.2. وحدة الترجمة

نعلم بالحدس ونحن نترجم، أن الكلمة ليست وحدة الترجمة، وإن كنا ما نزال نسمع غالباً السؤال: كيف تُقال كلمة ما، فرنسية على سبيل المثال، باللغة الإنكليزية أو العكس؟

وحتى حين لا يرى ج. ب. فيناي، و ج. داربولنيه في الترجمة إلا عبوراً من لغة إلى أخرى⁵، يذهبان إلى ما هو أبعد من الكلمة المطبوعة ليحددا وحدة الترجمة، فهي: "الجزء الأصغر من الكلام الذي يكون تماسك كلماته بالقدر الذي لا ينبغي معه أن تُترجم منفردة".

ويذهب ج. دوليسل⁶ (J. Delisle) من جانبه ليس فقط إلى ما بعد الكلمة، بل يشدد على أننا لا: "نترجم [نصاً] بـ"جمل مجزأة"، بل نأخذ بالحسبان الدينامية الداخلية لحركتها، واندفاعة الفكر الذي ولّدها".

⁵ Vinay, J.P. et Darbelnet, J. (1958): La stylistique comparée du français et de l'anglais, Didier, Paris P. 16..

⁶ Delisle, J. (1992): L'analyse du discours comme méthode de traduction, presse de l'Université d'Ottawa. P. 191.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

وبكلام آخر، يكون بين أيدينا في الجملة سياقٌ لفظي كافٍ لإظهار المعاني المُحيَّنة (actualisés) للكلمات، ولكن ينقص فيه السياق المعرفي، وهذا الغياب يسبب أخطارَ خطأ في الترجمة.

مثال:

السؤال الآتي مثال جيد للظاهرة: "you pay her?". هذا السؤال القصير ربما كان يمكن أن يُترجم خارج السياق بـ "Vous la payez؟": هل تدفع لها أجرها؟"، معطياً الانطباع (وخاصة لأولئك الذين يعرفون نظام الفتاة التي تعيش مع الأسرة، فتعمل مقابل معيشتها ولا تتقاضى أجراً) أن الأمر قد يكون متعلقاً بمساعدة عائلية مجانية. إن متممات المعلومة الموجودة في النص الأصل تبين أن الأمر يتعلق بشخص يعمل في المنزل بأجر، والترجمتان الأولى والثانية للسؤال كُتبتا:

"C'est vous qui la payez : أنت تدفع لها أجرها؟".

إن النص الإنكليزي يضم في الواقع جواباً:

"Of cours, I pay her : بالطبع أنا أدفع أجرها"،

وهناك سؤال جديد: You mean your husband dosen't contribute to her wages ?

يُفهم ما يحمله هذا التنبير (في اللفظ). وفي الشفوي عبّر عن ذلك بتنبير الضمير:

.You pay her ?

إن الإنكليزية المكتوبة تتضمن هذا التنبير، أما الفرنسية فيجب أن تُعبّر عن ذلك بتشديد (focalisation):

...C'est vous qui. ولسماع نبر الضمير you، يملك القارئ الإنكليزي السياق المعرفي في رأسه، أما المترجم الفرنسي فلا يستطيع الاستغناء عنه للتعبير عن المعنى.

وما إن يدرك المترجم معنىً يندمج بانسجام في تتابع النص، حتى يمتلك وحدةً ترجمة: إنها خليطٌ من الصريح والمعرفي، وهي وحدة المعنى.

4.2. الوفاء

الوفاء مفهوم مفتاحي في علم الترجمة. وفي رأينا لا يمكن أن يكون الوفاء إلا وفاءً للجوانب المختلفة للمعنى. وسنرى هنا بعض الأمثلة للطريقة التي يتحقق بها هذا الوفاء⁷.

مثال1: التصوّر (visualisation)

For every liberated women you see in an office, there is another women...

بعض الترجمات أعادت عبارة: in an office حرفياً: dans un bureau... في مكتب؛ وعلى العكس من ذلك كتب المترجم الثاني: derrière un bureau: خلف مكتب. لقد أخذ بعين الاعتبار مجمل السياق: ليلي تستقبل خلف مكتب. ومن الممكن أن المترجم الثاني لم يختار بوعي أن يكتب: وراء بدلاً من: في. ومع ذلك من المحتمل أنه تصوّر المشهد وأنه، بصرف النظر عن كلمات الإنجليزية التي جعلته ينطلق، وصفه بشكل طبيعي تماماً:

Toutes les fois que vous voyez une femme derrière un bureau, il y en a une "

autre...: في كل مرة ترى امرأة خلف مكتب، ستكون هناك امرأة أخرى..."

وكتب مترجمون آخرون: " Chaque fois qu'une femme libérée travaille dans un bureau:

bureau: كل مرة تعمل فيها امرأة محررة في مكتب..."

إن عبارة: derrière un bureau مثل عبارة: travaille dans un bureau تشير إلى اهتمام

بالوفاء لدى المترجمين. فالوفاء يذهب إلى المعنى، وعلى العكس من ذلك، لن يكون الوفاء للحرف كبيراً جداً. إن الترجمة إلى قانون مختلف تعطي:

Pour chaque femme libérée que vous voyez dans un bureau, il y a une autre "

femme...

⁷. نظراً لضيق المكان، ولشروط النشر التي تحدد عدد الكلمات في المقال، سيقصر المترجم على مثالين لتحقيق الوفاء. المترجم.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

مقابل كل امرأة متحررة تراها في مكتب، هناك امرأة أخرى...". وبهذا الشكل، يمكننا أن نرى نساءً في مكاتب، ولكن كيف نتحقق من أنهن متحررات؟ إن ربة بيت يمكنها أن تكون في مكتب لتقوم بمحاولة بهذا الشأن. إن عبارة: "خلف مكتب" أو عبارة: "تعمل في مكتب" تُعَيِّنُ في الفرنسية المجموع المعرفي ذاته الذي تعينه في الإنكليزية. لندون أن هذا التحليل قد جرى من الخارج، أما المترجم الذي يحول النص إلى معنى (déverbalise) فيعبر عفوياً باللغة الفرنسية.

مثال 2: الواقع المحسوس

When we get home at night, he wants to know why there are **no clean sheets on the bed**.

الترجمة الأولى: "il fait toute une histoire si **les draps n'ont pas été changés**:"

يثير ضجة إن لم تبدل الشراشف.

الترجمة الثانية: "il me demande comment cela se fait que **les draps n'aient pas**:"

été changés: يسألني كيف يحصل ألا تبدل الشراشف."

ففي أيّ من الترجمتين لا نجد لعبارة: clean sheets: شراشف وسخة، ترجمةً إلى قانون مختلف: draps propres: شراشف نظيفة. إن عبارة: شراشف نظيفة، تحيل القارئ الفرنسي إلى فكرة الشراشف الوسخة. وفي حالة الغنى التي تعيش فيها ليلي تُغيّر الشراشف قبل أن تتسخ.

وقلما يرد إلى الذهن أن المترجمين يقرنون عبارتي: clean sheets و draps propres لكي يستبعدوا العبارة الفرنسية، ويبحثوا بوعي عن شيء آخر، ويجدوا عبارة: بدل الشراشف. لقد أحاطوا بالمعنى وأعادوا التعبير عنه بالفرنسية طبيعياً بالطريقة الأكثر اعتياداً. ويشار إلى هذا المعنى بالإنكليزية بالمجاز المرسل: شراشف وسخة، معاداً التعبير عنه بالفرنسية من خلال مجاز مرسل آخر هو: تبديل الشراشف. فالوفاء للمعنى يعيد، بمجازات مرسلة مختلفة، مجموعاً معرفياً واحداً.

5.2. التحويل الثقافي

من بين صعوبات الترجمة الأكثر ذكراً نجد الصعوبات المسماة بالثقافية. فالأشياء والمفاهيم المنتمية حصرياً إلى ثقافة معينة لا تمتلك مطابقات معجمية لها في الحضارة المستقبلية، وإذا توصلنا إلى التعبير عنها على الأقل فلا يمكننا أن نعتمد على قارئ الترجمة لكي يَعْرِف بدقة طبيعة الثياب أو الغذاء. والأعراف الدينية والتقاليد المذكورة في النص الأصلي ليست واضحة بجلاء لقارئ الترجمة. فالأمر لا يتعلق فقط بمعرفة أي كلمة نضع في لغة الوصول لتطابق كلمة لغة الانطلاق، ولكن أيضاً وبوجه خاص بأن نعرف: كيف نمرّر إلى الحد الأقصى العالم الضمني الذي تغطيه لغة الآخر؟

لنتفق أولاً على معنى كلمة "ثقافة". تتطوي الثقافة في نظر الفرنسيين على الفن والأدب والموسيقى كما تشهد على ذلك اختصاصات وزارة الثقافة أو الموضوعات التي تُعالج في اليونسكو، إضافةً إلى العلم. وعلى العكس من ذلك تحيل كلمة "ثقافة" الإنكليزية إلى عناصر متنوعة كالأعراف، والغذاء، واللباس، والسكن، وآداب السلوك، والتقاليد. وما دام المعنى الإنكليزي للمصطلح قد فرض نفسه في الكتابات المتعلقة بعلم الترجمة، سأسعمل هنا كلمة "ثقافة" بالمعنى المزدوج للغتين: الإنكليزية والفرنسية.

ومشكلة إعادة التعبير عن عالم أجنبي أُنْتُجَتْ منذ وقت طويل نقاشاتٍ نقديةٍ وسَّعت كثيراً، في رأينا، مدى المشكلة. وبملاحظة هذه النقاشات أن كلَّ لغة تُفَصِّلُ العالم على مقاسها، وهذا صحيح، استنتجتُ أن كل لغة تفرض رؤية للعالم خاصة على مَنْ يتكلمونها، وهذا خطأ (هذه فرضية سايبر وورف Sapir whorf الشهيرة). ومن هذه النقطة تُقَطَّع خطوة جديدة: إن لم تعكس لغة ما في معجمها وتراكيبها واقعاتِ عالمٍ معيَّن ومفاهيمه، فستكون عاجزة عن تمريرها في عالمها الخاص. وهذا سيكون صحيحاً إن كانت الترجمةُ ترجمةً إلى قانون مختلف (transcodage)، وليس الأمر كذلك على مستوى ترجمة النصوص التي تؤدي فيها المكمّلات المعرفية دوراً له من الأهمية ما لأهمية دور التعبير اللغوي، وهي تتكوّن على مدى قراءة نص،

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

أو على مدى إنجاز الترجمة. إن المعالجة النظرية للترجمة تنطلق من مبدأ أن المترجم مُلِمٌّ بالموضوع الذي عالجه الكاتب، وهذا يعني، بخصوص النصوص البراغماتية والنصوص الأدبية، أنه يعرف "ثقافة" الشعب الذي يتكلم اللغة المقصودة (أو إن كانت لديه ثغرات، أنه يعي ذلك، ويعرف كيف يكتسب المعارف الضرورية لتلافيها). والمترجم الثنائي اللغة هو أيضاً ثنائي الثقافة، قادرٌ على أن يرى العالم المقصود بنصوص مكتوبة بلغتين مختلفتين بفضل معارفه اللغوية، وكذلك بفضل معرفته لهذا "العالم". وعندما يكون قادراً على أن يرى العالم الأجنبي، يكون قادراً على أن يعبر عنه، وأن يُريَه لأولئك الذين يجهلونه. فإن لم يكن الإنسان قادراً إلا على أن يرى ويفهم ما يعرفه سابقاً، فلن يكون هناك اكتساب معرفة فيما بعد تعلُّم اللغة ومعانيها.

3.. الترجمة وتعليم اللغات

تحت كلمة الترجمة عينها تتضوي غايات مختلفة. فمصطلح الترجمة يُستعمل كذلك في تعليم اللغات، ويحدده ج. دوليسل⁸ (J. Delisle) مبتدعاً عبارة "الترجمة التعليمية: traduction pédagogique"، أي "استعمال تمرينات مدرسية في الترجمة تهدف إلى إكساب لغة أجنبية"، ويضع هذه الترجمة التعليمية في مقابل تعليم الترجمة، أي في مقابل "تكوين المترجمين المتخصصين، الموجّه إلى مرشّحين لمهنة الترجمة يسعون في البداية إلى امتلاك معرفة جيدة باللغات".

ويميز ج. ر. لادميرال (J-R, Ladmiral)⁹ من جانبه بدقة شديدة بين مصطلح الترجمة (traduction) بحصر المعنى أو ما يسميه "الترجمة التقليدية: traduction traditionnelle" ومصطلح (thème et version): الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية (thème) والترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم (version)، الذي هو نمطٌ من الترجمة خاصٌ كلياً: إنه الترجمة بوصفها تمريناً تعليمياً¹⁰.

⁸ Delisle, J. (1984) "Les manuels de traduction: essai de classification". TTR. Vol. n 1.

⁹ Ladmiral, J.-R. (1979) : Traduire, théorèmes pour la traduction. Payot. Paris. P. 14.

¹⁰ هذا التمرين تعليمي حصراً، يُمارسه المتعلم في أثناء دراسته. المترجم.

فالترجمة التعليمية طريقة من الطرائق المستعملة في تعليم اللغات؛ تأخذ مكانها على مستوى التطابقات (correspondances). إنها إذن في جوهرها ترجمة لغوية مع أنها لا تخلو أحياناً من تأثيرات تفسيرية. وتعليم الترجمة يرمي بالعكس إلى بناء طريقة تمنح الأصل حقه (أي النص قبل ترجمته) بإنشاء التكافؤات (équivalences)¹¹.

وفي الحصة التدريسية يسير التعليم الأولي للغات جنباً إلى جنب مع الترجمة التعليمية، لتكون هذه الأخيرة في صورتها المثالية، إعداد الطلاب لمتابعة تعليم الترجمة الحقيقية في جوانبه المختلفة.

1.3. الاتجاه الطبيعي لكل متعلم

إن الخاصية التي تدهش المتعلم الأحادي اللغة أكثر من سواها هي الجانب غير المؤلف لصيغ اللغة الأجنبية. ونلاحظ في الغالب أنه لا يدرك أن الدلالات التي تكمن خلف هذه الصيغ ليست متماثلة بدقة في اللغتين (المترجم منها والمترجم إليها)؛ ويجهل أنها ستخضع للتعديل فوق ذلك، عندما تستعمل عبر السياق والموقف؛ وهو لا يرى أن التطابقات ليست على أية حال سوى تطابقات تقريبية، وأنها ينبغي ألا تستعمل آلياً لتكون معادلات لمقاطع من النصوص المترجمة.

والواقع أن الخلط الذي نلاحظه باستمرار بين الترجمة في تعليم اللغات والترجمة بحصر المعنى (أي الترجمة التقليدية) يرجع، في جانب كبير منه، إلى الحالة الذهنية للمتعليم الأحادي اللغة الذي يبدأ تعلم لغة أجنبية. ونسمع أيضاً طلاباً يسألون، وهم في مرحلة متقدمة جداً من اكتساب لغة أجنبية: كيف نترجم هذه الكلمة أو تلك؟ كيف نقول كلمة: مندوب "préposés" (الكلمة فرنسية) بالإنكليزية؟ أو "pronouncement" (الكلمة إنكليزية) بالفرنسية؟ إنهم يأملون بجواب يُظهرُ صيغةً صوتيةً مختلفة في معنى ثابت. إن لدى المتعلم إذن ميل لأن يركز على

¹¹. سبق أن ورد مفهومًا: التكافؤات والتطابقات بإسهاب في العددين 58 و 60 من مجلة التعريب في مقالي: "من طرائق

الترجمة" 1، و "من طرائق الترجمة" 2. المترجم

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

اختلافات الصيغ لكي يتقدم في اللغة، مقتنعاً دائماً بأن مدلولات (signifiés) متماثلة تكمن وراء دوالّ (signifiants) مختلفة، وبالأحرى خلف صيغ متماثلة أو متشابهة.

والتلميذ¹² لا يرى في اللغة الأجنبية إلا تطابقات مع لغته؛ ولكي يفهمها يمرُّ بفِلْتَرِ لغته هو. وما دام لم يتجاوز العَبْءَ (المرتفعة إلى حدٍّ ما) التي إذا ما تخطَّأها عرف بما يكفي اللغة الأجنبية لكي يفهم ما قيل فيها، دون أن يكون مضطراً إلى المرور بلغته هو، سيكون عمله مماثلاً لعمل الآلات الأولى للترجمة، التي يحركها الاتجاه الطبيعي نفسه لمصمميها الأوائل.

وهذا الاتجاه الطبيعي يوضح التأثير الذي تتركه اللغة الإنكليزية، في الوقت الحاضر، في اللغة الفرنسية. فالكلمات الإنكليزية التي يتشابه مدلولها مع المدلول الفرنسي تُرى في البداية، حاملة للمعنى الفرنسي. لقد فُهِمَتِ الكلمات الإنكليزية: "control"، "region"، "opportunity" في البداية بالمعنى الفرنسي لـ "contrôle" (تحقق)، "région" (جزء من بلد)، "opportunité" (فرصة). وتعددية السياقات التي تظهر فيها هذه الكلمات الإنكليزية انتهت إلى إفهام معناها الدقيق، وهذا المعنى أُعِدَّ عندئذٍ المعنى الفرنسي. أما اليوم فقد قَدَّتْ كلمة "contrôle" إلى حدٍّ بعيد معناها الأول لتأخذ المعنى الإنكليزي لـ "maîtriser: سيطر على"، "commander: قاد"، "diriger: أدار"؛ وكلمة "région" تضم عدة بلدان؛ وكلمة "opportunité" تحل أكثر فأكثر محل "occasion: مناسبة". والتشويهاات الدلالية لكلمات: "global"، "rampant"، "attractif"، .. إلخ، تَبَعَتْ هذه العملية بدرجات مختلفة. إن كلمة "global" على غرار الإنكليزية تعني اليوم: عالمي، إضافةً إلى معنى "entier: شامل"، و "total: إجمالي". وكلمة "rampant: مستكين" حافظت على معناها الفرنسي، ولكنها اسْتُعْمِلَتْ بتواتر يأتيها من الإنكليزية. وأما كلمة "attractif: جَذَاب" فتأخذ الصيغة الإنكليزية مع احتفاظها بمعنى الفاتن "attrayant" واللافت للنظر "attirant"، .. إلخ.

¹² يميّز النظام التعليمي في فرنسا بين نوعين من المتعلمين: التلاميذ في الدراسة ما قبل الجامعية، والطلاب في الدراسة الجامعية. المترجم.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

إن للترجمة في تعليم اللغات، دفعة واحدة، مهمة مزدوجة تتجلى في: إظهار الدوال (signifiants) المتطابقة مع دوال لغة المتعلم الأم؛ وإفهامه أن المدلولات (signifiés) التي تحيل إليها لا تتقاطع إلا بصورة تقريبية. والترجمة اللغوية الموجهة جيداً تتيح المقارنة، وتستطيع على هذا النحو أن تكون مفيدة للغاية، ولكنها يجب أن تبقى مقدمة للترجمة بالتكافؤات.

2.3. مذهب المقارنة وتعليم الترجمة

ليس هـ. فان هوف (H. Van Hoof)¹³ الوحيد الذي يؤكد أنّ "الترجمة تقارن نظامين لغويين؛ فالحقيقة أن القسم الأكبر من الكتب تقيم، تحت عنوان "طريقة ترجمة" أو "مشكلات ترجمة"، مقارنةً نظامية بين لغتين محددين.

وفضيلة ج. ب. فيناي و ج. داربولنيه¹⁴ (J. P. Vinay et J. Darbolnet) الكبرى هي أنهما لفنا الانتباه إلى الفروق الدقيقة التي تميز مدلولات (signifiés) اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية، المتطابقة في الظاهر، ولكنها في الحقيقة قليلة التوافق. إن ملاحظة سياقات الجمل التي تُعَيَّن بها في اللغتين حالاتٌ مجمدة (يُقال: slow لسائقي السيارات الأميركيين وralentir للفرنسيين) وضعهما على خطّ هذه الأسلوبية المقارنة، والمستعملة اليوم أيضاً في مدارس وجامعات بلدان كثيرة.

وعلى الرغم من مزايا كتاب: الأسلوبية المقارنة للغة الفرنسية واللغة الإنكليزية، كلّها، ليس، مع ذلك، طريقةً لترجمة النصوص، خلافاً لما يصرّح به عنوانه الفرعي: "طريقة ترجمة". لا يمكن للأسلوبية المقارنة أن تكون طريقة ترجمة، لأنها، بملاحظتها الحالات المتطابقة للتعيينات المختلفة، لا تذهب، باستثناء تحليل النتيجة، إلى حد شرح الترجمة بالتكافؤات.

¹³ Van Hoof, H. (1959): Traduire l'anglais, théorie et pratique, Duculot, Paris, P. 11.

¹⁴ ظهر كتابهما الشهير: La stylistique comparée du français et de l'anglais عام 1958، ومازال مستعملاً اليوم بوصفه كتاباً للترجمة في العديد من مدارس المترجمين.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

ولا يذهب المقارنون في مقارنتهم ليلبغوا النصوص التي تكون الترجمة بالتكافؤ ممكنة دائماً فيها، فهي تتيح شيئاً آخر غير التطابقات اللغوية. يقول ج. دوليسل¹⁵: "إن تحليل اللغة الذي يمارسه الأسلوبيون يبقى خارج نطاق تحليل الخطاب الذي تركز عليه كل ترجمة حقيقية".

والخطوات السبع النَّقْية¹⁶ لكتاب: الأسلوبية المقارنة للغة الفرنسية وللغة الإنكليزية، المشهورة جداً، لا يمكنها أن تساهم في الترجمة التي هي جوهرياً تمرين تفسير، لأنها: "لا تسهل لا تحليل رسالة ولا تصويبها، ولا يمكنها أن تمتلك قيمة القواعد التطبيقية للترجمة"¹⁷.

ولا يقلل هذا النقد من قيمة كتاب: الأسلوبية المقارنة للغة الفرنسية وللغة الإنكليزية، باعتباره شرحاً لاختلافات اللغتين: الفرنسية والإنكليزية. فاللغتان منفصلتان على مختلف المستويات: المعجمي والنحوي والأسلوبي. ومن وجهة النظر هذه، يمكن للأسلوبية المقارنة للغة الفرنسية وللغة الإنكليزية (ولكتب الترجمة الأخرى)، أن تقدّم خدمات جليلة للطلاب في تقوية الذاتية لأنفسهم في اللغة، إذ يمكن للمتعلّم أن يمتّح من معيّن المقارنة ليقوّي معارفه.

وعند الراشدين، لا تتبنى اللغة الأجنبية على أول نظام لغوي، وهو نظام اللغة الأم؛ فالوعي باختلاف اللغة الأم عن اللغة الأجنبية لا يمكن إلا أن يكون مفيداً في بناء تعبير اصطلاحي في الترجمة، وفي الكفاح ضد التداخلات اللغوية.

3.3. الوضع غير المريح للترجمة

نودّ أن يكون التمييز واضحاً بين غايتين فيهما من الاختلاف ما في الترجمة التعليمية والترجمة المهنية. وعدم التمييز بين الأولى والعملية التي يقوم بها مترجم ليست اللغة (المترجم منها) بالنسبة إليه أجنبية، بهدف نقل أفكار كاتبٍ وأحاسيسه إلى قارئ، هو سيئٌ على الصعيد العملي، مثلما هو كذلك على الصعيد النظري وعلى صعيد تعليم الترجمة.

¹⁵ Delisle, J., op. cit, p. 88.

¹⁶ هذه الخطوات هي: الاقتراض، الترجمة الحرفية، الترجمة الأدبية، النقل، النمذجة، التكافؤ، التعديل.

¹⁷ Delisle, J., op. cit, p. 88.

والترجمة التعليمية ليست الترجمة المهنية. والترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية (thème) كما الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم (version) لا يمكنهما أن تدّعا أنهما تعليم للترجمة "بحصر المعنى"، أي تلك التي يعالجها هذا الكتاب. إن الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية (thème) والترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم (version) يتجهان معاً إلى تلاميذ أو إلى طلاب في مرحلة تعلّم اللغة الأجنبية، في حين أن تعليم الترجمة يرمي إلى أن يعطي طريقة إلى طلاب يُعتَبَر أنهم يعرفون اللغات التي لن يُرجع إلى تعليمها. إن التمييز دقيق من وجهة نظر نظرية: فبخصوص الفريق الأول يتعلق الأمر بتعلّم التطابقات بين اللغتين، وبخصوص الفريق الثاني يكون المقصود طرائق إنشاء التكافؤات أيّاً كانت اللغات المعالجة. ومن وجهة نظر عملية، تكون الأشياء أقلّ بساطة. ففي النصوص يستدعي بعض عناصر سلسلة العبارة، وبعض معاني الكلمة، ترجمةً مستقلة عن السياق، أي تطابقات. ومن جهة أخرى، أيّاً كانت درجة الدقة المرادة في النص الأصل، يكون جزء من التفسير، في الترجمة التعليمية، ضرورياً غالباً، وهو يستدعي تكافؤات.

إن تعليم عمل لغة ما يتطلب إطاراً أوسع من ذاك الذي تقدمه الجملة. إذن، ما إن نتجاوز هذا الحدّ حتى تعدّل السياقات المعاني. فلا يمكن لتعليم اللغات أن يتجنب الرجوع إلى النصوص، ولكنه لا يستطيع أن يسمح لنفسه بأن يطبّق عليها طريقة تفسيرية، لأن هذه الطريقة، باعتمادها التكافؤات الخاصة، العابرة، التي تقيّمها، تسير بعكس اكتساب نظام لغوي مستقر وموضوعي. والطبعات الثنائية اللغة التي لا يمكن الشك في توجّها التربوي تعطينا مثلاً، والمقصود بذلك ترجمة غراهام غرين¹⁸ (Graham Green):

"Philip had never seen the girl, but he remembered Baines had a nice. She was thin and drawn, and she wore a white mackintosh*; she meant nothing to Philip; she belonged to a world about which he knew nothing at all".

¹⁸ Green, G. (1990) : "The basement Room", the end of the party, Les langues modernes/ bilingues, préfaces, traduction et notes Pappomusard, C. agrégé de l'université, Le livre de poche, Paris.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

* كلمة: ماكنتوش مشتقة (Mackintosh) من اسم مخترع القماش: شارل ماكنتوش (Charles Mackintosh) (1823).

وهذه هي الترجمة الفرنسية:

Philip n'avait jamais vu la jeune fille, mais il se souvint que Baines avait une " et elle portait un imperméable blanc; elle ne nièce. Elle était maigre, abattue, "signifiait rien pour Philip; elle appartenait à un monde dont il ignorait tout

وترجمة النص بالعربية هي الآتية: "لم يكن فيليب قد رأى الفتاة قط، ولكنه تذكر أنه كان لبس ابنة أخ. كانت نحيفة، كئيبة، وكانت ترتدي معطفاً أبيض واقياً من المطر؛ ولم تكن تعني لفيليب شيئاً؛ فقد كانت تنتمي إلى عالم يجهل عنه كل شيء".

إن هذه الترجمة مثال ممتاز للترجمة التعليمية. فجملة: "elle ne signifiait rien pour Philip لم تكن تعني لفيليب شيئاً" تتطابق جيداً مع جملة: "she meant nothing to Philip"، ولكن بريشة مترجم لا يخضع لمتطلبات ترجمة ثنائية اللغة، ربما كانت الجملة الإنكليزية استدعت تكافؤاتٍ من مثل: "philip n'arrivait pas à la placer": لم يتوصل فيليب إلى تحديد موقعها منه"، أو "Philip ne savait pas quoi penser d'elle": فيليب لم يكن يعلم ما الذي يفكر به عنها".

ومع ذلك، فالترجمة اللغوية تبدو أحياناً متعذرة. إن ميشيل بالارد¹⁹ أنتج بعد فيناي وداربولنيه مباشرة كتاباً غنياً بمقترحات ممتازة من التطابقات من أجل جُمْلٍ إنكليزية، نرى فيها مع ذلك، حدود تطبيق التطابقات. فمن أجل:

"I can't close the door; it does not fit into its frame" يقترح في الصفحة 48:

"Elle est gauchie": إنها محرّجة". ولأن م. بالارد لا يستطيع أو لا يريد ترجمة جملة:

¹⁹. Ballard, M. (1987) : La traduction de l'anglais au français, Nathan, Paris.

"Elle ne s'ajuste pas au chambranle"، لم يعد يلزم التلميذ بأن يجد مطابقاً من لغة إلى أخرى: إن جملة: "Elle est gauchie" تتطلب بالضرورة معرفة أخرى غير المعرفة اللغوية الصرفة.

ومن وجهة نظر نظرية، تجب معرفة التطابقات قبل البحث عن التكافؤات. ولكن، لأن الترجمة التعليمية لا يمكنها الاختصار دائماً على التطابقات، تبقى التكافؤات حينئذٍ ضرورية. وبهذا تكون الترجمة في تعليم اللغات، في وضع غير مريح.

4.3. الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية (thème) ومن اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم (version)

تبدو الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية، ومن اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم للوهلة الأولى تمرينين مباشرة متناظرين. وحين تُمعن النظر فيهما عن قرب، لا يبدو الأمر كذلك. بالجملة، وفي الواقع، ترمي الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية إلى "ضبط المعارف النحوية وترسيخها"²⁰ في اللغة الأجنبية، في حين أن الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم هي اختبار فهم لهذه اللغة واختبار تعبير فيها.

1.4.3. الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية

في التعليم الثانوي تكون الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية تمريناً مصطنعاً للتحقق من امتلاك التلميذ قواعد اللغة الأجنبية النحوية. إن ج. - ر. لادميرال يميّز ثلاثة أنماط منها هي:

1. الترجمة النحوية: "وهي طريقة نُصّبُ أشراك (ج. شَرَك) للتلاميذ"؛ 2. ترجمة التدريب والتطبيق التي "ترمي إلى إعادة الاستعمال المباشر للعناصر اللغوية الموجودة في تراكيب نص أساسي يُفترَح على التلاميذ" و"يمكن أن يكون مُركّزاً على المفردات أو على النحو والصرف؛ 3. الترجمة الأدبية، وهذه الأخيرة هي نمط يستهدف بالتأكيد تلاميذ وطلاباً متقدمين جداً في تعلم اللغة الأجنبية.

²⁰. Ladmiral, J.-R., op. cit. p. 49.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

يجب أن نضيف أن الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية لا تتناول في غالب الأحيان نصوصاً حقيقية، بل تتناول كلمة محددة أو تركيباً محدداً وضعهما المعلم أو مؤلف الكتاب بشكل مصطنع. وبهذا الصدد، لا يمكن لهذا التمرين إذن أن يُشَبَّه بترجمة النصوص الحقيقية. ومن جهة أخرى، يكون إجراؤه في اتجاه لغة أم- لغة أجنبية.

وهاتان النقطتان وحدهما كافيتان لإثبات أن الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية في الشكل الذي تتخذه في المؤسسة التعليمية لا يمكن اعتبارها تمرينَ ترجمةٍ مهنية، ولا يمكن أن تُستعمل في أية حالٍ لكي تُعلِّم. ومهما كانت كبيرة الفائدة التي يقدمها تمرينُ الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية (لا أسمح لنفسني بالحكم عليه) لتعليم اللغة الأجنبية، ينبغي مع ذلك أن نلاحظ مع ج.-ر. لادميرال العيوبَ المقترنة بهذا التمرين من أجل اكتساب اللغات:

"إن ترميز نص فرنسي في اللغة-الهدف "langue-cible" (المترجم إليها) الأجنبية سيسهل التداخلات المتأنتية من البنية القوية للغة الفرنسية-المصدر "langue-source" (المترجم منها)، ومن جهة أخرى، يميل المتكلم إلى حفظ الأداءات غير الصحيحة للغة الفردية الخاصة به".

وهكذا نعلم أن التداخلات هي واحد من أكثر العوائق خطورة على الترجمة الجيدة؛ فالمترجم الذي يترجم عموماً بلغته الأم يعي أن عليه أن يكافح بلا توائٍ ثبات صيغ اللغة الأجنبية في تعبيره. فكل ما يعاكس جهوده يجب في نهاية الأمر تثبيطه.

وهذا يكفي، في تقديري، لحسم مصير الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية باعتبارها تمريناً لتعليم الترجمة، مهما كان مفيداً لتعلم اللغة.

2.4.3. الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم

إن تمرين الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم أقرب إلى الترجمة من تمرين الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية. والذي بلغ مستوى معيناً من لغته، والذي انتقل، خلال تمرين ما، من لغة إلى أخرى دون تفكير، يصحّ خطأه بشيء من السهولة حينما نقول له: "ما

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الذي تريد أن نقوله؟"؛ ويمكنه أن يدرك أن التعبير الفرنسي يتطلب شيئاً آخر غير التقليد الحرفي (calque) للإنكليزية. غير أنه من أجل ذلك، يجب أن يمتلك معرفة متقدمة إلى حد ما في اللغة الأجنبية، وهذه ليست هي الحال دائماً، وهي لذلك تستدعي انتقادات أ. لافو²¹ (E. Lavault) الآتية:

"ولكن ما الذي نراه بخصوص تمرين يتحدّى كلّ القوانين الطبيعية للتواصل؟ أيّ مستوى من الترجمة يمكننا أن ننتظره من مترجمين تلاميذ:

1. لا يمتلكون الكفاءة اللغوية التي تكفي لفهم النص، لأنه لم يُشرح سابقاً، ولأن التلميذ يجهل الكلمات المفتاحية أحياناً؛

2. لا يمتلكون أيّ عنصر لغوي إضافي (extra-linguistique) يتيح لهم فهماً أفضل للنص، يعني بذلك: مَنْ كاتب النص؟ أيّ كتاب هو المقصود؟ تحت أيّ سياق ينضوي هذا المقطع، إلخ..

من المستبعد أن نأمل شيئاً آخر غير ترجمة حرفيّة، صحيحة إلى هذا الحد أو ذاك، أنيقة بهذا المقدار أو ذاك، ولكنها تبقى على مستوى الكلمة أو الجملة. والواقع أنه كلما كان السياق أقلّ تحديداً ازداد التشبث بالكلمات، وفُرضت الترجمة الحرفية نفسها. يضاف إلى ذلك أن المعلم ينتظر ترجمة قوامها كلمة كلمة، لكي يتحقّق من المعارف اللغوية لتلاميذه".

مع أن النص المُعطى للترجمة في الجامعة ليس مصطنعاً، فهو مع ذلك ليس جزءاً مقتطعاً من نصه الأصلي، ومن المستحيل أن نطبّق عليه الطريقة التفسيرية. وفي الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم، تبعاً لـ ج. ر. لادميرال²²، "نحن غير قادرين على الوصول إلى تعريف سياقي للمصطلح بفضل مصادر النص وحدها". وهذا سيئ جداً. وقد رأينا في الواقع لا أهمية للتحيين²³ (actualisation) فحسب، بل كذلك أيضاً لا أهمية لمساهمة السياق المعرفي في

²¹. Lavault, E. (1985): Fonctions de la traduction en didactique des langues, Didier, Érudition, Paris, p. 38.

²². Ladmiral, J.-R. , op. cit. p. 66.

²³. سبق لنا أن تناولنا هذا المصطلح في مقال: "من طرائق الترجمة" المنشور في العدد 60 من مجلة التعريب. المترجم.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

تكوين المعنى، وبالنتيجة في التعبير عنه. وغياب السياق المعرفي الموسّع ينتج عنه أن "الكلمة تشير [إذاً] إلى الاستخدام الذي لا لبس فيه... للقاموس الثنائي اللغة"²⁴.

ويضيف أ. لافو من جانبه: "صحيح أن لدى معلمي اللغة غالباً، بحكم تكوينهم، رؤيةً للغة أكثر ارتباطاً بوصفها اللغوي منها بوظيفتها التواصلية. وعلى الرغم من أنهم يعلّمونها في مواقف، اعتادوا تقطيعها إلى كلمات، إلى تراكيب، إلى بنى، لأنهم من أجل أن يعلموها لا يمكنهم إلا أن يعودوا إلى لغة المعاجم والقواعد. والعديد من المعلمين يُعون هذه المخاطرة، ويكافحون للتحرر من التكافؤات المرمّزة والثابتة في رأسهم منذ سنوات"²⁵.

والفكرة الراسخة جيداً في ذهن الجاهل بأصول الترجمة، وهي أن الترجمة هي وضع كلمة لكلمة، مازالت تتعرّز بتمرين الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم.

لنُشر أخيراً إلى أمر يناقض الاكتساب اللاحق للطريقة الجيدة، مع أنه لا يأتي من الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم ذاتها، بل من المعلم، وهو أن مفتاح الإجابة يُفهم غالباً على أنه وحيد ودائم. وهنا أيضاً يُعطى إلى التلاميذ أو إلى الطلاب فكرة جامدة عن الترجمة ويُدفعون إلى الاعتقاد بأن كل كلمة وكل جملة تطابقها كلمة، وكلمة واحدة؛ وجملة، وجملة واحدة في اللغة الأخرى. لقد قلنا مراراً: إن أية ترجمة ليست أبداً نهائية، وإن أيّ مترجم لن يكتب أبداً الترجمة ذاتها التي كتبها مترجم آخر.

إن الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم، المقدّمة بوصفها تمرينَ ترجمة تجازف بأن ترسخ في ذهن الطلاب ضمناً فكرةً ضارة، وتُعيق اكتساب طريقة صحيحة للترجمة على مستوى النصوص.

²⁴ Ladmiral, J.-R., op. cit. p. 66.

²⁵ Lavault, E., op. cit. p. 37.

5.3. التمتين اللغوي للمترجم المبتدئ

كلما قلّت معرفتنا بلغة ما زاد ذلك من إعاقة ظهور المعنى. فالطالب الذي يواجه صعوبات كثيرة من النوع اللغوي في قراءة النص الذي نطلب إليه ترجمته، يعلّق في التحليل اللغوي الصّرف للجمل، ولا يتوصّل إلى التقاط معنى النص. فإذا لم تُحدّد حالات الضعف اللغوي عنده وتصحّح فقد تعيق بشكل دائم قدراته على إنشاء التكافؤات.

وبحكم قوة الأشياء، يرتكب الطلاب الذين لا يعرفون اللغة الأجنبية إلى حدّ كافٍ، في الترجمة، أخطاءً ليست أخطاءً ترجمةً، ولكنها تكشف عن قصورهم في لغتهم؛ والمعلم مُلزم إذن بأن يعيد كل شيء إلى اللغة. إن م. بالارد²⁶ يعطي مثلاً لذلك سأستعمله بطريقة مغايرة. أن نترجم جملة "The narrow winding streets" بـ "Les rues étroites balayées par le vent: الشوارع الضيقة التي كُنستّها الريح" بدلاً من "sinueuses: المتعرجة" ليس خطأ ترجمة، بل دليل على جهل الطلاب الذين ما زالوا لا يعرفون اللغة الإنكليزية معرفة كافية.

وَألاّ يستطيع تعليم اللغة مسابقة تعليم الترجمة لا يعني أن المترجمين المبتدئين الذين يحضرون إلى مدخل مدارس الترجمة ليسوا بحاجة إلى تمتين لغوي في لغتهم الأجنبية وفي لغتهم الأم معاً. وأياً كانت جَوْدَةُ التعليم الذي أُعِدَّ عليهم، وأياً كانوا هم أنفسهم مجتهدين فإن طلاباً كثيرين يصلون إلى الجامعة، وهم يعرفون معرفة سيئة جداً اللغة الأجنبية بحيث يكون ممكناً أن نفصل كلياً بين تعليم الترجمة وتعليم اللغات. إن المدارس الجامعية للترجمة تعاني أيضاً الحاجة إلى أن تخصص جزءاً من تعليمها لتمرينات تمتين لغوي من أجل تجنّب أن ترى خريجها يخرجون إلى سوق العمل وهم يعرفون ما تعنيه الترجمة، ولكن ما زال لديهم ضعف كبير في اللغة الأجنبية.

والمدرسة العليا للمترجمين الفوربيين والمترجمين (ESIT) عانت هي الأخرى ضرورة إعطاء إطارٍ داعم من التمتين اللغوي في اللغتين الإلزاميتين: الفرنسية والإنكليزية للطلاب الذين تقبلهم:

²⁶. Ballard, M., op. cit. p. 28.

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

الفرنسية للأجانب، والإنكليزية للفرنسيين. وهذا التمتين يأخذ شكلين: مقرراً في السنة الأولى وثيق الصلة بالترجمة، يهدف إلى تجاوز الضعف المشار إليه سابقاً؛ وفيما بعد تمتيناً ذاتياً يُترك لمبادرة الطلاب أنفسهم، على أساس النصائح التي يعطيها المعلمون في السنة الأولى، ومضافاً إليها كُتِب²⁷ يؤلفه المعلمون، ويوضع تحت تصرف الطلاب.

1.5.3. مقرّر التمتين اللغوي

والغاية من هذا المقرّر أن يُدمج الطالب في رؤية إجمالية لتكوين المترجم المبتدئ، وتمكينه من أن يتصور -وأن ينسج- في اللغة شبكة الترابطات التي تجعلها مفهومة، في كل مرحلة دراسية، بوصفها كُلاً، بالوسائل التعبيرية الخفيفة السرعة.

وطريقة المقرّر تحليلية: إنه يتناول جوهرياً أقسام الكلام، وعناصر الجملة. وفي نهاية العام، مع ذلك، يقترب من تقنيات الإنتاج اللغوي، من خلال دراسة الحقل المعجمي خاصة، ومن خلال إعادة كتابة النصوص. إنه يفضل "الوضع في سياق" نظامي، لأسباب تواصلية جليّة، تُعنى إذن بتلاؤم كبير مع شروط تمرين الترجمة.

إن مقرّر التمتين اللغوي في اللغة الأجنبية يستهدف جوهرياً المرحلة الأولى من الترجمة، إنه يستهدف الفهم، وإن كان يتناول أحياناً تقنيات الإنتاج اللغوي. والشطر الآخر منه، وهو التعبير باللغة الأم، غير مُنْسي، لأن هذا الأخير ينقصه غالباً الوضوح والدقة لدى الطلاب في حين أن صفات ضرورية للترجمة الجيدة تكمن هنا.

يبقى على الطلاب، حتى بعد بلوغ مرحلة "التواصل" أو تجاوزها، أن يمتنوا معارفهم اللغوية بجهد شخصي. والكُتِب الذي نشرته المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين يساعدهم على ذلك.

²⁷. Comment perfectionner ses connaissances linguistiques, brochure disponible au secrétariat de l'ESIT.

2.5.3. التمتين الذاتي

سنرى فيما يأتي بعض النصائح التي يعطيها م. بيرنيه وأ. لافو (M. Pernier et E. Lavault) في كُتَيْب التمتين الذاتي في اللغة الأجنبية. وهذه النصائح صالحة أيضاً بخصوص تمتين التعبير باللغة الأم. والمهم هو أن يَعِيَ الطلاب ضرورة ألا يكتفوا بالذي "هو تقريبي"، ويتمرنون على كتابة لغة سهلة، واضحة، دقيقة.

يكتب م. بيرنيه أولاً في مقدمة الكُتَيْب: "لا يتعلق الأمر، في أية حال، بأن نقيم تعليم لغات بالمعنى التقليدي للمصطلح، دون أية فائدة للطلاب الذين يجب عليهم أن يبذلوا جهداً فردياً. إن الأمر يتعلق باستيعاب كامل للغة ثانية أو ثالثة، وذلك بعملية بحث نظامي في الصعوبات التي يعانيها الكبار، وبجرد الأسباب (اللغوية والنفسية والنفسية الاجتماعية) لهذه الصعوبات، لكي نقترح عليهم طرائق عمل وتمرنات قادرة على تجاوزها".

نقترح إذن على الطلاب تمتيناً ذاتياً قائماً على بعض المبادئ والتمارين. ويتابع م. برنيه: "من الناحية العملية، من الضروري فصل أعمال التمتين اللغوي كلياً عن التمارين التي تهتم بالترجمة".

ومن بين التمارين المطلوبة في الكُتَيْب، يقترح أ. لافو "تمتيناً ذاتياً للكتابة وبالكتابة": بالكتابة [إذا] يطرح الطالب السؤال عن كفاءته الذاتية، ويقيس حاجاته في التمتين الذاتي. ولكن بالكتابة أيضاً يمتن نفسه بالطريقة الأنجع، ليس فقط بأن يفكر ويتحقق، بل كذلك بأن يتجاوز شيئاً فشيئاً ميدان ما هو يقيني عنده في اللغة ليتحرى فيها خياراته، أي ليتدرب على اتخاذ الخيارات التي تقود إلى تطوير تعبير شخصي حقيقي.

فكيف يحقق الطالب هذا التمتين الذاتي للكتابة وبالكتابة؟ يحققه أولاً بأن يقرأ ما كتبه الآخرون، بأن يصبح قارئاً يقطّأ، قادراً على التعامل مع أنماط عدة من القراءة، ولا سيما أن يكون قادراً على أن يتبين: كيف يخدم الشكل المضمون؟ وأيّ التعابير يتطابق بشكل أفضل مع أي نوع من الرسائل؟ وأية صياغات أسلوبية -تغطي خيارات معجمية أو نحوية أو جمالية- قد استعملت

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

عمداً في هذا النوع أو ذاك من الخطاب؟ وفي هذا الميدان، تظل مُعْنِيَةً دائماً الدراسةُ المقارنة لمقالات الصحف، التي تبين: كيف تؤثر أهداف الصّحافيّ - المرتبطة بالظروف، وبالخط الإيديولوجي للصحيفة، ويطموح بعض شرائح الجمهور - في شكل الرسالة، وفي الرسالة نفسها؟".

6.3. تعليم الترجمة

لا يصبح تعليم الترجمة المهنية مفيداً إلا بدءاً من اللحظة التي يكون الطلاب فيها قادرين على يتعرفوا نصّاً، وأن يفهموا معناه دون أن يكون المرور بلغتهم الأم ضرورياً لهم.

ولن نكرر أبداً تكراراً كافياً أن من المستحيل أن نُدرّس دفعةً واحدة اللغة والترجمة، لأن تعليم اللغة يتناول الصيغ المعجمية والبنى النحوية، وأن هذه الطريقة في معالجة الأشياء تتداخل مع تعليم للترجمة هدفه إبراز معنى النص (وتجنب ترجمة معاني الكلمات) قبل إعادة التعبير عنه.

ومن دون أن أعطي هنا تفصيلات برنامج تعليم للترجمة، أودّ أن أبين، في مقابل الترجمة التعليمية، ماهية تمرين تعلّم اللغة الأجنبية، وهي المرحلة الأولى من تعليم الترجمة.

إن الطلاب الذين يدخلون المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين ينظرون في غالب الأحيان إلى الترجمة على أنها مقارنة للغتين، ونقل للمدلولات من واحدة منهما إلى الأخرى. يجب إذن أن نقوّم السلوكات، ونغرس بعض المبادئ الأساسية قبل أن نستطيع تعليم الترجمة بمعناها الحقيقي. والترجمة بهذا المعنى مخفّضة في السنة الأولى إلى الحد الأدنى؛ ويرمي القسم الجوهري من الدروس إلى بناء القواعد التي ستتطور عليها فيما بعد طرائق الترجمة بمعناها الحقيقي، وهذه القواعد هي قدرات التحليل والتركيب، واكتساب المعارف المناسبة لكل نص تجب ترجمته. وهكذا فطلاب السنة الأولى من المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين يتابعون مقرراً في "القراءة النشطة" في اللغة الفرنسية، ومقرراً آخر باللغة الفرنسية عنوانه: "طريقة اكتساب المعارف الموضوعية (الخاصة بالموضوع أو الفكرة)".

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

• هدف المقرر الأول (القراءة النشطة) هو تعلّم معالجة نص (قبل ترجمته) كما ينبغي أن تعالج النصوص التي تجب ترجمتها. ويشمل هذا المقرر التدريبي مرحلتين متتاليتين ومتكاملتين تتوافقان مع مرحلتي عمل موهبتين للترجمة هما:

* **قراءة "تركيبية"**، سريعة قدر الإمكان، هدفها إبراز المعنى، وبنية النص: الفكرة الرئيسية، والفكر الثانوي، والعلاقات السببية، ..إلخ. وهذا النمط من القراءة هو المرحلة الأولى من التهيئة للترجمة.

* **قراءة "تحليلية"**، لا يُترك خلالها أي تفصيل من تفاصيل النص في الظل. وهذا يتطلب تحديد الآثار الأسلوبية أو الأخطاء، وربما تطلب أحياناً إعادة صياغة المقاطع التي كُتبت كتابة سيئة، وشرح التلميحات، والحروف التي في بدايات الكلمات، وعلى وجه العموم: ما لم يُفصح عنه النص. وهذا النمط من القراءة يتوافق مع المرحلة الثانية من التهيئة للترجمة، أي دراسة كل التفاصيل التي يمكن لها أيضاً أن تعيق الفهم.

• وهدف المقرر الثاني أن يُدرّس المترجمون المبتدئون: كيف يتعلمون فهم نص عامّ أولاً، ثم تُقْنِي في مرحلة تالية. ومبدأ المقرر يقوم على الافتراض الأساسي بأنه لا يمكن للمرء ترجمة نص لا يفهم معناه. فالطلاب يتعلمون البحث عن وثائق حول موضوع معين، وهدف البحث هو تسليط الضوء المعلومة التي تتيح فهم الموضوع المدروس، وتسلط الضوء على المصطلحات والعبارات الخاصة بالموضوع المعالج.

• والمبادئ المحددة في هذين المقررين تُطبّق في درس الترجمة للسنة الأولى وحدّه: الترجمة "العامة" للغة الأجنبية B نحو اللغة الأم A.

ويعتاد المترجمون المبتدئون شيئاً فشيئاً على السيطرة على النص قبل ترجمته، على تحديد خطته، وتحديد الأفكار الرئيسية فيه وتطبيقها، أي على بنيته الإجمالية. ومن المهم أيضاً أن يأخذوا في الاعتبار معالم النص الأساسية، وهي: المؤلف والقارئ، والسياق العام للنص، والموقف الذي أنتج فيه، وهدفه. وبعد تحديد البنية العامة، يجب عليهم أن يحلّوا بالتفصيل كل جانب من

..... اللغة العربية والإرث الاستشراقي

جوانبه، ثم يقدموا عرضاً إجمالياً له. وسنلاحظ أن هذا كله يمهد لمرحلة الترجمة بمعناها الحقيقي، كما يمهد لمرحلة إعادة التشكيل التي سنأتي.

وفي هذه المرحلة يبدؤون بشرح الأفكار، أي إعادة صياغة إجمالية للمعنى لتتيح التحقق من فهم نص صغير وعلاقته بمجمل النص. وفي حالة التفسير غير الصحيح، نلجأ إلى تحليل أسباب الخطأ (تناقض التفكير، نقص المعارف اللغوية التي تعرقل فهم النص الأساسي، عيوب منهجية، وبخاصة الترميز، تقود إلى إعادة صياغة غامضة).

وتأتي أخيراً مرحلة الترجمة بمعناها الحقيقي: فبعد اقتراح طالب للترجمة، والقيام بمناقشة جماعية، نتوصل إلى ترجمة ممكنة للمقطع المحدد. وهذه الترجمة يجب ألا تكون عملاً على الكلمات، بل على الترابط المنطقي والمعنى الإجمالي للنص الأصل. يجب أن تكون دقيقة وكاملة. إننا نحارب فكرة "مفتاح التصحيح" بالبحث عن حاول أخرى ممكنة. وسنلج على أن الخطة المتبعة في مرحلة التعلم للوصول إلى ترجمة هي أهم من الحل المتوصل إليه.

4.. خاتمة

إن تعليم الترجمة الاحترافي ينطوي دائماً على جانب من أساليب تُطبَّق على زوج من لغات بعينها؛ ولن يكون فعالاً حقاً إلا إذا توصل إلى توسيع الأفق إلى ما بعد المسائل اللغوية، لإفهام الطلاب أن الترجمة ليست تعلم لغة أجنبية، وليست مقارنة مع اللغة الأم، ولكنه عملية عقلية لفهم معنى نصٍّ مدوّن بلغة معينة، وإعادة صياغة هذا المعنى في لغتهم الأم بكل حرية بالنسبة إلى اللغة المترجم عنها.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الترجمة الاقتصادية التحريرية

مفهومها وأسسُ تدريسها

د. ورد جبر حسن

جامعة دمشق – كلية الآداب

الجمهورية العربية السورية

ملخص المقالة

تتمحور هذه المقالة حول مفهوم الترجمة الاقتصادية "التحريرية" تحديداً، وأسسُ تدريسها في برامج تأهيل المترجمين الجامعية. وتتألف المقالة من قسمين رئيسيين. القسم الأول مخصص لمبادئ الترجمة الاقتصادية، إذ سنبداً بتعريف الاقتصاد، كي نستند إلى هذا التعريف في تحديد مفهوم النص الاقتصادي. وبناءً عليه، سوف نقدّم شرحاً موسّعاً لمعنى الترجمة الاقتصادية التحريرية، وأساليب ممارستها، والزّهانات الملقاة على عاتق المترجم الذي يزاولها، والأدوات التي يمكنه الاعتماد عليها أثناء قيامه بنقل النصوص الاقتصادية التحريرية من لغةٍ لأخرى.

سننقل بعدئذٍ إلى القسم الرئيسي الثاني في المقال، والمخصّص لعرض أسس تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية في برامج تأهيل المترجمين الجامعية. إذ سنبداً هذا القسم بتوضيح مفهوم تأهيل المترجمين، والتمييز بينه وبين مفهوم آخر هو الترجمة التعليمية التي ترمي إلى مساعدة الطلبة على تعلم لغةٍ أجنبيةٍ من خلال تمارين في الترجمة. وسنوضح أنّ تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية لا يندرج في إطار الترجمة التعليمية، بل في إطار تأهيل المترجمين المحترفين وإعدادهم لولوج سوق العمل. ثم سنشرح شرحاً مفصلاً أسس تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية، وهي:

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

أ. انتقاء النصوص الاقتصادية الأصلية: سنضع معايير دقيقة لاختيار النصوص الاقتصادية التي تطرُح على الطلاب كي يترجموها خلال دراستهم، وتستند هذه المعايير إلى مبدأ التدرج في صعوبة النصوص الاقتصادية الأصلية وملاءمتها لمستوى الدارسين وللأهداف الموضوعية في برنامج تأهيل المترجمين الذي يتبعونه.

ب. تنوع المراجع التي يعتمد الطالب عليها خلال ترجمته النصوص الاقتصادية: سنوضح أن هذه المراجع لا تقتصر على المعاجم الأحادية اللغة والمعاجم الثنائية اللغة التي اعتادها الطلبة في دروس الترجمة التعليمية، بل تتعداها إلى أنواع أخرى هامة سنشرح كلاً منها شرحاً وافياً.

ت. أسلوب العمل في الصف: سنؤكد أهمية تشجيع الحوار والتعاون داخل الصف سواء بين المدرس والطلبة، أو بين الطلبة أنفسهم، وسنوضح الآثار الإيجابية لذلك في عملية تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية.

ث. التقويم والقياس: سنشرح شرحاً مفصلاً مختلف أساليب تقييم مهارات الطلبة في برامج تأهيل المترجمين، ومختلف معايير رَوز تمكنهم منها، موضحين إيجابيات كل منها وسلبياته، وطرق الاستفادة منها وفقاً للضوابط القانونية التي يتوقف عليها العمل في برامج تأهيل المترجمين.

وستكون في نهاية المقال خاتمة نستعرض فيها مجمل النتائج التي توصل إليها بحثنا. يلي ذلك قائمة بالمراجع التي نعتدُّ عليها في هذا المقال.

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

مُقدِّمة

يمكنُ التمييزُ بين ثلاثة أنواع رئيسية من الترجمة الاحترافية، هي: الترجمة التحريرية، والترجمة الإلكترونية، والترجمة الشفهية. وينقسم كل واحدٍ من هذه الأنواع الرئيسية الثلاثة إلى عددٍ من الأنواع الفرعية. إذ تنفّرع الترجمة التحريرية إلى الترجمة الأدبية والترجمة التخصصية، وتنفّرع الترجمة الإلكترونية إلى الترجمة على الشاشة والدبلجة، وتنفّرع الترجمة الشفهية إلى الترجمة المنظورة، والترجمة التتبعية، والترجمة الفورية، والترجمة الفورية المرفقة بنص، والترجمة التواصلية.

هذا فيما يخص أنواع الترجمة الرئيسية وفرعاتها من حيث أسلوب ممارستها. أما فيما يتعلق بمضمون النصوص التي تجري ترجمتها، فإنه لا ينحصر بمجال معيّن، ويستحيل تحديده بعددٍ دقيقٍ أو حتى تقريبيٍّ من المضامين، وذلك لأنّ آفاق النشاطات البشرية لا تقف عند حد ما، وهي تعتمد بمجملها على الترجمة كي تنقل ابتكاراتها وإبداعاتها إلى مختلف الشعوب بصرف النظر عن اللغات التي تنطق بها. لكن كلما ازدادت أهمية مجال ما من مجالات النشاط البشري، ازدادت صلته بالترجمة وثوقاً، ومن بين هذه المجالات الحيوية، يمكن أن نذكر الاقتصاد الذي يطول بآثاره بلدان العالم بأسرها، وهذا الأمر يحتم على الشعوب كافة ترجمة الكثير من النصوص الاقتصادية إلى لغاتها الأم أو حتى إلى اللغات الأجنبية عندما تقتضي الضرورة.

وغني عن القول إن الترجمة الاقتصادية مرتبطة بعدد كبير من أنواع الترجمة الفرعية التي ذكرناها آنفاً، وهي الترجمة التخصصية، والترجمة على الشاشة، والدبلجة، وأنواع الترجمة الشفهية جميعها. معنى هذا أنّ الترجمة الاقتصادية تتطلب عناية خاصة في برامج تأهيل المترجمين. لذا فإننا سنتناول في هذه المقالة مفهوم الترجمة الاقتصادية التحريرية وأسس تدريسها في البرامج الجامعية. إذ سيتضمن مقالنا قسمين. القسم الأول مخصص لمفهوم الترجمة الاقتصادية التحريرية وأساليب القيام بها. أما القسم الثاني فنشرح فيه أسس تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية في برامج تأهيل المترجمين اعتماداً على تجربتنا المتواضعة في هذا المجال إضافة إلى خلاصة ما قدّمه أبرز المختصين في هذا الميدان.

1. الترجمة الاقتصادية التحريرية

تتمثل خطوتنا الأولى بتوضيح مفهوم الترجمة الاقتصادية التحريرية. لكن هذا يقتضي تحديد ماهية النصوص الاقتصادية، وكى نحدّد معنى النصوص الاقتصادية، لا بد قبل كل شيء من تعريف الاقتصاد.

1.1. الاقتصاد

يقدم معجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة عدة تعاريف لمصطلح "الاقتصاد". فهو يشير، وفقاً للتعريف الأول، إلى إدارة تقوم على تقليل النفقات تجنباً للإنفاق غير الضروري: "أدار ممتلكاته باقتصاد"، "اختار عن اقتصاد سلعة أقل فخامة". وبدل مصطلح "الاقتصاد"، وفقاً للتعريف الثاني، على ما يتم توفيره، أي ما لا يُنفق: "اقتصاد عشرة غُروش في الكتاب الواحد". ويعني مصطلح "الاقتصاد"، بناء على التعريف الثالث، الاعتدال في استعمال شيء ما بغية توفير القسم الأكبر منه: "اقتصاد في الوقت".

غير أنّ التعريف الرابع هو الذي يتعلق بمجال بحثنا، إذ يشير إلى أن الاقتصاد هو مجموع الوقائع المتعلقة بالإنتاج وتوزيعه واستهلاكه في مجموعة بشرية: "اقتصاد وطني أو قومي"، "اقتصاد رأسمالي"، "اقتصاد موجّه". ويتوسّع المنجد في اللغة العربية المعاصرة، في هذا التعريف من خلال تقديمه توضيحاتٍ لعددٍ من المصطلحات المنفرعة عن المصطلح الأصلي "الاقتصاد"، وهي "الاقتصاد السياسي"، و"الاقتصاد الموجّه"، و"الاقتصاد المترّي"، و"الاقتصاد البشري".

فالإقتصاد السياسي، حسب ما يرد في المنجد في اللغة العربية المعاصرة، هو علم يبحث في الإنتاج وتوزيعه واستهلاكه. والاقتصاد الموجّه، وفقاً للمرجع نفسه، هو نظام تكون الدولة فيه مسؤولة عن توجيه الاقتصاد وإدارته إدارة كاملة. أما الاقتصاد المترّي، فيعرّفه المنجد في اللغة العربية المعاصرة على أنه تقنية بحث اقتصادي تستعين بالتحليل الرياضي بناء على معالجة المعطيات الإحصائية المرتبطة بالظواهر الاقتصادية. وفيما يخص الاقتصاد البشري، يوضح

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

المنجد في اللغة العربية المعاصرة أنه دراسة للاقتصاد السياسي من ناحية القيم البشرية كالسكن ومستوى المعيشة وظروف العمل والصحة وغير ذلك.¹

خلاصة القول، يمثل الاقتصادُ مجملَ نشاطات الإنتاج، والتسويق، والاستهلاك، وما يرتبط بها من بيئة تشريعية، ويدٍ عاملة، وبنى تحتية، وقدرة شرائية. وقد تكونُ هذه النشاطاتُ على مستوى محلي (بلدة، ناحية، منطقة، محافظة)، أو على مستوى وطني (بلدٌ بكامله مثل سورية أو الصين)، وقد تتعدى ذلك إلى مستوى إقليمي يضم مجموعة من البلدان (مثل الوطن العربي أو الاتحاد الأوروبي)، ويمكن أن يشمل الاقتصادُ بدلالاته النشاطات المذكورة آنفاً في العالم بأسره، وهو ما يُسمّى الاقتصاد العالمي.

1.2. النصوص الاقتصادية

استناداً إلى تعريف الاقتصاد الوارد آنفاً، نستطيع أن نقول إن النصوص الاقتصادية هي المؤلفات المكتوبة أو الخطابات الشفهية أو الحوارات التي تتناول نشاطات الإنتاج، والتسويق، والاستهلاك، وما يتعلق بها من بيئة تشريعية، ويدٍ عاملة، وبنى تحتية، وقدرة شرائية، سواءً على المستوى المحلي أو المستوى الوطني أو المستوى الإقليمي أو المستوى العالمي.

الجديرُ ذكره أن الصيغ التي تردُ فيها النصوص الاقتصادية المكتوبة عديدة، فقد تكون كتباً تتحدث عن الاقتصاد، أو مقالاتٍ صحفية تعالج مواضيع اقتصادية، أو كتباً جامعية موجهة إلى طلبة كليات الاقتصاد، أو نصوص قوانين ومراسيم تنظم الاقتصاد في بلدٍ ما، أو معاهدات تنظم العلاقات الاقتصادية بين عددٍ من البلدان، أو عقوداً للتعاون بين الشركات أو الأفراد.

ويمكن أن نلاحظ قاسمين مشتركين بين أنواع النصوص الاقتصادية المكتوبة المذكورة. القاسم المشترك الأول، هو تضمنها مصطلحات اقتصادية، أي عباراتٍ تخصصية تشير إلى مفاهيم مندرجة في إطار علم الاقتصاد. أما القاسم المشترك الثاني، فهو خلوّ مختلف أنواع النصوص الاقتصادية من صور بيانية ومحسنات بديعية (استعارة، جناس، سجع.. إلخ) ترتبط ارتباطاً عضوياً بالفحوى فتسلط الضوء عليه وتشد انتباه القارئ إليه، لدرجة لا يمكن معها تصوّر هذه

¹ حشيمة، كميل إسكندر، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت، دار المشرق، 2001، ص 1158.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

النصوص دون الصور البيانية والمحسنات البديعية المذكورة. حتى لو وردت صورٌ بيانية أو محسناتٌ بديعية في عددٍ من النصوص الاقتصادية، فإنّ دورها ثانويّ ويمكن إهماله، خلافاً لما عليه الحال في النصوص الأدبية.

بيد أنّ الاختلافَ الكبيرَ الذي يبدو بين أنواع النصوص الاقتصادية المكتوبة المذكورة آنفاً، هو أنّ قسماً منها يحمل طابعاً اقتصادياً بحتاً، أي أنه مُخصَّصٌ للاقتصاد كلياً، ونقصد بذلك كتب الاقتصاد تحديداً. إنّ هذا النوع من النصوص الاقتصادية المكتوبة يتميز بلغة مباشرة توصل الأفكار إلى ذهن المتلقي بطريقة دقيقة عمادها سلامة التعبير واختيار المصطلحات الاقتصادية المناسبة. لكنّ أنواع النصوص الاقتصادية المكتوبة الأخرى لا تحمل طابعاً اقتصادياً بحتاً، بل يكون طابعها الاقتصادي ممزوجاً بطابع آخر مرتبط بميدان آخر. فالمقالات الاقتصادية تتداخل في طياتها المصطلحات الاقتصادية مع أساليب الصياغة الصحفية الحافلة بالصور البيانية (التشبيه، الاستعارة، الكناية...) وحتى بالمحسنات البديعية (جناس، طباق، سجع...). لكنّ هذه الصور البيانية والمحسنات البديعية ليست شرطاً لازماً لتحرير النصوص الصحفية، بقطع النظر عن الموضوع الذي تتناوله، ومن ثمّ يمكن أن نجد نصوصاً اقتصادية صحفية مكتوبة خالية من هذه النواحي الشكلية. أما الكتب الجامعية الموجهة إلى طلبة كليات الاقتصاد، فتردّ فيها المصطلحات الاقتصادية بالتزامن مع مصطلحات تربوية تمنح الكتب المذكورة صفتها الجامعية، وتوائمت مضمونها مع الغاية التعليمية التي تم وضع هذه الكتب لأجلها. وفيما يخص نصوص القوانين والمراسيم المتعلقة بالاقتصاد، إضافة إلى المعاهدات الاقتصادية وعقود التعاون بين الشركات أو الأفراد، فإنّ المصطلحات الاقتصادية التي تتضمنها تندرج ضمن إطار من المصطلحات القانونية التي لا غنى عنها لصياغة هذه الأنواع من النصوص. باختصار، هناك نوعان أساسيان من النصوص الاقتصادية المكتوبة: نصوص اقتصادية بحتة، ونصوص اقتصادية هجينة، إن جاز التعبير، تمتزج فيها المصطلحات الاقتصادية بأساليب ومصطلحات تابعة لمجالات أخرى.

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

لكننا ذكرنا آنفاً أنّ النصوص الاقتصادية ليست مكتوبة فقط، بل توجد أيضاً نصوص اقتصادية شفوية، تتمثل بالخطابات التي يلقيها الخبراء الاقتصاديون والمسؤولون عن الاقتصاد في المؤتمرات والندوات، وتكون هذه الخطابات مقروءة أو مرتجلة. وهناك أيضاً التقارير الصحفية الاقتصادية، أو ما يُعرف بالريبورتاجات، المُعدّة كي تقرأ عبر أثر الإذاعات أو التلفازات. كذلك الأمر بالنسبة للحوارات الاقتصادية التي تدور بين خبراء الاقتصاد أو المسؤولين عن الاقتصاد، إضافة إلى المقابلات الإذاعية أو التلفزية التي تجرى معهم. ولا شك في أنّ الخطابات الاقتصادية (مقروءة كانت أم مرتجلة) والحوارات الاقتصادية نصوص شفوية اقتصادية بحتة تتميز بأسلوبها المباشر الذي يحمل في طياته المصطلحات الاقتصادية. أما التقارير الصحفية الاقتصادية المُعدّة لمحطات الإذاعة والتلفزة، والمقابلات الإذاعية والتلفزية المتعلقة بالمواضيع الاقتصادية، فهي نصوص اقتصادية شفوية هجينة، تختلط فيها المصطلحات الاقتصادية بأساليب الصياغة الصحفية التي تتضمن صوراً بيانية ومحسناتٍ بديعية.

باختصار، النصوص الاقتصادية مؤلفاتٌ مكتوبة أو شفوية تتناول مجمل نشاطات الإنتاج، والتسويق، والاستهلاك، إضافة إلى الظروف المتعلقة بها من الضوابط القانونية، والقوة العاملة، والبنى التحتية، والقدرة الشرائية، سواء على نطاق محلي أم وطني أم إقليمي أم دولي. يكتسي قسم من هذه النصوص طابعاً اقتصادياً بحتاً، إذ تكون أفكاره مَصُوغة بأسلوب مباشر ذي لغة سليمة ومصطلحات اقتصادية مناسبة. لكن القسم الآخر من هذه النصوص يحمل طابعاً هجيناً، تمتزج فيه المصطلحات الاقتصادية بمصطلحات وأساليب تابعة لميادين أخرى.

1.3. مفهوم الترجمة الاقتصادية التحريرية

إنّ العرض المفصّل الذي قدّمناه للتو حول مفهوم النصوص الاقتصادية وأنواعها، يؤكد أنّ فحواها يتفوق من حيث الأهمية على مبناها. ومن ثم، ينبغي للمترجم أن يعطي الأولوية في عمله لمعنى النصوص الاقتصادية، قبل أن يراعي شكلها. ولمزيد من الإيضاح، يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع أساسية من الترجمة الاقتصادية: الترجمة الاقتصادية التحريرية، والترجمة الاقتصادية الإلكترونية، والترجمة الاقتصادية الشفهية. لكننا سنقتصر في مقالتنا هذه على شرح

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

مبادئ الترجمة الاقتصادية التحريرية، حتى لا نتجاوز عدد الصفحات المسموح به للنشر في مجلة/تعريب، على أن نتناول الترجمة الاقتصادية الإلكترونية والترجمة الاقتصادية الشفهية تناولاً موسعاً في مقال لاحق. فماذا عن الترجمة الاقتصادية التحريرية؟

إنَّ الأهمية الكبرى التي يكتسيها معنى النص الاقتصادي تقتضي أن يمر المترجم خلال عمله بمرحلتين أساسيتين. المرحلة الأولى هي فهم الأفكار الواردة في النص الاقتصادي الأصلي. إذ ينبغي أن يكون هذا الفهم جيداً وأقرب ما يمكن إلى درجات الكمال، مما يتطلب أن يقوم المترجم بالمهام الآتية:

- أ. قراءة النص الاقتصادي الأصلي قراءة معمقة.
- ب. تفعيل المترجم للمعلومات المخزنة في ذاكرته كي تتفاعل مع المعلومات الواردة في النص الاقتصادي الأصلي، مما سيتيح للمترجم فهم مضمون هذا النص.
- ت. استعانة المترجم بالمعاجم الأحادية اللغة للحصول على شروح وافية للمفردات والمصطلحات الواردة في النص الاقتصادي الأصلي.
- ث. زيارة المترجم للمواقع الموثوقة على الشبكة بحثاً عن معلومات تخصصية كفيّة بزيادة استيعابه للأفكار الواردة في النص الاقتصادي الأصلي.
- ج. اطلاع المترجم على كتب ومقالات مختصة بالاقتصاد كي ترفده بتوضيحات حول الأفكار التخصصية المذكورة في النص الاقتصادي الأصلي.
- ح. استشارة المترجم لمختصين في المجال الاقتصادي حول الأفكار التخصصية التي قد تبدو له غامضة في النص الأصلي، علماً أن أسئلة المترجم يجب أن تكون واضحة ومباشرة ومحددة، كي يستطيع الخبير الاقتصادي تقديم إجابة ملائمة لسياق النص الأصلي.

تجدر الإشارة إلى أنَّ فهم معنى النص الاقتصادي الأصلي شرط أساسي للعبور إلى مرحلة نقله إلى اللغة الهدف. أي على المترجم ألا يبدأ بكتابة الترجمة قبل استيعابه مجمل الأفكار المذكورة في النص الاقتصادي الأصلي، وإلا شاب عمله الارتباك والتردد والتناقض، مما سيؤدي

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

إلى ترجمةٍ دون المستوى المطلوب. أما المرحلة الأساسية الثانية في عمل المترجم، فتتمثل بنقل النص الاقتصادي الأصلي إلى اللغة الهدف، وهذا ما يقتضي مراعاة النقاط التالية:

أ. تفعيل المترجم لما تحتويه ذاكرته من مفرداتٍ ومصطلحاتٍ تخصصيةٍ ومعلوماتٍ قواعديّةٍ باللغة الهدف.

ب. استعانة المترجم بالمعاجم التخصصية الثنائية اللغة للحصول على المقابلات الدقيقة للمصطلحات التخصصية.

ت. زيارة مواقع إلكترونيّة موثوقة على الشبكة بحثاً عن المقابلات الدقيقة للمصطلحات التخصصية التي لا ترد في المعاجم التخصصية الثنائية اللغة.

ث. استناد المترجم إلى أساليب صياغة المصطلحات الحديثة المعتمدة في اللغة الهدف، كي يترجم المصطلحات الاقتصادية التي لم يسبق لها أن ترجمت. فتوجد في اللغة العربية مثلاً أساليبٌ محدّدة معتمدة لدى مجامع اللغة العربيّة ومكتب تنسيق التعريب (اشتقاق، مجاز، نحت، اقتباس، ترجمة) وذلك لتعريب المصطلحات الاقتصادية الحديثة التي لم يسبق لها أن عُرِّبت.

ج. اتصال المترجم بزملائه المترجمين وبالمختصين في اللغة العربية أو أية لغة هدف أخرى للتشاور معهم حول طريقة ترجمته للمصطلحات الحديثة.

ح. تحييد المترجم لأرائه وانفعالاته وميوله لدى نقل أفكار النص الاقتصادي الأصلي، أي عليه ترجمة هذه الأفكار بأمانةٍ مطلقةٍ حتى لو كان له رأيٌ مخالفٌ لها.

خ. اطلاع المترجم على كتب القواعد واستشارته للمختصين باللغة لسد أية ثغرة لغويةٍ واردةٍ في ترجمته.

د. مراجعة المترجم لترجمته ليتأكد له تغطيتها الأفكار الأصلية كافة، إضافة إلى جودة أسلوب صياغتها.

ذ. احترام المترجم للضوابط الموضوعية من قبيل الزبون بخصوص قواعد إخراج الصفحات ومهلة تسليم الترجمة.

تجدر الإشارة إلى أنَّ النصائح المذكورة بخصوص مرحلتي فهم النص الاقتصادي الأصلي ونقله إلى اللغة الهدف، مستندة إلى عددٍ من نظريات الترجمة. فتفعيل ذاكرة المترجم ورجوعه إلى مصادر متعددة (معاجم، كتب، شابكة، مختصون) أمران رئيسيان وفقاً للنظريات الاستدلالية في الترجمة.² وحياد المترجم لدى نقله أفكار النص الاقتصادي الأصلي هو أساس النظريات الذاتية في الترجمة.³ واحترام المترجم لتوجيهات الزبون المتعلقة بإخراج الصفحات ومهلة تسليم الترجمة أمرٌ تؤكدُه النظرية الغائبة (نظرية السكوبوس).⁴

الجدير ذكره أنَّ دقة نقل المصطلحات التخصصية لا تقتصر على المصطلحات الاقتصادية، بل تطول أيضاً المصطلحات القانونية والمصطلحات التربوية الواردة في النصوص الاقتصادية "الهجينة" التي أشرنا إليها آنفاً (نصوص القوانين والمراسيم المتعلقة بالاقتصاد، المعاهدات التجارية، العقود التجارية، الكتب الجامعية الموجهة إلى طلبة كليات الاقتصاد). أما بخصوص الصور البيانية والمحسنات البديعية الواردة في النصوص الاقتصادية الصحفية، فإنَّ دورها ثانوي كما ذكرنا سالفاً، ويمكن أن يخلو النص الاقتصادي الصحفي منها دون المساس بمضمونه أو بصبغته الصحفية. لذا فإنَّ للمترجم الخيار بين نقلها إلى اللغة الهدف أو إهمالها. لكنه إن أراد نقلها، فعليه تجنب الترجمة الحرفية التي قد تعطي معنى معكوساً أو غير مفهوم في اللغة الهدف، وذلك لعدم تطابق الصور البيانية أو المحسنات البديعية بين اللغات المختلفة. أي يجدر بالمترجم أن يبحث في اللغة الهدف عن صورة بيانية أو محسنٍ بديعيٍ مقابلين للصورة البيانية أو المحسن البديعي الواردين في النص الأصلي، لكنهما لا يطابقانها بالضرورة.

² DURIEUX, Christine, « Vers une théorie décisionnelle de la traduction », Revue LISA/LISA e-journal [En ligne], Vol. VII – n°3 | 2009, mis en ligne le 19 mai 2009, consulté le 21 janvier 2014. URL: <http://lisa.revues.org/>

³ Ibidem.

⁴ Ibidem.

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

2. تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية

بعدما وضعنا مفهوم الترجمة الاقتصادية التحريرية وواجبات المترجم في هذا الصدد، نودّ أن نقدّم أسس تدريسها، استناداً إلى تجربتنا الخاصة في هذا المجال. فقد قمنا بتدريس مادة الترجمة الاقتصادية (التحريرية) بين اللغتين العربية والفرنسية في دبلوم الترجمة والتعريب بقسم اللغة الفرنسية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق بين عامي 2014-2020. كما طرحنا نصوصاً اقتصادية للترجمة بين اللغتين العربية والفرنسية في إطار تدريسنا للترجمة التحريرية في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية بجامعة دمشق بين عامي 2012-2016. لذا فإننا نرغب في تقديم خلاصة تجربتنا المتواضعة في هذا الميدان.

2.1. مفهوم تأهيل المترجمين

لا بد، قبل الحديث عن أسس تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية، من توضيح مفهوم تأهيل المترجمين والفرق بينه وبين دروس الترجمة التعليمية. إنّ الترجمة التعليمية عبارة عن سلسلة من المحاضرات التي تتدرج ضمن إطار برنامج متكامل لتعليم لغة أجنبية ما لطلبة لا يتقنونها ولا يمتلكون فيها رصيداً كبيراً من المفردات والمعلومات القواعدية والمهارات الأسلوبية. وتقوم محاضرات الترجمة التعليمية على مبدأ دفع الطالب إلى إجراء مقارنة بين لغته الأم التي يعرفها معرفة جيّدة واللغة الأجنبية التي يريد تعلّمها. وتجري هذه المقارنة على صعدٍ مختلفة (المفردات، والقواعد، وأساليب الصياغة). إذ يطرح المدرس على الطلبة نصوصاً كي يترجموها بين لغتهم الأم واللغة الأجنبية، ثم يقوم بتصحيح ترجماتهم ومناقشتهم بها، وهذا ما يتيح للدارسين الاطلاع على قضايا أساسية هامة، مثل:

أ. الاختلافات بين أجناس الكثير من أسماء الأعيان في اللغة الأم وأجناس مقابلاتها في اللغة الأجنبية. مثال: الشمس (مؤنثة في العربية لكنّ مقابلها الفرنسيّ مذكر le soleil) - القمر (مذكر في العربية لكنّ مقابلها الفرنسيّ مؤنث la lune).

ب. الاختلافات بين قواعد العدد في اللغة الأم ومقابلاتها في اللغة الأجنبية. مثال: يوجد في العربية المفرد والمتنّى والجمع، لكن لا يوجد في الفرنسية سوى المفرد والجمع.

ت. الاختلافات بين أزمنة تصريف الأفعال ودلالاتها في اللغة الأم ومقابلتها في اللغة الأجنبية.

ث. الاختلافات بين أساليب بناء الجمل في اللغة الأم ومقابلتها في اللغة الأجنبية.

ج. أوجه التطابق والاختلاف بين علامات الترقيم في اللغة الأم ومقابلتها في اللغة الأجنبية.

ح. أوجه التطابق والاختلاف بين الأمثال الشعبية في اللغة الأم ومقابلتها في اللغة الأجنبية.

وهذا غيضٌ من فيضٍ.. الجدير ذكره أنَّ الطبيعة اللغوية البحتة للدراسة المقارنة المذكورة آنفاً تقتضي أن تكون النصوص المطروحة للترجمة قصيرة (30-40 كلمة)، مفرداتها سهلة، جملها بسيطة، أساليبها مرنة، مواضيعها مأخوذة من الحياة اليومية (برنامج الحياة اليومي لطالب في الجامعة، الحديث عن رحلة إلى الريف، وصفُ منظر جميل.. إلخ). إذ إنَّ الغاية الأساسية من دروس الترجمة التعليمية هي مساعدة الدارسين على زيادة مخزونهم من المعلومات عن اللغة الأجنبية (مفردات، وقواعد، ومهارات أسلوبية). لذا تتركز محاضرات الترجمة التعليمية في السنتين الجامعتين الأولى والثانية عموماً، لأنهما مخصصتان عادة لإكساب الطلبة مستوىً عالياً في اللغة الأجنبية، وهذه هي الحال مثلاً في قسم اللغة الفرنسية بجامعة دمشق.

أما برامج تأهيل المترجمين فلا ترمي إلى تعليم لغةٍ أجنبيةٍ ما، بل إلى إعداد مترجمين متمرسين قادرين على سدِّ حاجة سوق العمل في مختلف ميادين الترجمة التحريرية والإلكترونية والشفهية. لذا يُفترضُ بالطلبة أن يتمتعوا سلفاً بمستوى عالٍ سواء في لغتهم الأم أو في اللغة الأجنبية. وبالتالي لا تبدأ برامجُ تأهيل المترجمين إلا في السنوات الأخيرة من مرحلة الإجازة في أقسام اللغات الأجنبية وآدابها، ثم تتطور بعد مرحلة الإجازة لمنح شهادات دبلوم في التأهيل والتخصص أو ماجستير في التأهيل والتخصص في مجال الترجمة. فمثلاً، يبدأ برنامج تأهيل المترجمين في قسم اللغة الفرنسية وآدابها بجامعة دمشق من السنتين الثالثة والرابعة، لكن على نطاق محدود، حيث يجري تدريس الترجمة السياسية والترجمة الأدبية. لكن مستوى التدريس في هذا البرنامج يزداد ارتفاعاً بعد مرحلة الإجازة، من خلال دبلوم التأهيل والتخصص في الترجمة والتعريب داخل القسم المذكور، حيث يجري تدريس الترجمة التحريرية بين اللغتين العربية

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

والفرنسية في مجالات الصحافة، والاقتصاد، والقانون، والعلوم. وقد كان لنا شرف تدريس الترجمة التحريرية في مجال الاقتصاد ضمن الدبلوم المذكور بين عامي 2014-2020، كما درّسنا الترجمة التحريرية في مجال القانون ضمن هذا الدبلوم بين عامي 2016-2020. علماً أنّ الدبلوم المذكور يتضمن أيضاً دروساً في الترجمة المنظورة والترجمة التتبعية. من جهةٍ أخرى، يستطيع الطلبة الحاصلون على الإجازة الجامعية سواء باللغات وآدابها أو في أي مجال آخر، التسجيل في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية بجامعة دمشق، شرط اجتيازهم سلفاً سلسلة من الاختبارات اللغوية التي تثبت امتلاكهم معلومات كافية باللغة العربية وإحدى اللغتين الفرنسية أو الإنكليزية. علماً أنّ المعهد المذكور يتضمن ثلاثة أقسام: الترجمة التحريرية، والترجمة الإلكترونية (الترجمة على الشاشة والدبلجة)، والترجمة الفورية. وقد كان لنا هناك شرف تدريس الترجمة التحريرية بين عامي 2012-2016، حيث طرحنا على الطلبة نصوصاً عربية وفرنسية في مجالات كثيرة، من بينها المجال الاقتصادي.

2.2. أسسُ تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية

إنّ تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية عملية متكاملة لها أركانٌ محدّدة، لا بد من إرسائها وترسيخها والاعتناء بها على الدوام. فإذا أهملَ أحدها أو اختلَّ، اختلت عملية تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية برمتها. هذه الأركان أو الأسس التي يقوم عليها تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية هي: انتقاء النصوص الاقتصادية المكتوبة، وتنوع المراجع المتوفرة بين أيدي الطلاب، وأسلوبُ العمل في الصف، والتقويمُ والقياس. سنتناول فيما يلي كل واحدٍ من هذه الأسس.

2.2.1. انتقاء النصوص الاقتصادية المكتوبة

لا تتساوى النصوص الاقتصادية المكتوبة من حيث صعوبة تركيبها. إذ يتوقف ذلك على عاملين رئيسيين:

أ. عدد المصطلحات التخصصية الواردة فيها: فكلما ازداد عددها، ازداد النص الاقتصادي صعوبة.

ب. بناء الجمل: فكلما ازدادت بنى الجمل تعقيداً، ازدادت صعوبة النص الاقتصادي.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

لذا، لا بد أن يراعي المدرس مستوى الطلبة في الترجمة، والهدف المتوخى من برنامج تأهيل المترجمين، وذلك لدى انتقائه النصوص الاقتصادية التي سيطرحها عليهم للترجمة. ويُصَحُّ في هذا الصدد بالاستناد إلى إطار مرجعي واضح ودقيق، يحدد معايير اختيار النصوص الاقتصادية وفقاً لمتطلبات برنامج تأهيل المترجمين المعني. فنحن، على سبيل المثال، كنا نعتمد في اختيارنا النصوص الاقتصادية على الإطار المرجعي الذي كنا قد أعدناه في رسالة الدكتوراه التي أنجزناها خلال دراستنا في جامعة ليون الثانية بفرنسا. إذ يميز الإطار المرجعي المذكور بين ثلاثة مستويات للنصوص التخصصية المكتوبة المطروحة للترجمة في برامج تأهيل المترجمين.

يشير المستوى الأول (TI1) إلى نصوص تخصصية (في مجالات الاقتصاد، والقانون، والطب، والكيمياء... إلخ) يكون عدد المصطلحات التخصصية فيها محدوداً (قد لا يتجاوز 25-30% من مجموع كلمات النص)، وجملها بسيطة سهلة التركيب، تتسلسل فيها العبارات بطريقة انسيابية بفضل أدوات الربط وعلامات الترقيم.⁵ هذا هو مستوى النصوص الاقتصادية التي كنا نختارها لدى تدريسنا في دبلوم الترجمة والتعريب بقسم اللغة الفرنسية. وسببُ هذا الاختيار هو قلة خبرة الطلبة في ميدان الترجمة التخصصية من جهة، وقصرُ المدة الزمنية التي تستغرقها الدراسة في هذا الدبلوم من جهة ثانية (فصلان دراسيان يمتد كل واحد منهما على ثلاثة أشهر)، وهذا الأمر يقلص إمكان مساعدة الطلاب على الارتقاء بمستواهم إلى حد يسمح للمدرس بطرح نصوص اقتصادية أكثر صعوبة. لذا كنا نكتفي بتدريس الطلبة نصوصاً اقتصادية سهلة بسيطة، كي نعدّهم للتعامل مع نصوص أصعب في حال متابعتهم تأهيلهم في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية بجامعة دمشق. وإليك مثلاً على النصوص الاقتصادية المطروحة على طلاب دبلوم الترجمة والتعريب بقسم اللغة الفرنسية في جامعة دمشق:

"تجحت مصرُ في غضون سنة بشق قناة موازية لقناة السويس، بفضل أسهم المواطنين المصريين. وسيسمح هذا المشروع الرائد بزيادة الدخل القومي للبلاد، وتسريع حركة النقل البحري

⁵ HASSAN, Ward, La Formation des traducteurs en arabe/français: Etude de terrain à Damas et à l'Université Lumière Lyon 2, thèse de doctorat soutenue à l'Université Lumière Lyon 2 en 2011, p. 148-151.

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

العالمي. كما استطاعت مصرُ حل أزمة توزيع الخبز بتوزيع بطاقات ذكيّة على المواطنين. لكن تواجه القاهرة مشكلاتٍ كبيرة. يفرض التفجّر السكاني عليها القيامَ بمشروعٍ ربيٍّ جديدٍ غربَ السد العالي. ويؤدي تراجعُ مخزون البلاد من النفط والغاز إلى الاستيراد، وزيادة عجز الميزان التجاري. لكن نظمت مصرُ أخيراً مؤتمراً للمانحين لأجل الحصول على استثماراتٍ جديدةٍ ودفع عجلة اقتصادها مجدداً، خاصة بعد الانخفاض الكبير في عدد السياح الأجانب بسبب الاضطرابات الأمنية القائمة منذ سنواتٍ طويلة.

يتألف النص المدوّن آنفاً من مئة كلمة، منها ثمانية وعشرون مصطلحاً اقتصادياً، أي ما يعادل 28% من مجموع كلمات النص المذكور. نسوق على هذه المصطلحات الاقتصادية الأمثلة التالية: "قناة السويس، أسهم، الدخل القومي، بطاقات ذكيّة، عجز الميزان التجاري.. إلخ". أما الجمل فبسيطة التركيب. مثال: "وسيسمح هذا المشروع الرائد بزيادة الدخل القومي للبلاد، وتسريع حركة النقل البحريّ العالمي". يتضمن هذا المثالُ جملةً فعليّةً واحدةً تبتدئُ بالفعل "سيسمح"، يليها الفاعلُ "هذا"، فالبذل من اسم الإشارة "المشروع"، فالصفة "الرائد"، فالجار والمجرور "بزيادة"، فالمضاف إليه "الدخل"، فالصفة "القومي"، فالجار والمجرور "للبلاد"، فحرف العطف الواو والاسم المعطوف "تسريع"، فالمضاف إليه "حركة"، فالمضاف إليه "النقل"، فالصفة "البحري"، فالصفة "العالمي". أما الواو في بداية الجملة، فهي استئنافية. أي إن هذا النص مطابق لمعايير المستوى TI1 الوارد في إطارنا المرجعي المشار إليه آنفاً.

نود الإشارة إلى أننا كنا نختار نصوصاً اقتصادية موافقة للمستوى TI1 أيضاً لدى تدريسنا الترجمة التحريرية في الفصل الأول من سنة الماجستير الأولى في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية بجامعة دمشق، لأنّ عدداً كبيراً من طلابه لم يكونوا قد درسوا سابقاً في دبلوم الترجمة والتعريب بقسم اللغة الفرنسية في الجامعة عينها. أما طلبة المعهد الذين سبق لهم أن درسوا في الدبلوم المذكور، فكانوا يستفيدون بدورهم من هذه النصوص، خاصة وأنها مختلفة المضمون عما تلقوه في ذلك الدبلوم.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

أما الفصل الثاني من سنة الماجستير الأولى في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية، فكان بمثابة مرحلة انتقالية لإعداد الطلبة للمهارات المتقدمة التي يُفترض أن يكتسبوها في سنة الماجستير الثانية. لذا كنا نحرص في الفصل الثاني من سنة الماجستير الأولى على انتقاء نصوص اقتصادية مكافئة للمستوى TI2 في إطارنا المرجعي، أي إنها تتميز بما يلي:

أ. عددُ المصطلحات التخصصية الواردة فيها كبيرٌ نسبياً، إذ قد يصل إلى 35% من مجموع كلمات النص الأصلي.

ب. جمل هذه النصوص الاقتصادية مركبة عموماً، إذ تتكوّن الواحدة منها، في اللغة العربية مثلاً، من جملة كبرى وجملة صغرى واحدة أو اثنتين أو ثلاث.⁶ وإليك مثلاً على إحدى جمل هذه النصوص: "وتتوقع الجزائرُ استقراراً في أسواق النفط العالمية بعد قرار أوبك الأخير الذي شجّع إيران على العودة تدريجياً إلى تصدير البترول عقب رفع العقوبات الدولية المفروضة عليها منذ سنوات." إن هذا المثال مؤلفٌ من جملة كبرى وجملة صغرى. الجملة الكبرى هي: "وتتوقع الجزائرُ استقراراً في أسواق النفط العالمية بعد قرار أوبك الأخير الذي". أما الجملة الصغرى فهي: "شجّع إيران على العودة تدريجياً إلى تصدير البترول عقب رفع العقوبات الدولية المفروضة عليها منذ سنوات." ومن ثمّ فإنّ المثال المذكور مطابقٌ لمعايير اختيار النصوص الاقتصادية وفقاً للمستوى الانتقالي TI2 الوارد في إطارنا المرجعي.

أما النصوص الاقتصادية المختارة لطلبة سنة الماجستير الثانية في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية، فكانت موافقة للمستوى الأعلى في إطارنا المرجعي، وهو TI3 إذ كانت تتميز بما هو آت:

أ. عدد المصطلحات التخصصية الواردة فيها كبير جداً، قد يبلغ 40% من مجموع كلمات النص الأصلي.

⁶ Ibidem, p. 151-153.

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

ب. جمل هذه النصوص شديدة التعقيد، إذ تتكون كل واحدة منها عموماً، في اللغة العربية على سبيل المثال، من جملة كبرى وأربع، أو خمس، أو ست جمل صغرى، وربما كان عدد هذه الجمل الصغرى أكبر من ذلك. وأعقد ما في الأمر، هو إمكان تضمّن الجمل الصغرى عينها جملاً كبرى وجملاً صغرى أخرى، مما يتطلب تركيزاً كبيراً من الطالب كي يفهم مضمونها، ومهارة لغوية واسعة كي يستطيع نقل هذا الفحوى بأمانة إلى اللغة الهدف.⁷ واليكم هذا المثال التوضيحي:

"دعا حاكم مصرف سورية المركزي المواطنين إلى تفادي الانجرار خلف عمليات التسعير الوهمية التي تمارسها بعض الأطراف في السوق الموازية وعبر المواقع الإلكترونية محذراً إياهم في الوقت نفسه من عواقبها، داعياً أصحاب طلبات القطع الأجنبي للأغراض غير التجارية من طبابة وتعليم وغيرها التي تتجاوز الحدود القصوى المسموح بها للتوجه إلى مصرف سورية المركزي خطياً لبيان الحالة التي تستوجب بيعها القطع الأجنبي، كي يصار إلى توفيره بشكل كامل وبسعر تمييزي."

إنّ هذا المثال مؤلفٌ من جملة كبرى وثلاث جمل صغرى. الجملة الكبرى هي: "دعا حاكم مصرف سورية المركزي المواطنين إلى تفادي الانجرار خلف عمليات التسعير الوهمية التي"، أما الجمل الصغرى الثلاث فهي:

أ. "تمارسها بعض الأطراف في السوق الموازية وعبر المواقع الإلكترونية".

ب. "محذراً إياهم في الوقت نفسه من عواقبها".

ت. "داعياً أصحاب طلبات القطع الأجنبي للأغراض غير التجارية من طبابة وتعليم وغيرها التي تتجاوز الحدود القصوى المسموح بها للتوجه إلى مصرف سورية المركزي خطياً لبيان الحالة التي تستوجب بيعها القطع الأجنبي، كي يصار إلى توفيره بشكل كامل وبسعر تمييزي".

⁷ Ibidem, p. 153-156.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الجدير ذكره أنّ الجملة الصغرى الثالثة تضم بدورها جملة كبرى وثلاث جمل صغرى أخرى. الجملة الكبرى هي: "داعياً أصحاب طلبات القطع الأجنبي للأغراض غير التجارية من طبابة وتعليم وغيرها التي [...] للتوجه إلى مصرف سورية المركزي خطياً لبيان الحالة التي". أما الجمل الصغرى الثلاث فهي:

أ. "تتجاوز الحدود القصوى المسموح بها".

ب. "تستوجب بيعها القطع الأجنبي".

ت. "كي يصار إلى توفيره بشكل كامل وبسعر تمييزي".

هذا يعني أن الجملة الواردة في مثالنا الرئيسي تضم جملة كبرى وسبع جمل صغرى منها أربع متداخلة بعضها في بعض، وهذا الأمر يستلزم دقة شديدة ومهارة لغوية كبيرة كي يتمكن الطالب من فهم فحوى هذه الجملة المعقدة ونقله بأمانة إلى اللغة الهدف.

إنّ صعوبة النصوص الاقتصادية المطابقة للمستوى TI3 جعلتنا نخصّص لها عاماً دراسياً كاملاً، وهو سنة الماجستير الثانية في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية. علماً أننا كنا دوماً نراعي التوازن بين حجم كل نص اقتصادي وتنوع مضمون النصوص الاقتصادية المطروحة، سواء في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية أو في دبلوم الترجمة والتعريب، وذلك كي نعطي الطلاب فرصة للتعامل مع أكبر قدر ممكن من المصطلحات الاقتصادية. لذا كان عدد كلمات كل واحدٍ من النصوص الاقتصادية المطروحة يقع بين 80-120 كلمة.

2.2.2. تنوع المراجع

يعتاد الطلاب، لدى دراستهم الترجمة التعليمية، الاكتفاء بمراجعين أساسيين، هما المعاجم الأحادية اللغة والمعاجم الثنائية اللغة. لكن يجدر بالمدرس في برامج تأهيل المترجمين أن يؤكد أمام الطلبة ضرورة توسيع دائرة المراجع التي يستعملونها كي تتعدى القواميس الأحادية اللغة والقواميس الثنائية اللغة إلى ما يلي:

أ. ذاكرة المترجم التي تتضمن معلومات لغوية عن اللغة الأم وعن اللغة الأجنبية (مفردات، مصطلحات، قواعد في النحو والصرف، أساليب صياغة.. إلخ)، كما تضم ذاكرة المترجم

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

معلومات تخصصية في مجالاتٍ متنوعةٍ من بينها المجال الاقتصادي الذي يمثل محور اهتمامنا في هذا المقال.

ب. المعاجم التخصصية الأحادية اللغة التي تشرح معاني المصطلحات الاقتصادية، والمعاجم التخصصية الثنائية اللغة التي تقدّم مقابلاتٍ لهذه المصطلحات بلغةٍ أخرى.

ت. الكتب والمقالات المختصة بالاقتصاد، وهي تؤدي دوراً هاماً في مساعدة المترجم على فهم الأفكار الاقتصادية الواردة في النص الأصلي والتي قد تبدو غامضة بالنسبة له لعدم تخصصه في المجال الاقتصادي، ويجدر بالمدرس التأكيد أمام الطلبة أنّ سوء فهم الأفكار التخصصية في الاقتصاد يزيد خطر خيانتهم لفحوى النص الأصلي خلال الترجمة.

ث. المواقع الإلكترونية "الموثوقة" على الشبكة، والتي تساعد المترجم إما على البحث عن الترجمة الدقيقة للمصطلحات الاقتصادية، أو على فهم الأفكار التخصصية في ميدان الاقتصاد والتي ترد في النص الأصلي.

ج. أساليبُ ترجمة المصطلحات الأجنبية الجديدة التي لم يسبق لها أن ترجمت إلى اللغة الهدف، ففي اللغة العربية على سبيل المثال توجد أساليب عديدة لتعريب المصطلحات هي: الاشتقاق، والمجاز، والاقتباس، والنحت، والترجمة.

ح. المصادر البشرية من مُختصين في اللغة الأم، ومُختصين في اللغة الأجنبية، ومُختصين في الترجمة، ومُختصين في المجال الاقتصادي، علماً أنه يمكن التواصل معهم إما مباشرة، أو هاتفياً، أو بطريق الشبكة، أو بالبريد العادي.

إنّ من واجبات المدرس في برامج تأهيل المترجمين أن يوضح بإسهاب أهمية كل واحدٍ من المراجع المذكورة، وأن يوظف النصوص التي ينبغي للطلبة ترجمتها كي يمزّنهم بدقة على الاستفادة من هذه المراجع. علماً أننا نؤكد دائماً في محاضراتنا عن الترجمة، سواء أكانت اقتصادية أم غيرها، أنّ المرجع الأهم بالنسبة للمترجم، هو ذاكرته. فقد أثبتت تجربتنا الذاتية في الترجمة وفي تأهيل المترجمين أنّ ثراء ذاكرة المترجم، سواء بالمعلومات اللغوية أو بالمعلومات التخصصية، يُسرّع فهمه للنص الأصلي، ويزيد إيقاع نقله له إلى اللغة الهدف.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وقد أكدت النظريات الاستدلالية في الترجمة هذه الناحية⁸. لذا فإننا نحث الطلبة باستمرار على أن يطالعوا دائماً كتباً في القواعد (باللغة الأم العربية وباللغة الفرنسية) كي يعززوا قدرتهم على فهم النصوص الأصلية بدقة ويزيدوا مهارتهم في صياغة ترجمة هذه النصوص صياغة صحيحة. كما نشجع الطلاب دوماً على قراءة نصوص اقتصادية باللغتين العربية والفرنسية كي يرفدوا ذاكرتهم بمصطلحات اقتصادية جديدة باللغتين، ويرتقوا بثقافتهم في مجال الاقتصاد، فهذا الأمر سيرفع من إمكان فهمهم النصوص الاقتصادية الأصلية ونقلهم لها إلى اللغة الهدف. الجدير ذكره أننا نكرر دائماً على مسامع الطلاب ضرورة إعدادهم قاعدة بيانات خاصة بكل واحد منهم، تتضمن مصطلحات اقتصادية فرنسية مرتبة بالأحرف الأبجدية، مع مقابلاتها باللغة العربية. كما ننصحهم باستعمال برنامج Excel لإعدادها، فهذا يسهل عليهم إثراء قاعدة البيانات هذه كلما صادفوا مصطلحاً اقتصادياً جديداً.

2.2.3. أسلوب العمل في الصف

يتمحور اهتمام المدرس، في دروس الترجمة التعليمية، حول قضايا لغوية بحثية مرتبطة بالمقارنة بين اللغة الأم واللغة الأجنبية، بغية مساعدة الطلبة على تعلم هذه الأخيرة. أما في برامج تأهيل المترجمين، فإن عمل المدرس يتركز بالأحرى على إكساب الطلاب المهارات المهنية التي لا بد أن يتمتع بها المترجم. فعندما يتعلق الأمر بتدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية، يجدر بالمدرس التركيز في المحاضرة على المهارات التالية:

- أ. قراءة النص الاقتصادي الأصلي قراءة معمقة موضوعية بغية استيعاب موضوعه استيعاباً كافياً.
- ب. ضرورة تحييد المترجم آراءه الشخصية خلال قراءة النص الاقتصادي الأصلي، كي يفهم فهماً صحيحاً الأفكار الواردة فيه، حتى لو لم يكن مؤيداً لها.
- ت. إجادة التعامل مع مختلف أنواع المراجع التي شرحناها سابقاً.

⁸ GILE, Daniel, La traduction. La comprendre, l'apprendre, Paris, Presses Universitaires de France, 2005, p. 183-186.

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

ث. الحرص على أمانة نقل الأفكار إلى أقصى الحدود خلال صياغة الترجمة إلى اللغة الهدف.

ج. مراعاة انتقاء المقابلات المناسبة للمصطلحات الاقتصادية الواردة في النص الأصلي، وينطبق الأمر عينه على المصطلحات التابعة لمجالات تخصصية أخرى قد يتطرق إليها النص الاقتصادي الأصلي.

ح. الاعتناء بالقضايا القواعدية والأسلوبية خلال صياغة الترجمة إلى اللغة الهدف.

خ. احترام المهلة المحددة من قبل الزبون أو وكالة الترجمة كي يتم تسليم النص الهدف خلالها.

د. أخذ توجيهات الزبون أو وكالة الترجمة بعين الاعتبار فيما يخص إخراج صفحات الترجمة وغيرها من القضايا الشكلية المتعلقة بها.

إن إكساب الطلبة المهارات المهنية الواردة أعلاه يقتضي أن يبتعد المدرس عن أسلوب إملاء ترجمته الخاصة وعن فرض خياراته في الترجمة على الدارسين. بل يجدر به أن يشجع جو الحوار في الصف بينه وبين الطلاب من جهة، وبين الطلاب أنفسهم من جهة أخرى، الأمر الذي من شأنه زيادة ثقة الدارسين بأنفسهم، وتشجيعهم على التعاون والتحاور خلال ممارستهم مهنة الترجمة في المستقبل، ودفعهم لتبادل المعلومات فيما بينهم، وحثهم على أخذ المبادرة خلال مزاولتهم مهنة الترجمة، بدل الانكفاء والجمود والتردد. أما المدرس، فلا بأس من أن يطرح ترجمته على الطلاب، شرط ألا يوهمهم أنها الترجمة المثلى، بل من المفيد أن يضمنها ترجمات الطلاب التي يجدها صائبة وتستحق الاهتمام، مما سيحفز الدارسين، ويبرهن لهم على قدرتهم على التقدم في دراستهم، والأهم من هذا وذاك أنّ تبني المدرس عدداً من ترجمات طلابه وإدخاله لها في ترجمته سيثبت لهم ألا حدود لتطوير الترجمة وأنّ على المترجم السعي الدائم للارتقاء بمستوى نتاج أعماله.

2.2.4. التقويم والقياس

يمثل التقويم والقياس تنويعاً للعملية التعليمية، فهو الذي يتيح معرفة حجم استفادة الطلاب منها، ويسمح بتحديد المهارات التي اكتسبوها خلال دراستهم، ويوضح مدى تمكنهم من هذه المهارات. لذا لا بد أن تكون طبيعة الاختبارات التي يخضع لها الطلبة ملائمة لطبيعة المهارات التي يفترض بهم تلقيها. ففيما يخص تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية، نعتقد أن تكليف كل واحد من الدارسين بإجراء مشروع للترجمة في نهاية كل فصل دراسي، سيعطيه فرصة محاكاة مهنة المترجم كما تجري على أرض الواقع. إذ سيلعب المدرس في هذه الحالة دور الزبون أو وكالة الترجمة من خلال اختياره للنص الاقتصادي الأصلي، وإعطائه توجيهاتٍ للطلاب بخصوص مهلة تسليم الترجمة التحريرية ومعايير إخراج الصفحات وغير ذلك من المسائل الشكلية. عندئذ، سيلعب الطالب دور المترجم من خلال سعيه لمراعاة توجيهات الزبون أو وكالة الترجمة، اللذين يلعب المدرس دورهما، إضافة إلى قيام الطالب بتفعيل سائر المهارات التي يفترض أنه اكتسبها خلال الفصل الدراسي.

وفيما يتعلق بحجم النص الاقتصادي الأصلي، يتوقف هذا على مستوى الدارسين. فمثلاً كان عدد كلمات النصوص الاقتصادية المطلوب نقلها ضمن إطار مشاريع الترجمة، يتراوح بين ثمانين كلمة ومئة كلمة للنص الواحد، سواء في كل واحد من فصلي دبلوم الترجمة والتعريب أو في كل واحد من فصلي سنة الماجستير الأولى في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية. وكان النص الاقتصادي الأصلي باللغة الفرنسية في الفصل الأول، وباللغة العربية في الفصل الثاني. ولا ريب في أن هذا التنوع بين النصوص الأصلية العربية والفرنسية يتيح رَوز مهارات الطلبة في الترجمة الاقتصادية التحريرية باتجاهين: الاتجاه الأول من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم، والاتجاه الثاني من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية. أما في سنة الماجستير الثانية بالمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية، حيث تبلغ المهارات المقدمة للطلاب مستوىً عالياً جداً، فيجب على كل واحد منهم أن يُعدّ في نهاية الفصل الأول مشروعاً يتمثل بأن يترجم إلى اللغة الأجنبية (الفرنسية) نصاً عربياً يقع عدد كلماته بين 400-500 كلمة، كما يجب عليه في نهاية الفصل الثاني تعريب نص

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

فرنسي يقع عدد كلماته بين 800-1000 كلمة. أما عن كون مشروع الفصل الثاني أكبر حجماً بكثير من مشروع الفصل الأول، فهذا عائدٌ لسببين:

- أ. التدرج في تقييم مستوى الدارسين من الأصعب إلى الأكثر صعوبة.
- ب. حاجة سوق العمل المحلية السورية إلى التعريب أكبر منها إلى الترجمة إلى اللغات الأجنبية.

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ مشاريع الترجمة في سنتي المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية ليست محصورة بالنصوص الاقتصادية، إذ يمكن للطالب أن يختار مجالاً آخر قد يكون تخصصياً أو أدبياً، لعدم وجود مادة مخصصة تحديداً للترجمة الاقتصادية، بل هناك مادة الترجمة التحريرية، حيث يتمرن الدارسون على ترجمة نصوص من مختلف الميادين ومنها الميدان الاقتصادي. أما في دبلوم الترجمة والتعريب حيث توجد مادة مخصصة للترجمة الاقتصادية، فقد كانت المشاريع التي تكلف الطلبة بها محصورة بالترجمة الاقتصادية.

لكن تقتضي القوانين والأنظمة الجامعية في مختلف بلدان العالم خضوع الطلاب لامتحاناتٍ تقليدية في الترجمة التحريرية، لا يسمح لهم خلالها بسوى نوع واحدٍ من المراجع، وهو القواميس الأحادية اللغة، سواء أكانت عامة أم تخصصية. والغاية من ذلك أن يُبرز الطالبُ فرادته ومواهبه الذاتية، دون أية مساعدة من الآخرين، خلافاً لما عليه الحال في مشاريع الترجمة حيث يحق له الاتصال بمصادر بشرية. لذا، تحرص الكثير من برامج تأهيل المترجمين على اعتماد أسلوبين في تقييم الدارسين: مشاريع الترجمة التي تجعلهم يحاكون مهنة المترجم كما تمارس على أرض الواقع، وامتحانات الترجمة التقليدية التي تتيح لكل واحدٍ منهم إبراز فرادته بشكل أوضح. وهذا هو الوضع في دبلوم الترجمة والتعريب بقسم اللغة الفرنسية، وفي سنتي الماجستير بالمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية بجامعة دمشق. أما عن توزيع الدرجات بين أسلوبي التقييم المذكورين، فهذا متوقفٌ على القوانين والأنظمة الجامعية والأهمية التي توليها لكل واحدٍ من أسلوبي التقييم المذكورين. ففي دبلوم الترجمة والتعريب وسنة الماجستير الأولى بالمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية، تخصص عشرون درجة من أصل مئة لمشروع الترجمة، وثمانون درجة من أصل مئة

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

للامتحان التقليدي. أما في سنة الماجستير الثانية بالمعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية، فإنّ حجم مشروع الترجمة الكبير يجعله يحظى بتقييم منفصل عن التقييم المخصص للامتحان التقليدي. إذ تخصص مئة درجة لمشروع كل واحد من الفصلين، ومئة درجة لكل امتحان تقليديّ في الترجمة التحريرية. وفيما يتعلق بحجم النصوص المطلوب ترجمتها في الامتحانات التقليدية، فإننا نؤكد ضرورة مراعاة ثلاثة أمور:

أ. اختبار مهارات الطلبة في الترجمة باتجاهين: من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم، ومن اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية.

ب. التكافؤ بين مستوى النصوص المطروحة في الامتحان ومستوى النصوص التي طرحت خلال الفصل الدراسي.

ت. الانسجام بين حجم النصوص المطروحة في الامتحان والمدة الزمنية المخصصة له، ولمعرفة ذلك يمكن للمدرس قبل الامتحان أن يترجم النص الذي سيطره ويقيس المدة الزمنية التي استغرقتها ترجمته ويضرب هذه المدة بثلاثة، على اعتبار أن المدرس أكثر كفاءة بكثير من الطلبة الذين ما يزالون في بداية الطريق.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف يقيم المدرس الترجمة التي يُعدها الطالب سواء في مشروع الترجمة أو في الامتحان التقليدي؟ كيف يتوصل المدرس إلى تقييم موضوعي لنتاج عمل الطالب؟ يوجد أسلوبان في هذا الصدد. يتمثل الأسلوب الأول بحذف عدد من الدرجات على كل خطأ يرتكبه الطالب في الترجمة، وفقاً لطبيعة هذا الخطأ. فمثلاً يحذف المدرس درجتين على كل خطأ إملائي، وأربع درجات على كل خطأ قواعدي، وخمس أو ست درجات على كل واحد من الأخطاء المتعلقة بأمانة نقل الأفكار، خاصة عندما يعطي الطالب فكرة معاكسة لفكرة واردة في النص الأصلي. لكن يؤخذ على هذا الأسلوب في التقييم أنه يؤدي إلى وضع علامة قد لا تتناسب مع المستوى الحقيقي للترجمة التي أعدها الطالب. فمثلاً، قد يرتكب الدارس عدداً لا بأس به من الأخطاء الإملائية التي لا تبعد الترجمة بالضرورة عن أداء معنى النص الأصلي بأمانة، لكن عدد هذه الأخطاء الإملائية الكبير نسبياً يجعل الطالب يحصل على علامة أدنى من مستوى

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

الترجمة التي أعدها. إضافة إلى أن طالباً آخر قد يخطئ في نقل فكرة رئيسية واحدة فقط، مما يجعل معنى ترجمته معاكساً تماماً لمعنى النص الاقتصادي الأصلي. ومع ذلك، فإنه سيحصل على علامة عالية لأنه لم تحسّم له سوى درجات قليلة لأنه لم يقترف سوى خطأ واحد.

لذا، فإننا نفضل الأسلوب الثاني في تقييم الترجمة، وهو قائم على نظرة شاملة للترجمة كي يعرف المدرس مدى تغطيتها للأفكار الواردة في النص الأصلي ودقة استعمال الطالب للغة الهدف أثناء صياغته للترجمة. وبناءً عليه، يمكن للمدرس أن يضع تقييماً عاماً للترجمة ككل: جيد جداً، جيد، وسط.. إلخ. لكن كي يراعي المدرس المعايير الجامعية التي تقتضي وضع علامة محددة لكل طالب، يمكنه أن يضع سلم درجات يتوافق فيه كل تقييم مع درجة معينة. فمثلاً، عند تقييمنا مشاريع الترجمة الاقتصادية في دبلوم الترجمة والتعريب، كنا نتبع سلم الدرجات الآتي:

- جيد جداً (مرتبة أولى) = 16 درجة من أصل 20
- جيد جداً (مرتبة ثانية) = 15 درجة من أصل 20
- جيد (مرتبة أولى) = 14 درجة من أصل 20
- جيد (مرتبة ثانية) = 13 درجة من أصل 20
- فوق الوسط (مرتبة أولى) = 12 درجة من أصل 20
- فوق الوسط (مرتبة ثانية) = 11 درجة من أصل 20
- وسط = 10 درجات من أصل 20
- دون الوسط = 9 درجات من أصل 20
- ضعيف = 8 درجات من أصل 20

ونود في هذا الصدد توضيح بعض النقاط:

- أ. استحدثنا مرتبتين في معظم الدرجات كي نوسع هامش المناورة ونزيد بذلك قدرة سلم الدرجات على التمييز بين المواهب الفردية التي يمتلكها كل طالب دون سواه من زملائه.
- ب. لم يتعدّ السلمُ درجة "جيد جداً" لاستحالة وجود ترجمة مثالية.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

ت. تفاوتت الدرجات بين 16 درجة من أصل 20 و 8 درجات من أصل 20 بناء على المعايير الموضوعية من قبل رئاسة قسم اللغة الفرنسية بجامعة دمشق.

تجدر الإشارة إلى أن أسلوب التقييم الذي تبنيناه متبع أيضاً في عدد من برامج تأهيل المترجمين بجامعة ليون الثانية في فرنسا.

خاتمة

تتمثل الترجمة الاقتصادية التحريرية بنقل نصوص مكتوبة من لغةٍ لأخرى، ويجري هذا النقل تحريرياً، وتتناول النصوص الاقتصادية الأصلية نشاطات الإنتاج، والتسويق، والاستهلاك، وما يتعلق بها من بيئة تشريعية، وبِدٍ عاملة، وبنى تحتية، وقدرة شرائية، سواءً على المستوى المحلي، أو الوطني، أو الإقليمي، أو العالمي. ويتفوق معنى النصوص الاقتصادية المكتوبة أهميةً على مبنائها، مما يحتم على المترجم إعطاء الأولوية في عمله لمعنى النصوص الاقتصادية المكتوبة قبل الاهتمام بمبنائها. وأمام المترجم طيفٌ واسعٌ من المراجع (معاجم أحادية اللغة، معاجم ثنائية اللغة، معاجم المصطلحات التخصصية الأحادية اللغة أو الثنائية اللغة، الكتب والمقالات التخصصية، الشابكة، المختصون.. إلخ)، غير أن المرجع الأهم بالنسبة للمترجم هو ذاكرته التي عليه إثراؤها على الدوام بالمفردات والتراكيب والمصطلحات الاقتصادية والمعلومات القواعدية سواءً باللغة الأم أو باللغة الأجنبية، إضافةً إلى المعلومات التخصصية في المجال الاقتصادي والتي تساعده على فهم فحوى النصوص الاقتصادية الأصلية فهماً دقيقاً. وبناءً على ما تقدّم، يتطلب تدريس الترجمة الاقتصادية التحريرية في الجامعات عناية كبيرة، ومراعاةً لأسس محددة. إذ لا بد من التدرج في صعوبة النصوص الاقتصادية المطروحة للترجمة، استناداً إلى إطار مرجعي واضح متوافق مع الأهداف التي يرمي إليها برنامج تأهيل المترجمين. كما ينبغي تمرين الطلبة على الاستفادة من مختلف أنواع المراجع الضرورية لترجمة النصوص الاقتصادية، إضافةً إلى تشجيع روح الحوار والتعاون في الصف سواءً بين المدرس والطلاب أو بين الطلاب أنفسهم، كي يكتسبوا بسهولة وإتقان مهارات الترجمة الاقتصادية التحريرية ويعتادوا التعاون البناء فيما

..... الترجمة الاقتصادية التحريرية: مفهومها وأسسُ تدريسها

بينهم ويقتنعوا بالإمكان الدائم لتطوير مستوى ترجمة أي نص اقتصادي. ويُستحسن أن يوائم النقويم والقياسُ بين محاكاة الطلبة لظروف ممارسة الترجمة الاقتصادية التحريرية على أرض الواقع من جهة، والضوابط التي تفرضها القوانين والأنظمة الجامعية من جهةٍ أخرى. كانت تلك خلاصة بحثنا حول مفهوم الترجمة الاقتصادية التحريرية وأسسِ تدريسها. فماذا عن مفهوم الترجمة الاقتصادية الإلكترونية ومفهوم الترجمة الاقتصادية الشفهية وأسسِ تدريسها؟ نأمل الإجابة على هذا السؤال في أبحاثنا القادمة.

قائمة المراجع

- حَشِيمَة، كميل إسكندر، *المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة*، بيروت، دار المشرق، 2001.
- DURIEUX, Christine, « Vers une théorie décisionnelle de la traduction », Revue LISA/LISA e-journal [En ligne], Vol. VII – n°3 | 2009, mis en ligne le 19 mai 2009, consulté le 21 janvier 2014. URL: <http://lisa.revues.org/>
- GILE, Daniel, *La traduction. La comprendre, l'apprendre*, Paris, Presses Universitaires de France, 2005.
- HASSAN, Ward, *La Formation des traducteurs en arabe/français: Etude de terrain à Damas et à l'Université Lumière Lyon 2*, thèse de doctorat soutenue à l'Université Lumière Lyon 2 en 2011.

جان – فرانسوا دورنتيه:

العلوم والفلسفة – قصة حب من خمسة فصول

أ. د. محمد أحمد طجو

جامعة الملك سعود

المملكة العربية السعودية

تبدأ القصة بعلاقة حب وثيقة للغاية بين الفلسفة والعلوم. ولكن سرعان ما يختلف العاشقان ويفترقان. وقد التقيا حديثاً، وبدأ حوار خجول بين الطرفين.

عاشقان متفقان

وُلدت العلوم والفلسفة في المهد نفسه. كان طاليس Thalès، مؤسس المدرسة الميليسية¹ Milet، فيلسوفاً وعالم فلك وعالم رياضيات (مكتشف المبرهنة الرياضية الشهيرة التي تحمل اسمه²). ويمكن قول الشيء نفسه عن فيثاغورس Pythagore (لديه أيضاً مبرهنته)، وديموقريطس Démocrite وأرسطو Aristote. وينتمون جميعاً إلى تاريخ العلوم وتاريخ الفلسفة بالقدر نفسه لسبب بسيط: لا يمكن الفصل تقريباً بين الفلسفة والعلوم في اليونان القديمة.

كان يجري تعليم الرياضيات وعلم الفلك والبلاغة أو الأخلاق في آن واحد (فضلاً على الجمباز والموسيقا) في معظم المدارس الفلسفية اليونانية (في أكاديمية أفلاطون، وليسيوم أرسطو Lycée d'Aristote، أيضاً لدى الرواقيين، والأبيقوريين، والفيثاغوريين، والإيليين).

¹ تماماً مثل أناكسيماندر وأنكسيمانس (المدرسة الميليسية مدرسة فلسفية تأسست خلال القرن السادس قبل الميلاد. يمثلها أساساً ثلاثة فلاسفة ينتمون إلى مدينة ميليتوس الأيونية، على ساحل الأناضول هم: طاليس، أناكسيماندر وأنكسيمانس. المترجم).

² هو أيضاً مهندس ورجل أعمال حكيم (نجح في بعض الصفقات بالمضاربة على أسعار زيت الزيتون، ولكن هذه قصة أخرى).

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الفيلسوف إنذن طراز عُشاري الفكر . وهذا لا يعني أنه لا يميز بين مجالات العلم. فأرسطو على سبيل المثال يسعى إلى التفريق بين علوم الطبيعة (التي تشمل معرفة النجوم والعناصر والحيوانات) وعلوم الفعل (الأخلاق، والسياسة³). وتعتبر هذه العلوم المتخصصة، بالنسبة إليه، "ثانوية" مقارنة بـ"الفلسفة الأولى" التي أطلق عليها أحد طلابه اسم "ما بعد الطبيعة". وفضلاً على ذلك، يتطلب كل علم نظرية للمعرفة. والتفلسف، بالنسبة إليه، دراسة الطبيعة، والإنسان والقضايا الأساسية، وكذا التفكير في وسيلة المعرفة -الإبستمولوجيا.

هذا المفهوم الواسع جداً للفلسفة - الذي يربط ربطاً وثيقاً علم الطبيعة، وما بعد الطبيعة، واللاهوت، والأنطولوجيا، والمنطق، والأخلاق، والأنثروبولوجيا- سوف يستمر حتى العصور الحديثة. فرينيه ديكارت أو بليز باسكال أو غوتفريد لايبنتز Gottfried Leibniz مفكرون كُليون: تتضمن أعمالهم في آن واحد الرياضيات واللاهوت والأخلاق. وما بدأنا في إطلاق اسم العلوم عليه لا يزال مرادفاً لفلسفة الطبيعة. وقد عنون إسحاق نيوتن نفسه عمله الرئيس كما يلي: *المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية* (1687). ولا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك، لأن أقسام العلوم متشابهة على نحوٍ وثيق، ويصعب فصلها. فالفيزياء الكلاسيكية، على سبيل المثال، تعمل بالتزامن مع الرياضيات عندما يتعلق الأمر بدراسة حركة الكواكب أو سقوط الأجسام (يقول جاليليو: "كتبت الفيزياء بلغة رياضية"). ولا يفهم التحليل الذي دعا إليه ديكارت في خطاب عن *المنهج* إلا في إطار "الهندسة التحليلية" التي عمل على اختراعها⁴. وبالمثل، إن فكرة "الموناد" Monade⁵ الميتافيزيقية لدى لايبنتز مرتبطة بفيزياء القوى وترجمتها الرياضية (المتجهات أو الأشعة الرياضية وحساب التفاضل والتكامل اللانهائي) التي اخترعها الفيلسوف الألماني مع

³ ميشيل كرويليه وبيير بيلگران، *أرسطو والعلوم*، سوي، 2002.

⁴ بنوا تيميرمانس، *حل المشكلات من ديكارت إلى كانط*، المطابع الجامعية الفرنسية، 1994.

⁵ (لفظ يوناني الأصل، معناه الوحدة. أطلقت أفلاطون على المثال. وأما لدى لايبنتز فيعني به جوهرًا بسيطًا حاصلًا على التلقائية، فلا يفعل بتحريك محرك مغاير، وتغيراته كلها من باطن، وحاصل على النزوع والإدراك"، انظر: مراد وهبة، *المعجم الفلسفي*، القاهرة، دار قباء الحديثة، 2011 ص 636. المترجم).

..... جان - فرانسوا دورنتيه: العلوم والفلسفة - قصة حب من خمسة فصول

نيوتن. ففي ذلك الوقت، لم تكن ممارسة الفيزياء ممكنة من دون التساؤل عن الأسس الأولية للمادة (على سبيل المثال، ما القوة؟). وعندما برهن نيوتن على أن الكواكب تخضع لقانون الأجسام الأرضية نفسه، أي قانون الجاذبية، فإنه طرح للبحث ثانية أحد مبادئ الفكر الأرسطي: الفصل بين العالم الواقع تحت القمر والعالم الواقع فوق القمر، إذ يحكم كل عالم قوانينه الخاصة (هذا ما يفسر بوجه خاص سبب عدم سقوط الكواكب على الأرض). فلا يوجد علم للفيزياء من دون ما بعد الطبيعة.

الانفصال

ربما كان لاينتز آخر هؤلاء العلماء الكُليين، إذ تتعلق أعماله في آن واحد بالرياضيات واللغويات والأخلاق والسياسة وما بعد الطبيعة.

بقي معظم الفلاسفة، منذ القرن الثامن عشر، معجبين بالعلوم ومتحمسين لها. لكنهم غير قادرين من بعد على المشاركة في تطويرها. لأن الرياضيات والفيزياء وعلم النبات والعلوم التجريبية بدأت في الاستقلال والتنوع والتحول إلى التقنية. فأى مكانة بقيت إذن للفيلسوف؟

يكمن المسار الأول في الموسوعية. بدأ ديني ديدرو Denis Diderot وجان لو رون دالامبير Jean Le Rond D'Alembert في هذا المشروع الكبير. ألا يزال التعريف بكل العلوم وتبسيطها عملاً فلسفياً؟ يبقى السؤال مفتوحاً... أَلَفَ ديدرو أيضاً كتاباً بعنوان *أفكار حول تفسير الطبيعة* (1753)، حيث يتعلق الأمر بمنهج تجريبي (مستوحى من فرانسيس بيكون Francis Bacon)، وبنظرية المعرفة (مستوحى من إتيان بونو دو كوندياك Étienne Bonnot de Condillac) وبالقوى والأسباب (مستوحى من نيوتن). لكن وضع هذه الأفكار غامض: نظرية الطبيعة؟ والمنهج؟ وعلم نفس المعرفة؟ يتم خلط كل شيء دفاعاً عن تقدم العلوم. ويطمح جورج هيغل من جانبه، في موسوعة العلوم الفلسفية (1817)، إلى بناء نظرية للصيرورة ومنهج يطبق على الطبيعة والعقل البشري. لكن هذا الجدل محكوم عليه بالفشل: يبدو أن أية أداة مفاهيمية غير قادرة على عرض كل من الفيزياء النيوتونية والبيولوجيا الوليدة، القائمة على نموذج تطوري.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

يتمثل المنهج الآخر للفلسفة في التقييد الطوعي لمجال البحث. فقد أدى ازدهار العلوم التجريبية إلى ولادة فلسفة تجريبية، يمثلها على وجه الخصوص جون لوك John Lock وديفيد هيوم David Hume. كانت إنجلترا تحتل مكانة مرموقة في العلوم التجريبية، التي قدم بيكون صيغتها المنهجية في *الأورغانون الجديد* (1620). تحمل التجريبية في طياتها رفضاً كلياً لما بعد الطبيعة، ولخطاب أجوف يحمل في طياته حقائق لا يمكن ملاحظتها (الله، الروح أو "الوجود بصفته وجوداً"). وقد استخلص إيمانويل كانط من قراءة هيوم الدروس التالية: لندع العلماء يعملون، ولنحدد ادعاءات العقل. فلا يمكننا معرفة كل شيء، إذ إننا نعرف الواقع فقط كما يقدم نفسه لنا، بواسطة الحواس، على شكل ظواهر.

يمكن أيضاً أن يكون الفعل البشري -السياسة والأخلاق- موضوع ملاحظات تجريبية. فقد ظهرت في فرنسا تخصصات جديدة، أي "العلوم الأخلاقية والسياسية"، التي حددت لنفسها هدف دراسة "الأخلاق" وأنماط حياة السكان في جميع المناطق.

وبدأت العلوم الإنسانية - علم النفس والأنثروبولوجيا واللغويات، وعلم الاجتماع في الظهور في بداية القرن التاسع عشر. وساهمت، مثل العلوم التجريبية قبل بضعة عقود، في قضم المجال الفلسفي. واستولت على موضوعاته المفضلة، مثل العقل واللغة والأخلاق، مطالبة بوجوب دراستها في المستقبل عن طريق الملاحظة، والمقارنة، والقياس وليس فقط في غرفة التأمل...

إن الروح الوضعية، التي سيصوغ أوغست مبادئها لا تترك حيزاً كبيراً للفلسفة. ف "العصر الميتافيزيقي" يرى نفسه تراجع إلى الماضي. وحن الوقت لـ "العصر الوضعي"، وهو عصر العلم القائم على القوانين العامة والحقائق المثبتة⁶.

⁶ إن حقيقة أن أوغست كونت لا يزال يستخدم مسمى "الفلسفة الوضعية" لا ينبغي أن يفسح المجال للوهم. فهو يبحث عن كلمات جديدة لتحديد التخصص الذي يريد أن يكون المروج له: "علم الاجتماع" الذي كان تصور في البداية إطلاق اسم "الفيزياء الاجتماعية" عليه.

..... جان - فرانسوا دورنتيه: العلوم والفلسفة - قصة حب من خمسة فصول

إن الفلسفة التي حُرمت من علم اللاهوت ومن دراسة الطبيعة أو الروح البشرية، تجد نفسها مجردة تدريجياً من جميع المجالات التي كانت تستأثر بها. فما هو المجال المفاهيمي المؤقت الذي بقي؟

من الواضح أن الجميع لا يشاركون في الغطسة الوضعية، التي سوف تثير ردود فعل قوية. إنها تصدر عن فلسفة روحانية يمثلها، على سبيل المثال، بيير مين دو د بيران Pierre Maine de Biran وأنصاره. لكن من سيصغي إليهم؟ في ألمانيا، قاد رد الفعل المناهض للوضعية التيار الظاهراتي. ففرانز برينتانو، وفيلهلم ديلتاي، وإدموند هوسرل سوف يتناوبون في التمرد على الرؤية العلمية للعالم التي لا تترك أي مجال لمسألة "المعنى". المعنى، هو ما يفلت من دراسة الحقائق والقوانين الموضوعية.

ولادة فلسفة العلوم

يبدو أن الانفصال بين الفلسفة والعلوم في بداية القرن العشرين أصبح تاماً. فالفيزيائيون يمنحون الفلسفة دوراً ثانوياً على الأكثر: تحديد مبادئ العملية العلمية بدقة لفصل القمح عن الزوان، وتمييز العلوم الحقيقية من العلوم الكاذبة (الميتافيزيقا). ومن المفارقات أن فيزيائيين وعلماء رياضيات شرعوا في العمل على إرساء الأسس لفلسفة... العلوم! وقد برزت ثلاثة أسماء بشكل خاص في مطلع القرن العشرين: عالم الرياضيات هنري بوانكاريه Henri Poincaré الذي يهتم بالظروف النفسية للاكتشاف، والفيزيائي بيير دوهم Pierre Duhem، الذي كان أول من نظر في حدود التجريبية (تتطلب أبسط حقيقة دائماً نظاماً من التمثلات لشرحها)، وعالم الفيزياء إرنست ماخ Ernest Mach الذي سيكون له تأثير حاسم في إنشاء حلقة فيينا، وهي مجموعة من الفيزيائيين والفلاسفة الذين التقوا في أواخر عشرينيات القرن الماضي حول بيان بعنوان واضح: التصور العلمي للعالم. فطموحهم كان واضحاً: وضع حد لما بعد الطبيعة والترويج لنظرة جديدة

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

للعالم على أساس الحقائق والمنطق، ومن هنا جاء إطلاق اسم التجريبية المنطقية على هذا التيار.

أثارت مناقشات حلقة فيينا اهتمام شاب اسمه كارل بوبر Karl Popper. فهو أيضاً يسعى لتحديد المعايير الصارمة التي تُعرّف العلم، ولم يكن هدفه الميتافيزيقا وإنما التحليل النفسي والماركسية، وكانتا آنذاك رائجتين، وتطالبان بوضع العلم. فبعد أن انجذب نحوها بداية، نأى بوبر بنفسه عن الأولى وعن الثانية. واختلف مع رودولف كارناب Rudolf Carnap الذي يرى أن العلم يقوم على الاتفاق بين النظريات والوقائع. ويقوم المنهج العلمي بالأحرى، بالنسبة إليه، على اختبار نظرية معينة. وينبغي مواجهتها وليس تعزيزها. وهذا ما يطلق عليه اسم "القابلية للتفنيد".

نشر بوبر (بوبر) كتابه الأول في عام 1934، وهو بعنوان منطق الاكتشاف العلمي، الذي عرض فيه نظريته. لكن الكتاب لم يلفت الانتباه في البداية، لأسباب لا تتعلق بالفلسفة: كان المفكرون اليهود، في أوائل الثلاثينيات، مطاردين في ألمانيا والنمسا. وقد اضطر بوبر إلى الهجرة. ووجد أولاً مكاناً للجوء في نيوزيلندا. وهكذا تفككت حلقة فيينا، واغتال طالب نازي في الفصل الدراسي مؤسسها الكاريزمي موريتز شليك Maurice Schlick في عام 1936. وهاجر كارناب وكورت جودل إلى الولايات المتحدة. وهرب أوتو نيوراث Otto Neurath إلى هولندا، ومن ثم إلى بريطانيا العظمى.

هل البجع أبيض حقاً؟

هل يمكننا أن نثبت بشكل يتعذر دحضه أن هناك بجعة بيضاء؟ سوف تقولون إنه لا شيء أكثر بساطة من ذلك، فالبجعة البيضاء الأولى سوف تقي بالغرض. نعم، ولكن كيف "نثبت" ذلك؟ يكفي أن نقارن بياضها بمعيار، ورقة بيضاء على سبيل المثال. ولكن كيف يتأكد لك أن هذه الورقة بيضاء حقاً؟ دعونا نحلل لونها ونقيس طول موجاتها عن طريق جهاز معين... لكن هل نحن على يقين من أن جهاز القياس يعمل جيداً حقاً؟ لنقم بالقياس باستعمال جهازين، ونؤكد الملاحظة من خلال مجريين صارمين ونراقبهم من خلال مجريين آخرين، إلخ. يمكننا أن نرى،

..... جان - فرانسوا دورتييه: العلوم والفلسفة - قصة حب من خمسة فصول

انطلاقاً من هذا المثال، أنه لا يمكن أبداً أن نثبت بشكل مطلق من خلال تجربة واحدة حقيقة بسيطة مثل "هذه البجعة بيضاء". تتطلب التجربة اللجوء المتواصل إلى نظام كامل من الافتراضات: حول تعريف اللون والبجعة، وصحة القياس، إلخ.

هذه هي القنبلة الصغيرة التي ألقتها فيلسوف هارفارد ويلارد كوين Willard Quibe في عام 1951 في مقال مُدَوِّ بعنوان: "معتقدان في التجريبية" (المراجعة الفلسفية).

يقوم المعتقد الأول في التجريبية على الكلام عن "الحقائق التجريبية"، التي أثبتتها التجربة. ويجب كوين أنه يمكن دائماً الاعتراض إلى ما لا نهاية حتى على الحقائق الأكثر وضوحاً. يشير التأكيد الأكثر بساطة إلى عدد لا نهائي من الافتراضات، وبشكل أساسي إلى نظام كامل من الافتراضات الضمنية.

وُصِفَ هذا الموقف بـ "الكلانية": لا يمكن عزل أي فرضية عن مجموعة كاملة من الفرضيات الأخرى. لذلك يعارض كوين "أوليانية" *élémentarisme* الوضعية المنطقية، التي تقول إن فرضية معزولة يمكن أن تتوافق مع حقيقة معزولة.

يقوم معتقد "التجريبية المنطقية" الآخر، الذي أعلنته حلقة فيينا، والذي هاجمه كواين، على التمييز بين الحقائق التحليلية، التي تحلل المعرفة إلى أجزائها، والحقائق التركيبية، التي تجمع بين عناصر متباينة لتشكيل معرفة جديدة.

الحقائق التحليلية (إذا كان أ ينتمي إلى ب، و ب ينتمي إلى ت، فإن أ ينتمي إلى ت)، بالنسبة إلى كواين،

ليست سوى حقائق منطقية، ولكنها تعتمد أيضاً على وقائع. وبالتالي، يمكن أن يكون قانون عدم التناقض موضع تساؤل في ميكانيكا الكم (التي تعترف بأن الجزيء يمكن أن يوجد وألا يوجد في الوقت نفسه).

كان على بوبر انتظار نهاية الحرب ليذهب إلى بريطانيا العظمى، حيث التحق بمدرسة لندن المرموقة للاقتصاد. وسيطر هناك على فلسفة العلوم البريطانية لمدة ربع قرن.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

اجتمع كارناب مُجدِّداً بويلارد كوين في الولايات المتحدة، إذ سبق أن عرفه بالفعل في أوروبا. وقد أعطى الاثنان زخماً لفلسفة العلوم تميزت كثيراً بالفلسفة التحليلية. وقد ألقى كواين قبلة صغيرة في عام 1951 بمقاله "معتقدان في التجريبية"، الذي يقوِّض أسس التجريبية، إذ كان كليهما المهمة نفسها: تحديد قواعد حقيقة البيان العلمي.

كانت أيضاً فلسفة العلوم في الوقت نفسه، على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، تشق طريقها بأسلوبها الخاص. ففي فرنسا على وجه الخصوص، درس العلوم فلاسفة مثل ألكسندر كويري Alexandre Koyré، وغاستون باشلار Gaston Bachelard، وإميل ميرسون Émile Meyerson، من وجهة نظر أكثر تاريخية ونفسية في آن واحد. وقد عرّف كويري بنفسه من خلال دراساته حول تطور مفاهيم العالم من العصور القديمة إلى العصر الحديث (دراسات جاليلية، 1939، ومن العالم المغلق إلى الكون اللامتناهي، 1957). وأما باشلار، المتأثر بالتحليل النفسي، فقد تصور ظهور الفكر العلمي على أنه نوع من القطيعة - "قطيعة معرفية- مع الصور الخادعة والتشابهاً التي تطارد العقل البشري.

يبدو أن فلسفة العلوم على ضفتي المحيط الأطلسي اتخذت مسارات مختلفة. ولكن الكل متفق، الأمريكيون أو "الأوروبيون" على الهدف نفسه: تعريف العلم من خلال رسم خط فصل واضح يميزه من العلوم الأخرى. فالعلم، بالنسبة إليهم جميعاً، في خدمة الحقيقة. ولا بد أن تكون فلسفة العلوم في خدمته...

رياح النقد

ثم جاءت الستينيات، ومعها رياح جديدة، رياح المعارضة. ففي جميع الدول الغربية تقريباً، هاجمت الأجيال الجديدة السلطات: الدولة، والجيش، والأسرة، والرأسمالية... فلم لا تهاجم العلوم؟ كانت العلوم منذ القرن الثامن عشر تمثل التقدم. وكان يُنظر إليها على أنها سلاح مضادّ للمعتقدات والأحكام القبلية والمذاهب بكل أنواعها.. ولكن زمن التشكيك قد جاء.

..... جان - فرانسوا دورنتيه: العلوم والفلسفة - قصة حب من خمسة فصول

في عام 1962 صدر كتاب *بنية الثورات العلمية*. وكانت كلمة "ثورة" في العنوان مؤثرة بالفعل. رأى كون أن التاريخ لا يمضي قدماً بشكل مستمر، وإنما بشكل مفاجئ، وبقفزات مماثلة للثورات السياسية. كان العلماء مُدداً طويلة من الزمن يفكرون في إطار فكري مستقر وطبيعي (يسمى "النموذج"). ثم تحدث أزمة: ينهار النظام من كل جهة. ويُفرض نموذج جديد، ويسقط النموذج القديم. هذه هي الطريقة التي انتقلنا بها في بضع سنوات من فيزياء أرسطو إلى فيزياء جاليليو، ثم من فيزياء نيوتن إلى فيزياء ألبرت أينشتاين.

لذلك هل يمكن أن نساوي النظريات العلمية بأنظمة سياسية تهيمن على عصر، ويمكن "الإطاحة" بها؟ هذا لا يكاد يتوافق مع فكرتنا عن العلم الذي يُعد غريباً بحكم التعريف عن المعتقدات والأيديولوجيات، والذي يتقدم باستمرار على مدى الاكتشافات.

لقد زُرِعَ الشك بالفعل. وسيتصدى لصورة "العلوم العقلانية" خلال السنوات التالية جيل جديد من الفلاسفة.

باشلار، بين العلوم والشعر

نشر غاستون باشلار (1884-1962) في عام 1938 عملين في آن واحد، *تكوين العقل العلمي* (بمعنى *التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية*) و *التحليل النفسي للنار*. يعرض باشلار في الدراسة الأولى تطور المنهجية العلمية باعتبارها مساراً تدريجياً نحو التجريد. فالعقل العلمي يجب أن يترفع عن الصور الملموسة للعالم، وهي واقع يومي مشترك في الفكر العادي، من أجل التوجه نحو المفاهيم المجردة "الخالصة". فهذا المسار نحو التجريد يتطابق مع تاريخ العلوم. فالعلوم مرت بالمرحلة ما قبل العلمية *préscientifique*، الممتدة من العصور القديمة حتى القرن السابع عشر، وبالمرحلة العلمية حتى بداية القرن العشرين، ثم بالمرحلة العلمية الجديدة التي بدأت في عام 1905 مع نسبية ألبرت أينشتاين. هذا المسار هو أيضاً مسار الفكر الفردي الذي ينطلق من الحالة الملموسة للفكر المحاط بالصور نحو الفكر المجرد البحت للعقل العقلاني.

تأتي هذه الصور من القطب الآخر لفكر الإنسان: الخيال. لأن الفكر يملك، بالنسبة إلى باشلار، وجهين: الروح المذكورة Animus والروح المؤنثة Anima، أي العقل والخيال⁷. هذه القوة المثيرة للخيال، يستكشفها باشلار بوصفه شاعراً ومحللاً نفسياً للفكر في التحليل النفسي للنار، وفي الماء والأحلام (1941) أو في شعرية الفضاء (1957). فنتاجات الخيال تشبع العلم. لكي يتقدم العقل العلمي، يجب أن نزيل "العوائق المعرفية" التي تعرقل التفكير أحياناً. من بين هذه العوائق التشبيه أو الاستعارة. هناك أيضاً "العقبة الجوهرية" (أو الواقعية) التي تقوم على شرح فئة كاملة من الظواهر (الأرصادية، الفيزيولوجية...) بالإشارة إلى جسم أو مادة. هذا هو الحال بالنسبة لرئيسه ديكارت و"ميتافيزيقا الإسفنج". لذلك، العلم صراع دائم مع الخطأ والصورة المضللة.

اجتهد الشاب المجري إيمري لاكتوس Imre Lakatos، وهو مساعد بوبر، في إثبات أنه يوجد في كل نظرية علمية نواة صلبة من الفروض التي لا يمكن دحضها (بمعنى بوبر) يحيط بها حزام وقائي من الفروض المساعدة التي تهدف إلى حماية أساس النظرية. يعني ذلك أيضاً أن للعلم معتقداته التي لا يمكن المساس بها!

أصبح النقد أكثر رسوخاً بعد ذلك. ففي عام 1975، شارك بول فايراباند Paul Feyerabend في المشهد النقدي بكتاب ضد المنهج. فهذا الفوضوي المتمرد، المقيم في كاليفورنيا التي تتمتع

⁷ (استدعى باشلار أحلام اليقظة، بناء على مفهومين أساسيين للتحليل النفسي البونغي، أي الأنيموس والأنيميا، يشير المعنى الأول إلى أحلام اليقظة الذكورية في حين يتضمن الثاني أحلام اليقظة الأنثوية. فقد جاء يونغ بفكرة تقوم على وضع ذكورية وأنثوية الأعماق، تحت التأثير المزدوج لاسمين لاتينيين: أنيموس وأنيميا. اسمان لروح واحدة، ضروريان من أجل تبين حقيقة النفس الإنسانية، فالرجل الأكثر رجولة، والذي نصفه بصاحب أنيموس قوي، يتوفر كذلك على أنيميا قد تكون لها مظاهر متناقضة. أيضاً، المرأة الأكثر أنوثة، تتطوي على خصائص نفسية تثبت وجود الأنيموس. فالحياة الاجتماعية المعاصرة، بتنافسيتها التي تخلط الأجناس، تعلمنا كيف نكبح مظاهر الخنثوية. وقد أتاح هذا التأسيس الجديد لمفهوم الذكورة والأنوثة لباشلار إمكانية تجسير مفهوم الصورة الشعرية، من جراء القطيعة الواضحة التي أقامها بين الحلم وحلم اليقظة، أو حلم الليل وشروق النهار. انظر: الباحث والمترجم المغربي سعيد بوخليط، تم تصفحه بتاريخ 2021/6/18، من الرابط: <https://www.maghress.com/bayanealyaoume/104437>. المترجم).

..... جان - فرانسوا دورتييه: العلوم والفلسفة - قصة حب من خمسة فصول

بمكانة مرموقة في ثقافة تحررية جديدة - زعم أن النظريات العلمية أقل صرامة بكثير مما تدعي. ويدعم قوله بالأمثلة، موضحاً أن الفيزياء الكلاسيكية (جاليليو ونيوتن) وحتى نظرية النسبية لدى أينشتاين فرضت نفسها على الرغم من الحقائق التجريبية الذي كانت تخالفها... لا بل على الرغم من بعض التناقضات الداخلية!

كانت الضربة شديدة، لأن فايربانند هاجم أكثر الركائز صلابة للعلم: فكرة الاتساق الداخلي والمطابقة للحقائق!

ظهر تيار نقدي آخر في المملكة المتحدة في السبعينيات، بقيادة علماء الاجتماع مثل ديفيد بلور Dvid Bloor وهاري كولينز Harry Collins. قدم الأخيران وسيلة لقراءة تاريخ العلوم الذي يرفض التركيز على المنتصرين، فالحقيقة تنتصر دائماً على الخطأ. وأطلق بلور Bloor في جامعة إدنبورغ Édimbourg، "البرنامج القوي"، الذي يتكون من دراسة الظروف المؤسسية والثقافية والاجتماعية لصناعة العلوم. ودرس بشكل متماثل الأفكار العلمية سواء كانت خاطئة أو صحيحة. يتعلق الأمر بوجهة نظر "نسبية" واضحة. وبين كولينز من جهته، في علم/اجتماع المعرفة العلمية، أن الخلافات العلمية نادراً ما تقابل الحقيقة بالجهل، وتظهر نظريتين تتنافسان على قدم المساواة بحجج قوية من كلا الجانبين. وتكون الأسباب غير العلمية هي التي ترجح كفة جانب على آخر⁸. والأسباب في بعض الأحيان غير علمية (مثل إجماع المجتمع).

ستثير هذه الانتقادات، وهذا أمر متوقع، مناقشات محتدمة بين النسبيين والوضعيين. فإذا كانت المناقشات الحادة ستهدأ في التسعينيات، فإن الصورة المثالية للعلم لم تخرج سالمة منها.

استئناف الحوار

دخلت فلسفة العلوم عصرًا جديداً مع حلول الألفية الثانية. ويبدو أن بعض خطوط القوى قد ظهرت حتى لو لم يكن هناك تراجع لتقدير أهميتها الكاملة.

⁸ سبق أن قدم الفيزيائي الفرنسي بيير دوهم هذه الحجة. وهذا هو سبب كلامنا على أطروحة "دوهم/كواين".

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

بادئ ذي بدء، تهجنت الفلسفة مع التاريخ، وعلم الاجتماع وأنتروبولوجيا العلوم. وأصبح التطور واضحاً ودولياً. يشهد على ذلك ظهور الدراسات العلمية ونشر القواميس الأساسية للتاريخ وفلسفة العلوم، وغرضها متعدد التخصصات⁹. وقد ساهمت هذه البحوث في إخراج العلم من عنق الزجاجة. وهو نشاط جماعي تقوده شبكات من الباحثين، وتغذيه النقاشات والخلافات، وتدعمه المؤسسات والسياسات العلمية.

تطورت أيضاً الأبعاد المعرفية الخالصة للنشاط العلمي. فالفكر العلمي الذي اقتصر مدةً طويلة على منهج استنباطي افتراضي (يعتمد على الاستقراء والاستنباط)، اكتشف اليوم أنه أكثر تعقيداً. وسلط الفلاسفة الضوء على التماثل (إيفلين فوكس كيلر Evelyn Fox Keller)، و"الأساليب المعرفية" النوعية المحددة (إيان هاكينج Ian Hacking¹⁰)، والأنماط الذهنية الضمنية التي تشكل النماذج والنظريات العلمية (ماريون فورمز Marion Vorms¹¹). ويتعلق مجال آخر للدراسة بـ "البلاغة العلمية": اكتشفنا أن العلماء يستعملون أيضاً الأساليب البلاغية، مثل استعمال الاستعارات، للإقناع¹² حيث اعتدنا أن نرى العرض التوضيحي والجدل فقط.

شهدت فلسفة العلوم أيضاً تطوراً آخر لافتاً للنظر: التنوع. كانت قد بنيت على نموذج مرجعي فريد تقريباً: الفيزياء الأساسية. وقد فتحت أبوابها منذ ذلك الحين أمام المزيد من المجالات: البيولوجيا، والطب، والكيمياء، والرياضيات، ونظرية التطور، وعلم السلوك، وعلم النبات، والعلوم الاجتماعية، وعلم المناخ، والعلوم الهندسية، وغيرها¹³. يساهم هذا التنوع في إعطاء صورة للمنهج العلمي أقل وحدة بكثير، ويأخذ في الاعتبار تنوع أساليبه وتقنياته وطرق

⁹ دومنيك لكور (تحرير)، معجم تاريخ العلوم وفلسفتها، الطبعة الرابعة، المطابع الجامعية الفرنسية، 2006.

¹⁰ إيان هاكينج، نشوء الاحتمالات، 1975، الترجمة الفرنسية، سوي، 2002، والتصميم والتجريب، كريستيان بورجوا، 1989.

¹¹ ماريون فورمز، ما النظرية العلمية، فويبير، 2011.

¹² فرناند هالين، البنى البلاغية للعلوم. من كيلر إلى ماكسويل، سوي، 2004.

¹³ أنوك باربيروس، ودوني بوناي، وميخائيل كوزينش، موجز في فلسفة العلوم، فويبير، 2011.

..... جان - فرانسوا دورتييه: العلوم والفلسفة - قصة حب من خمسة فصول

تفكيره ونماذجه التفسيرية: الفرق كبير بين فيزيائي الجسيمات وعالم الحشرات. وظهر من خلال جميع هذه التطورات اتجاهان قويان.

حُرِم العلم من عرشه منذ جيلين. وتبدو صورته بعيدة عن البرج العاجي الذي يتقدم العلماء فيه نحو الحقيقة مسلحين بمنهج فريد ومعصوم من الخطأ تقريباً. وبطريقة ما، يبدو أن العلم نشاط أكثر قابلية للخطأ... مِنْ ثَمَّ أكثر إنسانية. وعلى العكس من ذلك، من المفارقات أن فلسفة العلوم، التي ضاعفت دراسات الحالة، والمقاربات المتعددة التخصصات، والفحص الدقيق للإجراءات والممارسات، أقل معيارية، وأقل عمومية، ومن ثَمَّ أكثر... علمية.

والآن، غالباً ما يتعاون العلماء والفلاسفة في وفاق تام. وترتبط شهادات العلماء حول نشاطهم أكثر فأكثر بعمل الفلاسفة. ولم يحن وقت انصهار الأنواع وبلبلتها، لكن الحوار استؤنف.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

اللّسانيّات والترجمة

بقلم: غُونِيْلَا أُنْدِرْمَان*

ترجمة: أ. د. حَمِيد العَوَاضِي**

جامعة صنعاء – الجمهورية اليمنية

على مر العصور، جذبت الترجمة، وكذلك اللسانيات بوصفها الدراسة الشكلية للغة، التعليقات والتأملات. وتم الاعتراف بالحاجة إلى مترجمين متمرسين منذ كُتب العهد القديم، حيث تمت الإشارة في سفر دانيال 4:1 إلى الحاجة إلى إتقان "لسان الكلدان" لاستعمالها في "قصر الملك". ومنذ زمن بعيد، حملت طبيعة اللغة البشرية وأصلها على التأمل. وفي أواخر القرن السابع عشر، استتبَّ رأي أنَّ اللغة البدائيَّة للبشريَّة هي اللغة الصَّينيَّة، وهي التي كان يتحدث بها نوح وقومه في الفلك حين نجا من الطوفان (أيتشيسن 1996:4). استغرق الأمر حتى النصف الأخير من القرن الثامن عشر قبل أن تبدأ اللسانيات –التي كانت تُعرف آنذاك باسم فقه اللغة– في الظهور بوصفها نظاماً قائماً بذاته؛ لكي يصبح علم الترجمة موضوعاً أكاديمياً مستقلاً مع

* غُونِيْلَا أُنْدِرْمَان Gunilla Anderman أستاذة علم الترجمة بجامعة سوري Surrey بالمملكة المتحدة. تشمل اهتماماتها البحثية نظرية الترجمة وترجمة الدراما وترجمة أدب الأطفال. وهي مؤلفة كتاب أوروبا على المسرح: الترجمة والمسرح (2005)، وشاركت مع مارغريت روجرز في تحرير: الكلمات والكلمات والكلمات: المترجم ومتعلم اللغة (1996)، والكلمات والنص والترجمة: في تكريم بيتر نيومان (1999)، وكتاب الترجمة اليوم: التوجهات والأفاق (2003)، وفي اللغة الإنكليزيَّة وخارجها: في السراء والضراء (2005) وكذلك دمج المدونات: اللسانيات والمترجم. كما شاركت مع جورج دياز تناس في تحرير: الترجمة السمعية البصرية: النقل اللغوي في الشاشة (2009). ولها عدة دراسات ومساهمات أخرى في علم الترجمة. نشرت المادة تحت عنوان Linguistics and Translation Studies ضمن كتاب A Companion to Translation Studies كندا 2007. (المترجم).

** أ. د. حميد العواضي، أستاذ اللسانيات والترجمة – جامعة صنعاء، وإستاذ اللسانيات والدراسات الثقافية – جامعة بيتسبرغ ووينت بارك –أمريكا.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

روابط متعددة التخصصات متصلة بميادين دراسية أخرى ويشمل ذلك اللسانيات، وكان ذلك مع الاقتراب من فجر الألفية الجديدة.

وفي عام 1786، تم اتخاذ الخطوة الأولى التي دفعت بدراسة اللغة إلى أن تصبح تخصصاً في حد ذاته. وفي ورقة قُدمت إلى الجمعية الملكية الآسيوية في كلكتا، أعلن السير ويليام جونز (1746-1794) Sir William Jones، من شركة الهند الشرقية، أنه لا يمكن لأي عالم في فقه اللغة دراسة اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية دون الاعتقاد بأنها نشأت، ضمن اللغات الهندية-الأوروبية المشتركة، عن مصدر ما لم يُعد موجوداً (جونز، 1970 Jones). وفي حينها أصبحت اللسانيات المقارنة والتاريخية محط اهتمام علماء فقه اللغة، وبامتلاك اللغات خصائص مميزة ومشتركة، فقد تم تجميعها معاً في سلسلة أسر لغوية متتابعة. ولما كان التناظر بين الكلمات المتشابهة، مثل "هاند: يد" في اللغة الإنكليزية hand، وبالألمانية hand، وفي الهولندية والدانماركية، والنرويجية والسويدية hand، يشير إلى مجموعة اللغات الجرمانية ذات الصلة، فإن "يد" الفرنسية main، والإسبانية mano، والإيطالية mano تشكل بعضاً من اللغات التي تنتمي إلى أسرة اللغة الرومانسية Romance، على حين توحى ryka و ruka باللغات الروسية والبولندية والتشيكية على التوالي بالعضوية في مجموعة اللغات السلافية. وترتب على ذلك أن الترجمة نشأت عن العمل الزائد لعلماء فقه اللغة في القرن التاسع عشر حين جمعوا اللغات الهندية الأوروبية في أسرٍ كما نعرفها اليوم، وقد مثّلت لها تمثيلاً مناسباً الملاحظة التي صاغها مُنظراً الترجمة فيناي وداربلنه، بعد قرن من الزمان، بأن "الترجمة الحرفية هي الحل الوحيد [...] وهي الأكثر شيوعاً في الترجمات بين اللغات التي يغلب التقارب بينها (مثل الفرنسية/الإيطالية) (فيناي وداربلنه 34: 1995 Vinay & Darbelnet).

وبعد اكتشاف الأصل التاريخي المشترك للغات الهندية الأوروبية، بدأ اهتمام علماء اللغة يتركز على التطور التاريخي للغات مما أفضى، خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر، إلى أن يدب شعوراً بأن ثمة رد فعلٍ مقابلاً إزاء الاهتمام بالماضي وبأساليب التحليل اللغوي التي كانت

..... اللسانيات والترجمة

في بعض الأحيان أقل صرامة. وقد أُطلقت سِهامُ النِّقد، على وجه الخصوص، من قِبل "النَّحاة الجدد" Junggrammatiker، وهي مجموعة من اللغويين الألمان كان مركزها في جامعة لايبزيغ Leipzig في سبعينيات القرن التاسع عشر. ولا يزال الإرث الذي تركه هؤلاء العلماء، والمعروفون باللغة الإنكليزية باسم "النحاة الجدد"، قائماً حتى يومنا هذا: الاهتمام باللغة المحكية بوصفها موضوعاً للنظر مقترناً بالإصرار على مبادئ قابلة للقياس، ونظرية قادرة على الصياغة كشرط أساسي للتحقيق اللغوي القائم على التجربة.

وقد استقطب التركيزُ على مقارنة أكثر منهجية لدراسة اللغة انتباه علماء اللغة من البلدان الأخرى، ويشمل ذلك الباحث السويسري فرديناند دو سوسير (Ferdinand de Saussure 1857-1913)، الذي عاد بعد دراساته في لايبزيغ وبرلين إلى سويسرا ليصبح محاضراً في جامعة جنيف. فقد شدد دو سوسير، "أبو اللسانيات الحديثة"، على أهمية المقارنة الآتية synchronic، وهي دراسة اللغة في نقطة زمنية معينة، لا علاقة لها بماضي تلك اللغة الذي تُعنى به اللسانيات التاريخية أو التطورية. وكان للإطار النظري عند دو سوسير أهمية في التمييز بين اللغة بوصفها أساً لمجموعة من قواعد أي لسان، والكلام، وهو الاستعمال الفعلي للغة من قبل المتحدثين فرادى. إنَّ هذا التمييز لمَّا يُمنح أهمية كافية في نظرية الترجمة، إلا أنه قد بدأ الاهتمام الجاد به أخيراً عند الترجمة إلى اللغات القُطريّة vernacular وإلى اللهجات. كان المفهوم الأساسي الآخر الذي قدّمه دو سوسير هو **العلامة**، التي تفحصها في شقّين، **الدال والمدلول** (1916/1983). ولما كان الدال هو صورة ذهنية للصوت الفيزيائي الذي يجري تكوينه عند قول "dog: كلب" باللغة الإنكليزية على سبيل المثال، فإنّ المدلول هو مفهوم عقلي أو تمثيل للكلاب في العالم الحقيقي. كانت العلاقة بين الدال والمدلول، حسب دو سوسير، بناءً اجتماعياً اعتباطياً، وهي مشكلة محتملة عند المترجم لأن العلامات تخلو من الدلالة حين تكون معزولة. فمع أن كلمة "dog" في اللغة الإنكليزية تُترجم إلى الإسبانية مثلاً بـperro، فإنّ الكلمتين تحملان مجموعتين مختلفتين من الارتباطات أو الدلالات. ففي اللغة الإنكليزية، تمتلك الحيوانات مثل البشر "أرجل" و"ظهور" و"أعناق". أمّا في الإسبانية، من ناحية أخرى، فتُعرف أرجل البشر باسم piernas،

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وظهورهم باسم espaldas وأعناقهم باسم cuellos، على حين يشار إلى أرجل الحيوانات [قوائمها] باسم patas وظهورها lomos وأعناقها pescuezos. وتشبي هذه الملاحظات بحكاية مختلفة عن مكانة الحيوانات في الثقافة الإسبانية، وعن مكانة الكلب بوصفه حيواناً أليفاً محبوباً وأفضل صديق للإنسان في مناطق العالم الناطقة باللغة الإنكليزية.

وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين أيضاً روابط أُقيمت بين الترجمة واللسانيات الأنثروبولوجية [الإناسة]. فمن خلال الإمبراطورية البريطانية، كان المتحدثون باللغة الإنكليزية على اتصال بعالم خارج أوربا، وبمتحدثين بلغات مختلفة إلى حد بعيد. واجه برونيسلاف مَالِينُوفسكي (1884-1942) Bronislaw Malinowski من خلال التجربة، محدودية الترجمة أثناء عمله الميداني الذي تَمَحَّوَر حول حياة سكان جزيرة تروبرياند Trobriand في غينيا الجديدة في جنوب غرب المحيط الهادئ، وقد شغل منصب أستاذ أول كرسي للأنثروبولوجيا في جامعة لندن. فمع عدم توفر المصطلحات الإنكليزية للمفاهيم الحاسمة في وصفه لثقافة سكان الجزيرة ودينهم، لم يتبق لمالينوفسكي أي خيار سوى أن يصبح "في تاريخ اللسانيات الإنكليزية [...] أول عالم يتكئ على الاستعمال المنتظم للترجمة في تقرير المعنى في النصوص الإثنوغرافية" (فيرث، 1968: 76 Firth).

وقد جذبت اللغات التي لم يسبق توثيقها أيضاً انتباه اللغويين في الولايات المتحدة، حيث تركّز الاهتمام على لغات الأمريكيين الأصليين. ولأنها تواجه الانقراض بسرعة، أصبحت موضوعاً للدراسة من قِبل علماء لغويين مثل فرانز بوا (1858-1942) Franz Boas وإدوارد سابير (1884-1939) Edward Sapir، وكلاهما ولد في أوروبا وتدرّب على منهجية قواعد النحاة الجدد. ووجدت ملاحظات سابير، وكذلك بنيامين وورف (1897-1944) Benjamin Whorf، تعبيراً فيما أصبح يُعرف باسم فرضية سابير/ وورف، التي، بتركيزها على التباين في النظر إلى العالم بين المتحدثين بلغات مختلفة إلى حد بعيد (ورف Whorf، 1956)، تجعل الترجمة شبه مستحيلة في تفسيرها الأكثر و "الأشد" تطرفاً. أما في نسختها "الألين"، من ناحية أخرى، فإنّها

..... اللسانيات والترجمة

ليست سوى تأكيد لتجربة كل مترجم ممارس أن اللغات لا تختلف كثيراً إزاء ما هو متاح لها للتفوه به في نطاقها قياساً إلى درجة الصعوبة عند سعيها للقيام بذلك فيما بينها.

وقد تم تعزيز التراث الأوربي بشأن إصرار النحاة الجدد على الصرامة المنهجية في ذلك الوقت في الولايات المتحدة بسبب تأثير علم النفس السلوكي والآلي في اللسانيات، الذي وجد الأسس الرئيسية له عند ليونارد بلومفيلد (1887-1949) Leonard Bloomfield. ومع التركيز القوي على المنهجية، والاهتمام ببنية اللغة لاستبعاد المعنى، سيطر كتاب بلومفيلد "اللسان (1933) Language" على دراسة اللسانيات خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، وحصر نطاق التحليل اللساني لـ "البنويين" الأمريكيين فقط في البنية وقواعد اللغة قيد النظر.

وقد تم العثور على وجهات النظر المبكرة حول الصلة بين الترجمة واللسانيات في ورقة غالباً ما يجري الاستشهاد بها للبنوي الأمريكي المولود في التشيك رومان ياكوبسون Roman Jakobson⁽¹⁾ في "الجوانب اللغوية للترجمة"، يشير ياكوبسون (1959/2000) إلى ثلاثة أنواع مختلفة من الترجمة. ففي حين تستلزم الترجمة بين اللغات نقل المحتوى وكذلك الشكل من لغة إلى أخرى، فإن الترجمة في نطاق اللغة الواحدة تستلزم عملية إعادة الصياغة باللغة ذاتها لأغراض التوضيح، أما النوع الثالث فهو الترجمة السيميائية، وهي الطريقة المستعملة عند نقل نص مكتوب إلى وسيط آخر مثل الفيلم أو الموسيقى. واعتراضاً بالحاجة إلى النوعين الآخرين من الترجمة، توقع رومان ياكوبسون ببصيرة نافذة القضايا التي نُوقشت أخيراً والتطورات في علم الترجمة حالياً. وفي مقال في صحيفة الإندبندنت في 15 نوفمبر 2001، أثار سوزان باسنيت Susan Bassnett نقاشاً حيوياً بسبب اقتراحها الذي مؤداه أنه من أجل الحفاظ على اهتمام أطفال المدارس الحاليين، يحتاج شكسبير إلى إعادة صياغة (بمعنى آخر، "ترجمة" ضمن اللغة الواحدة)

(1) تُرجمت مادة ياكوبسون إلى العربية بعنوان "المظاهر اللغوية للترجمة" ترجمها عبد المجيد جحفة، ونشرت في مجلة فكر وفن، 10ع، 1998، ص 77-82 كما تُرجمت أيضاً بعد ذلك بعنوان "حول الجوانب اللسانية في الترجمة" وترجمها نوفل نيوف، ونشرت في مجلة جسور ثقافية، ص 1، 3-4، 2009، ص 151-158. أنظر حميد العواضي : الفهرس العربي لأدبيات علم الترجمة، ص 379 (المترجم).

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

باللغة الإنكليزية الحديثة. ومع الحاجة إلى الخبرة لزيادة وتيرة الترجمة السَمِعيّة والبصريّة بين الإنكليزيّة واللّغات الأوربيّة الأخرى الأقل استعمالاً لاستعمالها في السينما والتلفزة، أصبحت الترجمة السيميائيّة موضع اهتمام شديد.

أما المِعقل السلوكي للسانيات الأمريكيّة، فقد انتهى إلى نقاش حاد في منتصف القرن العشرين عندما زعزع عملُ نعوم تشومسكي Noam Chomsky تَربيع أعمال الرائد السلوكي بلا منازع بي إف سكينر (1904-1990). B.F Skinner. إذ تحول التركيز إلى التكيّف بوصفه التفسير الوحيد للسلوك اللّغوي. وعندها تحول اهتمام اللّسانيّين إلى دراسة المعرفة الفطريّة التي يمتلكها المتحدّثون عن لغتهم؛ بدلاً من إبراز الاختلافات بين اللّغات، وتحول الانتباه إلى البحث عن الخصائص التي قد تشارك فيها هذه اللّغات.

وشهدت أربعينيّات القرن العشرين أولى المحاولات المنهجية لتطوير الترجمة الآليّة، وكانت المشكلات التي تشغل اهتمام اللّغويين آنذاك مألوفة للعلماء المنخرطين في عملية محاولة التغلب على العقبات الكامنة في تقدّم الترجمة الآليّة. فقد كانت إحدى تلك المشكلات التي يجب حلّها في الترجمة غير البشرية هي الصّعوبة التي يفرضها الغموض التركيبي. اعتماداً على ما إذا كان "الديك الرومي" هو الفاعل أو المفعول به لـ "أكل"، عند تفسير الجملة: "الديك الرومي جاهز للأكل"، إمّا على أنها "الديك الرومي جاهز لأكل شيء ما" أو "شخص ما مستعد لأكل الديك الرومي".

في الحالة الأولى، أدى تطبيق "التّحويل" (مجموعة من العمليات التي شكّلت في ذلك الوقت جزءاً من الإطار النظري لنشومسكي) إلى نقل موضوع جملة "الأصل" أو "النواة" الأساسية إلى موضع صدارة الجملة مما أدى إلى تمثيل واحد لبنية سطحية غامضة. إن التوغل إلى ما دون البنية السطحية، والتركيز على كفاءة المتحدّثين، بوصف ذلك مجموعة مُسَبَّطنة من القواعد التي يمتلكها المتحدّثون عن لغتهم (والتي غالباً ما تتعارض مع أدائهم)، قد وجّه البحث آنذاك نحو الكليات أو المشتركات الكونية. التي يمكن اكتشافها بسهولة في اللّغة المبكرة للأطفال، قبل

..... اللسانيات والترجمة

اكتساب التحويلات التي تعلمها المتحدثون لاحقاً من أجل اكتساب التمكن التركيبي والنحوي للغتهم (تشومسكي، 1957، 1965 Chomsky).

وعلى الرغم من الادعاءات البعيدة المدى لقواعد تشومسكي التحويلية-التوليدية (1965: 30)، إلا أنه كان أقل تفاؤلاً بشأن آثارها على الترجمة: "وجود المسلمات الرسمية العميقة الجذور لا يقتضي، على سبيل المثال، أنه يجب أن يكون هناك بعض الإجراءات المعقولة للترجمة بين اللغات". ومع ذلك، فإن مبادئ تفكير تشومسكي قدّمت فرصة لنظرية الترجمة لتمكينها من إطار لغوي ولتزويدها بأساس "علمي". وفي ذلك الوقت، تم وضع هذا المطلب بشكل مُلح على العلوم الاجتماعية، كما يتضح من عنواني عمليين مبكرين لعالم اللغة والأنثروبولوجيا يوجين نايدا Eugene Nida: "نحو علم الترجمة" ⁽²⁾ (نايدا، 1964 Nida)، وعمله المشترك مع مع س. تاير C. Taber (نايدا وتاير، 1969 Nida & Taber): "نظرية الترجمة وممارستها"، وفيهما يجري تطبيق مبادئ قواعد النحو التحويلي على الترجمة.

وقبل نقل النص من لغة المصدر إلى لغة المستقبل (وهو المصطلح الذي خصصه نايدا لما صار يُعرف أكثر باسم اللغة الهدف)، تم تطبيق نوعين من التحليل النحوي: نحوي ومعجمي. بالاعتماد على إطار عمل تشومسكي كآلية لإيجاد حلول لمشاكل الترجمة التي واجهها مترجمو الكتاب المقدس ممن عمل نايدا كمستشار لهم. واستعمل نايدا مفهوم التحويلات وجمل النواة من أجل تفسير الحاجة إلى الاختلاف النحوي من النص المصدر إلى ترجمته. على سبيل المثال، إذا كانت اللغة تستعمل الأسماء فقط للدلالة على الأشياء الملموسة، فإن نقل الأسماء التي تدل على الأحداث إلى لغة أخرى يتطلب تطبيق "تحويلات عكسية" من أجل الوصول إلى جمل النواة لاستعمالها في الترجمة. لذلك فإن العبارة الإنجيلية مثل "خُلِقَ العالم" الواردة في أفسس 4:1

⁽²⁾ ترجم هذا الكتاب إلى العربية في منتصف الثمانيات من القرن الماضي أنظر : يوجين نايدا: نحو علم الترجمة، ترجمة ماجد النجار، بغداد، وزارة الإعلام، 1986، ص504. انظر حميد العواضي: الفهرس العربي لأدبيات علم الترجمة ، ص360 . (المترجم)

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

تحتاج إلى "تحويل" إلى "خَلَقَ الله العالم" من أجل ترجمة العبارة الاسمية الإنكليزية الأصلية (نايدا، 1969: 83).

ولحل مشاكل الترجمة على المستوى المعجمي، كانت إحدى مشاغل نايدا المباشرة هي صعوبة التفسير التي تصادف كثيراً في ترجمة الكتاب المقدس. ومن أجل تحديد معنى الكلمة تحديداً صحيحاً في النص المصدر، سواء كانت مرادفة لكلمة أخرى لها تحفّ بها دلالة إضافية مختلفة بدلاً من المعنى الدلالي المباشر أو المرجعي، أخضعها نايدا إلى تحليل للمكونات. ثم بعد التحليل، يجري نقل النص بحيث مكّنت هذه العملية نايدا من الاستفادة من مفهوم "توليف المكونات"، كاستعمال مثال أوربي معاصر، يحول "أخت وأخ" في اللغة الإنكليزية إلى "غيشويستر" Geschwister في الترجمة إلى الألمانية. ويناقش نايدا أيضاً إضافة معلومات توضيحية، وهي ما يقال عنها في الزمن الراهن تقنية الإفصاح (كلودي، 1998: 83) كما في حالة توسيع الإشارة إلى فيلنيوس Vilnius في نص مكتوب باللغة الليتوانية إلى "فيلنيوس، عاصمة ليتوانيا" في الترجمة إلى الإنكليزية لتسهيل الفهم على القارئ. لقد تعالت أصوات نقد نموذج نايدا المقترح وتركزت فيما يبدو على تقدّمه بخطأ متتابعة بلا نسق في رحلة من لغة المصدر إلى لغة المستقبل، والتي من غير المرجح أن تكون صورة عن العمل الذي يمارسه المترجمون، بل الأحرى أنها صورة عامة ألصق بمقاربة أنيّة. وبرغم ذلك، فإن ممارسة نايدا اللغوية ومعلوماته (التي تم جمعها من خبرة طويلة كمترجم متمرس)، جنباً إلى جنب مع محاولته لإضفاء الطابع الرسمي على النتائج التي توصل إليها في إطار لغوي، قد حددا مساراً لمنظري الترجمة لتعزيز العلاقة المتبادلة بين الترجمة واللسانيات في السنوات التي تلت ذلك.

ففي حين مثّلت مقاربة تشومسكي في دراسته الشكلية للغة اهتمامه القائم على الإدراك المعرفي، فإن الإرث الذي خلفه مالمينوفسكي في المملكة المتحدة قد وضع لسانيات اللغة الإنكليزية في مسار مختلف. وبناء على التطوير الذي أدخله ج. ر. فيرث JR Firth (1890-1960)، تم تحويل مفهوم مالمينوفسكي عن "سياق الثقافة" إلى "المعنى بوصفه وظيفة في السياق"، كما طوّره تطويراً أوسع أحد "أتباع فيرث الجدد" وهو مايكل هاليداي Michael Halliday فأصبح

..... اللسانيات والترجمة

المفهوم نظرية لغوية شاملة، عُرِفت بمقاس الرتبة النحوية، أو النحو المنظومي. وفي الإطار النظري لهاليداي، يُنظر إلى مفهوم السياق على أنه وظيفة اللغة التي تعمل في عدد من المستويات المختلفة. ووفقاً لهاليداي، فإن مشكلة مثل الغموض التركيبي تجد لها تفسيراً في مفهوم تغيير الرتبة، كما في: "جاء الرجل من مركز الشرطة". في إحدى القراءات، يصنف الظرف (من مركز الشرطة) على أنه "مركب [ظرفي]" يجب عن السؤال "من أين جاء الرجل؟" وفي تفسير ثانٍ فقد تم تحويله من رتبة "جُميلة clause" (من كان موظفاً في مركز الشرطة) في شكلها المختصر لتصبح مرآة تصور ظرفاً غير متحول، وقع ترتيبه على أنه "مركب [ظرفي]".

أما في الولايات المتحدة، فسرعان ما ظهرت نظرية لسانية جديدة جذبت أتباعاً بين اللغويين في محاولات لتطبيق إطارها النظري على الترجمة. ففي كتاب "نظرية لغوية في الترجمة"⁽³⁾ اعتمد ج. س. كاتفورد (1965) J.C. Catford على إطار هاليداي اللغوي وطبقه على الترجمة، ويشمل ذلك مفهوم التحول اعتماداً على الانطلاق من المقابلات الشكلية التي تحدث عندما يُترجم النص الأصلي إلى اللغة الهدف. ففي حين يمكن، في اللغة الإنكليزية، وصف الجملة "John loves Mary" بالتتابع على أنها حامل ومحمول وتابع [مبتدأ وفعل ومفعول به]، (SPA)، في الترجمة إلى اللغة الغيلية⁽⁴⁾ Gaelic، فإنها تتوافق مع بنية PSCA مبتدأ، وشبه جملة ومضاف ومضاف إليه "Tha gradh aig Iain air Mairi" هي "الحب في جون لماري" حيث تشير C إلى "التكلمة". وهذا بدوره ينتج عنه معادلة الترجمة: الإنكليزية: SPA الغيلية PSCA (كاتفورد، 1965: Catford 77).

⁽³⁾ ترجم هذا الكتاب مرتين إلى اللغة العربية: ترجمه أولاً عبد الباقي الصافي، البصرة، جامعة البصرة، 1983، ص 182، ثم ترجمه ثانية كل من خليفة العزان، ومحبي الدين حميدي، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1991، 143. أنظر حميد العواضي: الفهرس العربي لأدبيات علم الترجمة، ص 379 (المترجم).

⁽⁴⁾ الغيلية Gaelic هي لغة اسكتلندية، ويشار إليها أحياناً بالغيلية أو الغالبية الاسكتلندية. وترجع إلى اللغات الصلتية. وهي لغة حديثة مشتقة من الإيرلندية القديمة وتتشابه مع اللغات الجودية مثل الإيرلندية الحديثة والمنكية. وتستعمل هذه اللغة في شمال غرب اسكتلندا. انظر الموسوعة البريطانية. Britannica (المترجم).

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

كان مفهوم التكافؤ ذا أهمية قصوى، ليس فقط عند كاتفورد، ولكن أيضاً عند منظري الترجمة الأوائل، حين حاولوا صياغة نظرية للترجمة تعتمد على اللغة. فعند نايدا، تم اعتماد المفهوم من خلال منح المتقابلات الشكلية المرتبة الثانية من حيث الأهمية في التكافؤ الديناميكي، الذي يتحقق إذا أدى تأثير الترجمة إلى الاستجابة المناسبة من المستقبل في اللغة الهدف. وقد تجنب إطار كاتفورد النظري بعناية معالجة نايدا المتعجرفة إلى حد ما لمفهوم ذي أهمية حاسمة لتطوير الترجمة المأتمته، وتحمل تحولات كاتفورد تشابهاً حقيقياً مع مفاهيم النقل المعقد في الترجمة الآلية، حيث تستمر المتقابلات الشكلية متموضعة بجسارة في مكانها (كيني، 1998: 78 Kenny).

بالإضافة إلى نايدا وكاتفورد، ما انفكت المحاولات تثري من قبل منظري الترجمة الآخرين في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي لتعريف مفهوم التكافؤ ومكانته في نظرية الترجمة. وقد اقترح فيناي وداربلنه (1958/1977) في تحليلهما التفصيلي التقابلي للغة الإنكليزية والفرنسية، مجموعة من الإجراءات ليستخدما المترجم من أجل تفسير الحاجة إلى الترجمة "غير المباشرة" التي تتضمن حالات لا يمكن فيها أن يتم التكافؤ مع اللغة الهدف. أحد هذه الإجراءات "تبادل المواضيع" "chassé-croisé" إذ يتم تحويل "بلريو طار عابراً القناة Blériot flew across the Channel" إلى "بلريو عَبَرَ القناة بالطائرة Blériot traversa la Manche en avion" (فيناي وداربلنه 1958/1977، Vinay & Darbelnet، ص105) بينما في اللغة الإنكليزية، يتم تضمين كل من الحركة والأسلوب في الفعل "طار"، في الترجمة إلى الفرنسية لا يمكن التعبير عن الميزتين من خلال استخدام فعل واحد. بدلاً من ذلك، يتم نقل فكرة "الحركة" من خلال الفعل traversa (عَبَرَ) و"الطريقة" التي يتم التعبير عنها بشكل منفصل، "en avion" (بالطائرة).

من خلال التمييز بين عدد من أنواع التكافؤ المختلفة، فإن مقارنة مشكلة احتساب عدم التكافؤ بين النص المصدر والنص الهدف في الترجمة كان قد رَوَّج له مُنْظَرُ الترجمة الألماني فيرنر كولر (1972/1979) Werner Koller الذي اعترف ضمناً بأن المفهوم ليس مفهوماً

..... اللسانيات والترجمة

واحداً غير متمايز. فبينما يستلزم التكافؤ الضمني الاختيار بين التعبيرات المترادفة، فإنّ التكافؤ المعياري للنص يُعنى باستخدام معايير تختص بنوع معيّن من النصوص، ويتضمّن التكافؤ التداولي المتلقي الذي يتم توجيه الترجمة إليه، ويُعنى التكافؤ الشكلي بالسمات الجمالية الشكلية مثل التلاعب بالكلمات (1989).

وفي الإطار الذي استخدمه بيتر نيومارك (1981) Peter Newmark، ظهر التكافؤ بشكل آخر من أشكال المعالجة؛ لتفسير الانحرافات عن المتقابلات الشكلية بين النص المصدر والهدف، قدم بيتر نيومارك مفهومي الترجمة الدلالية والتواصلية. ففي حين أن "Défense de marcher sur la gazon" الفرنسية في الترجمة الدلالية إلى الإنكليزية ينتج عنها "المشي على العشب ممنوع" 'Walking on the turf is forbidden'، في الترجمة التواصلية عادةً ما يتم تقديمها على أنها "ابتعد عن العشب Keep off the grass" وهي الأكثر شيوعاً. وبالمثل، في الترجمة من الألمانية "Frisch angestrichen" هكذا تقرأ في الترجمة الدلالية إلى اللغة الإنكليزية على أنها "طلي حديثاً" بينما في الترجمة التواصلية، تتحول إلى الأكثر سهولة للتعرف عليها: "الطلاء رطب!" (نيومارك، 1981 Newmark).

على الرغم من الاختلاف في استخدام المصطلح والمقاربة، فإنّ فكرة التكافؤ والابتعاد عن التّطابق الوثيق بين النص المصدر والهدف ظلّت قضية ذات أهمية رئيسية لمنظري الترجمة الأوائل. يمكن تفسير ذلك، من ناحية، من خلال أهمية الفكرة في تطوير الترجمة الآلية، ومن ناحية أخرى من خلال الدور الراسخ للترجمة كوسيلة لتعلّم اللغة وتدريسها في سياق تعليمي أوروبي أوسع.

ففي نهاية القرن الثامن عشر، تم اتخاذ طريقة الترجمة النحوية لاستخدامها في التدريس بالمدارس الثانوية في بروسيا (هوات، 1984: 131 Howatt) بناءً على المبادئ المستخدمة لتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية. وعلى الدوام شكّلت الترجمة جزءاً مهماً في دراسة اللغات الكلاسيكية، إذ احتلّت مكانة سامية من حيث الإقبال عليها بوصفها تمريناً تعليمياً. ونظراً لأن

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

التنوعات المنطوقة من اللاتينية واليونانية لم تعد موجودة، كان التركيز الوحيد على أسلوب اللغة مكتوباً، وكان دور الترجمة في كثير من الأحيان هو الفحص الكتابي لاكتساب المفردات التي يقع تعلمها عن طريق حفظ عناصر معجمية جديدة من قوائم الكلمات في اللغة الهدف جنباً إلى جنب مع "مكافئاتها" في اللغة المصدر. عندما استجّدت دراسة اللغات الحديثة لأول مرة في منتصف القرن التاسع عشر كمسعى جاد، فإنّ المكانة السامية التي حظيت بها اليونانية واللاتينية قد حملت على تكرار نمط التدريس. وأنصبّ التركيز على اللغة المكتوبة، وتمّ تعلّم القواعد عن طريق الترجمة من اللغة الأجنبية إليها. أما الترجمة، بوصفها نتيجة، فقد أصبحت مرتبطة بعملية اختبار لمعرفة القواعد والمفردات في اللغة الأجنبية، ونُظر إلى "المكافئات" الموجودة في القواميس وقوائم المفردات بوصفها تشكل الإجابات المرجعية الصحيحة. استناداً إلى نموذج من درسٍ باللغة الفرنسية قام به يوهان فالنتين ميدينجر (1822-1756) Johann Valentin Meidinger، وفيه كان الظهور الأول باللغة الإنكليزية عام 1793 لما يسمى درس الترجمة النحوية التي ابتكرها يوهان كريستيان فيك (1821-1763) Johann Christian Fick (مايدنجر، 1783 Meidenger؛ هوات 1984 Howatt، مالمكجائير Malmkjaer، 1998 b). وفي عام 1858، تمّ تبني نظام للامتحانات العامة، طبّقته كل من جامعتي أكسفورد وكامبريدج، وعُدّ ذلك إقراراً للطريقة التي ظلت المقاربة السائدة لتدريس اللغة الأجنبية في أوروبا من أواخر القرن الثامن عشر حتى ستينيات القرن العشرين. ومع بدء وصول أعداد كبيرة من المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية من جميع أنحاء أوروبا، كانت هناك حاجة إلى المزيد من أساليب المحادثة، وفي التوجيهات الصادرة إلى المعلمين المتعمقين في مبادئ "الطريقة الطبيعية"، استبعد ماكسيميليان بيرلتز (1921-1852) Maximilian Berlitz بشدة استعمال الترجمة في تدريس اللغة (مالمكجائير 1998b: 4 Malmkjaer) وتمّ إحكام الضربة القاضية لطريقة الترجمة النحوية بشكل أكبر من خلال الحاجة، خلال الحرب العالمية الثانية، إلى أن يكتسب جنود الولايات المتحدة الكلام بسرعة لإجادة اللغات الأجنبية، مما ساعد على إحداث تغييرات شاملة في منهجية تدريس اللغة.

..... اللسانيات والترجمة

إن مقارنة الترجمة في سياق تعليمي، من حيث استبدال الكلمات والتراكيب النحوية في اللغة المصدر بمكافئاتها "الصحيحة" في اللغة الهدف، لم يخفق في ترك بصماته على أجيال المترجمين ممن خضعوا بانتظام لهذه العملية. إذ استمر المترجمون يترجمون بالطريقة التي تعلموا بها الترجمة. وفي حالة الترجمة من الفرنسية، غالباً ما كان الإلمام باللغة الفرنسية وثقافتها في أوروبا يسهل عمل المترجم، على حين في الترجمة من اللغات الأخرى، تم تعويض عدم التكافؤ باستعمال الحواشي التفصيلية. كانت هذه، على سبيل المثال، ممارسة مترجم إيبسن Ibsen ويليام آرثر (William Archer) (1856-1924) في الترجمة من النرويجية.

وتعليقاً على ترجمات كاتب مسرحي أوروبي آخر في القرن التاسع عشر، لاحظ الكاتب المسرحي توم ستوبارد Tom Stoppard أن الترجمات الإنكليزية المبكرة لمُصنّف تشيخوف The Seagull تكشف عما يسميه تقريباً "فلسفة" تجاه الترجمة. "إنها دقيقة مثل دفاتر الحساب: كل شيء على الجانب الروسي من السطر يتم حسابه في الجانب الإنكليزي، جملة بجملة. والجميل نفسها [...] تحمل بصدق الأسماء والأفعال والأوصاف" (ستوبارد، 1997: 6 Stoppard).

إضافة إلى تحريفات النص المصدر التي قد تنشأ عن مثل هذا الالتزام الديني المفرط بـ "مبدأ دفتر الحساب" عند ستوبارد، فإنّ المقارنة تجعل المترجم أكثر عرضة لإغراء "الأصدقاء الزائفين"⁽⁵⁾. حيث أدت العوامل التاريخية إلى تدفق الكلمات المستعارة من الفرنسية إلى معجم اللغة الإنكليزية، ذلك لأن "فلسفة" طريقة الترجمة - النحوية لم تساعد المترجم كثيراً في النجاة من المزالق. فعلى سبيل المثال وقع نقل prétendre ('ينظاهر') و luxure ('باهر') إلى الإنكليزية باستعمال "pretend" (زعم) و 'luxury' 'قاره' كما تبدّى ذلك في ترجمات سارتر الإنكليزية في

(5) الأصدقاء الزائفين (بالإنكليزية false friends أو بالفرنسية faux amis): مفهوم شاع في أدبيات الترجمة للإشارة إلى الكلمات التي تتشابه في ظاهرها الشكلي وتختلف في دلالتها أي أنّ بينها "ضرب من الجنس". وأمثلتها في اللغات التي تستخدم الهجاء الأوربي كثيرة لتشابه كتابتها وتقارب أصولها. أما في العربية فيحسن استخدام الفارسية أو الأردية أو الكردية للبحث عن أمثلة: "انقلاب" بالفارسية هو "ثورة" في العربية. فبين الكلمتين العربية والفارسية صداقة زائفة لاتفاق الشكّل واختلاف الدلالة. (المترجم)

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الخمسينيات (ريد، 2000: Reed 1237). إضافة إلى الدور الذي أدته الترجمة في منهجية تدريس اللغة، فقد أدت وظيفة أخرى لعلماء اللغة الأوروبيين المعاصرين الذين اقتفوا خطا دو سوسور. وخلافاً لما في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، تُشكّل المعرفة بأكثر من لغة واحدة شريان الحياة مع العالم الخارجي للعديد من الأمم الأوروبية الأصغر، إذ كانت الدراسات المقارنة فيها للغات الحديثة تقليداً ومساراً متبعاً في الاهتمام الأكاديمي. وفي عام 1926، أسس فيلم ماثيسوس (1882-1946) Vilém Mathesius بالاشتراك مع رومان ياكوبسون ونيكولاي تروبيتسكوي Nikolai Trubetskoy وآخرين حلقة براغ اللغوية التي عدت منشوراتها، ولاسيما Travaux du Cercle linguistique de Prague، (وقائع حلقة براغ اللغوية) من أهم كتابات علم اللغة في تلك الحقبة. وخلافاً لما درج عليه البنيويون الأمريكيون، اتسم نهج مدرسة براغ بمفهوم بناء الجملة المكون من ثلاثة مستويات: امتلاك بنية نحوية، وبنية دلالية، وهيكل لتنظيم الجملة. من خلال التحليل التقابلي، الذي غالباً ما يتخذ شكل الترجمة، تم تحديد الاختلافات فيما يسمى بمنظور الجملة الوظيفي (functional sentence perspective FSP). خذ على سبيل المثال الترجمة بين الألمانية والإنكليزية للجملة Das meine ich ("هذا يعني أنا"). يقع المكون الأول للجملة مُنبَراً باللغة الألمانية مما يقلل احتمال استنساخها على أنها "أعني"؛ بدلاً من ذلك، غالباً ما يحل البناء المشتق من النوع "هذا ما أعنيه" محل المكون الألماني المنبّر في الترجمة إلى الإنكليزية (كيركوود، 1969: Kirkwood 96).

من خلال الدراسات المنهجية المعنية بالأبعاد النصية للمشكلات التقابلية بين اللغات كما تم الكشف عنها باستعمال الترجمة، نجح علماء اللغة في مدرسة براغ في الكشف عن الاختلافات المطردة بين اللغات الأوروبية. وهو ما وقر للمترجم الممارس متكافئاً يمكن على أساسه عرض مشاكل الترجمة والبحث عن خيارات للحلول المناسبة. ويمكن تحليل هذه الخيارات بدورها من وجهة نظر تقييم الترجمات، كما هو الحال في العمل الأحدث للعالم اللغوي المولود في برنو [في التشيك] جان فيرباس Jan Firbas. في دراسته لأربع ترجمات مختلفة من الروسية إلى الهولندية والإنكليزية والفرنسية والألمانية للفقرة الافتتاحية لرواية "الدكتور زيفاجو" لبوريس باسترنك Boris

..... اللّسانيات والترجمة

Pasternak، وقد سمح تطبيق مفهوم منظور الجملة الوظيفي لفيرباس أن يقيم مصداقية الترجمات فيما يتعلق بالغرض التّواصلّي للأصل (فيرباس، 1999). (Firbas 1999).

قد تتخذ العلاقة بين الترجمة واللّسانيات شكلين مختلفين: فعند نايدا وكاتفورد، تعبّر هذه العلاقة عن نفسها في محاولة لصياغة نظريّة لسانية للترجمة. ومع ذلك، قد تتخذ أيضاً الشّكل الأقلّ طموحاً للتفاعل المستمر بين الاثنين، كل منهما تعتمد على نتائج الأخرى، كلّما كان ذلك مفيداً للطرفين. أما فما يخص اللّسانيات، فإنّ هذا التّفاعل يقتضي استعمال الترجمة بوصفها شكلاً من أشكال التحليل التّقابلي كما هو الحال في عمل اللّغويين الذين يتبعون تقاليد مدرسة براغ. ومن ناحية أخرى، فإنّ المكاسب التي حققها منظرو الترجمة كانت غالباً نتائج متمخضة عن البحث الذي أجراه علماء اللّغة المنخرطون في دراسة اللّغة بما فوق مستوى الكلمة والجملة.

جذبت دراسة العوامل التي تؤثر في التّظيم العام للنّص فوق مستوى الجملة اهتمام اللّغويين على نحو متزايد خلال السبعينيّات والثمانينيّات من القرن الماضي. وفي حين أنّ التّطبيق المبكر للنتائج اللّغوية على الترجمة استمد تأثيره من مجال علم الأسلوبية (إنكفيست، 1978، Enkvist)، فإنّ زحماً لاحقاً قد استمد من تحليل الخطاب (حاتم ومامون Hatim & Mason، 1990). ومرة أخرى، عندما بدأ تركيز اهتمام اللّغويين ينصبّ على لسانيات النّص، اقتصى منظرو الترجمة عن كُتب خطاهم، بحثاً عن نماذج جديدة للوصف. في ورقة أُلقيت عام 1981 في مؤتمر الجمعية الدولية للسانيات التطبيقية بعنوان "الترجمة والترجمة الفورية واللّسانيات النّصية" أشار ألبرخت نوبرت Albrecht Neubert إلى ضرورة إيلاء اهتمام وثيق للسمات النّصية المتأصلة في النّص المصدر. "إنه نص مختلف. لقد تمت صياغته في عالم مختلف من الخطاب" (نوبرت 1981: 132 Neubert) ومن ثمة يجب أن يكون المترجم حساساً لنوع الخطاب الذي من المرجح أن يتوقعه قراء اللّغة المستهدفة في ظل ظروف تواصلية مماثلة، وغالباً ما يتم الكشف عنها من خلال المقارنة مع نصوص موازية. وتشكل النّصوص الموازية نصوصاً مساندة قد لا تقارن بها الترجمات في كثير من الأحيان؛ فقانون الطرق السريعة البريطاني له نص مواز بالفرنسيّة يمكن

مقارنته به هو "le code de la route" وبالألمانية، "die Strassenverkehrsordnung"، (نوبرت 1981: 135).

وبعد إرث القرن الماضي ومقارنته القائمة علمياً على دراسة اللغة، شهدت السبعينيات والثمانينيات منه عدداً من منظري الترجمة الألمان يطبقون على الترجمة النظريات القائمة على لسانيات النص. وكان عمل كاتارينا ريس Katharina Reiß ذا تأثير رئيسي مبكراً على أصناف النص فقد استعملت، كنقطة انطلاق، الوظائف الثلاث للعلامة اللغوية عند بوهلر (Bühler 1934) (الإخبارية، والتعبيرية، والعملية، والتي أضيف إليها، ببصيرة نافذة صنف الوسائط السمعية التي يكون فيها التنوع اللفظي أمراً بالغ الأهمية. في حين أن النصوص "الإرشادية" مثل التقارير وأدلة التشغيل تحتاج أن تُترجم بنثر واضح مع تفسيرات في شكل توسعات، إذا لزم الأمر، فإن النص "التعبيري" أساساً مثل قصيدة أو مسرحية يتطلب درجة أكبر من التماثل بين المترجم والمنشئ. في حالة الأصناف المتبقية، تتطلب النصوص الأدائية، مثل تلك المستعملة في الإعلان، ترجمة "تكيفية"، على حين يحتاج مترجم نصوص الوسائط السمعية فقط إلى استكمال ما سبق التعبير عنه باستعمال وسيط آخر (رايس 1976؛ Reiß 1977).

أما مقارنة هاليدي التي تتضمن ثلاث وظائف كبرى لاحتساب المحتوى اللغوي (وظائف فكرية)، والعلاقة بين المتحدث والمخاطب (وظائف بين الأشخاص)، وروابط التناسق اللازمة لتلاحم النص (وظائف نصية) فقد مكن جوليان هوس Juliane House أيضاً من طرح واحد من أولى نماذج تقييم جودة الترجمة، مع التركيز على مقارنة بين نصوص المصدر والهدف لترجمات ألمانية/ إنكليزية سابقة (هوس 1977، 1981).

وقد جرى تأكيد أهمية وظيفة النص المترجم من قبل هانز فيرمير Hans Vermeer، الذي يرى الترجمة بوصفها إجراءً يجب أن يُقرن بهدف مقصود دائماً، وقد استعمل الكلمة اليونانية "skopos": "المقصد". ووفقاً لنظرية "المقصد" عند فيرمير، تُجري الترجمة حتماً لغرض ووضعه الزبون أو المترجمون أنفسهم، وتكون الترجمة مصحوبة دائماً، ضمناً أو صراحةً، بمجموعة من

..... اللسانيات والترجمة

المواصفات حول كيفية ترجمة النص المصدر، سواء كان بحاجة لأن تجري ترجمته بأمانة أو إعادة صياغته أو إعادة تحريره بكماله (فيرمير، 1983، Vermeer 1989). إن الطلب المتزايد من القطاعات الصناعية خلال العقدين الماضيين على الترجمة المهنية قد تبدى أيضاً في تصميم المناهج وبرامج التدريب على الترجمة في أوروبا. وفي نموذج العمل الترجمي الذي طرحه هولز-مانتاري، تشير لجان الترجمة عالية التخصص إلى الحاجة إلى الاهتمام بالأدوار المختلفة للمشاركين في العمل الترجمي. قد يطلب المترجم معلومات فيما يتعلق بنوع النص ونصائح من خبراء في مجال الموضوع إضافة إلى معرفة المستعملين واستعمالات النص المترجم النهائية (هولز-مانتاري 1984 Holz-Mänttari). وتم تأكيد المقاربة الوظيفية بقدر أكبر من قبل كريستيان نورد (1988، 1991، 1997) Christiane Nord التي تشير أيضاً إلى أهمية برنامج تدريب المترجمين على "موجز الترجمة"⁽⁶⁾ والمشكلات الناتجة عن الوظيفة المسندة إلى الترجمة وأهميته التحليل الدقيق لنص المصدر.

مثلاً يمكن توسيع دراسة اللغة إلى ما بعد مستوى الجملة لتشمل التنظيم العام للنص، يمكن توسيعها بقدر أكبر لتأخذ في الاعتبار العوامل غير اللغوية. ففي سبعينيات القرن العشرين، بدأت تظهر المشاريع البحثية التي تهتم بتأثير المتغيرات الاجتماعية على استعمال اللغة. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، استقصى ويليام لابوف (William Labov 1972) لأول مرة أنماط الكلام عند سكان جزيرة مارثا فينيارد Martha's Vineyard، قبالة ساحل نيو إنجلاند، ثم وجه انتباهه إلى نوع مختلف تماماً من التجمعات السكانية.

من دراسة التباين في استعمال المتحدثين للمتغير اللغوي [r]، كان قادراً على تبين ما يربط بين الرفعة والكلام والطبقة الاجتماعية من علاقة في أوساط سكان نيويورك (لابوف، 1972 a Labov). وقد استعملت طريقة لابوف للمقابلات المنظمة أيضاً في دراسة رائدة في المملكة

⁽⁶⁾ موجز الترجمة Translation brief وأحياناً يسمى أيضاً مطلب الترجمة Translation request وهي مجموعة التوجيهات و التعليمات التي يطلب من المترجم الالتزام بها عند الترجمة بناء على سياسة من طلب الترجمة . (المترجم)

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

المتحدة أجراها بيتر ترودج Peter Trudgill، حيث درس التفاعل بين اللغة والبنية الاجتماعية في بلدته الأم نورويتش (Trudgill، 1974). وقد اجتذبت الدراسات المعتمدة على اللسانيات الاجتماعية اهتمام اللغويين بقدر متزايد، وبدأ عدد من مشاريع البحث المنهجية يهدف إلى الكشف عن الأسباب الكامنة وراء التباين في اللغة والتفاعل بين اللغة والمتغيرات مثل الأصل الجغرافي والانتماء إلى الطبقة الاجتماعية للمتحدثين.

واهتم هنري سويت (1845-1912) Henry Sweet اهتماماً علمياً باللغة الإنكليزية المحكية، وهو أول عالم لغوي بريطاني يفعل ذلك، فقد درس المناهج الألمانية في فقه اللغة في جامعة هايدلبرغ قبل أن يعود إلى إنجلترا لدخول كلية باليول أكسفورد. وحين كان طالباً جامعياً، قام سويت بتحقيق ترجمة "الملك ألفرد Alfred لكتاب "الرعاية الأبْرشِيَّة Cura Pastoralis لجمعية النص الإنكليزي المبكر، وقد وضع تعليقه أسس علم اللهجة الإنكليزية القديمة. وفي عام 1877، وجد اهتمام سويت باللغة المحكية وسيلةً للتعبير عند نشر "دليل علم الصوتيات". تبع ذلك في عام 1890 كتاب تمهيدي للغة الإنكليزية المحكية، وهو أول وصف علمي لخطاب متعلمي لندن وتلقى نطقهم. وكان برنارد شو يعرف سويت شخصياً وكان يعتبره رجلاً عبقرياً، وقد كتب تصديراً لـ"بيغماليون Pygmalion"، عبر فيه عن "ازدراؤه الشيطاني لجميع الوجاهات الأكاديمية وبوجه عام الأشخاص الذين تأملوا اللغة اليونانية أكثر من الصوتيات". كان سويت، الذي يشترك في عدد من الخصائص مع العلامة هيغينز Higgins في مسرحية شو، عضواً في حركة الإصلاح في أواخر القرن التاسع عشر التي شددت على أهمية الكلام وعلى مهنية المشافهة في قاعة الدراسة، مما يتعارض مع أسلوب الترجمة النحوي (هوات، 1984؛ Howatt؛ مالمكاير، 1998b Malmkjaer).

كان دانيال جونز قد درس (1881-1967) Daniel Jones تحت إشراف هنري سويت، كما أنه قد قام بتطوير دراسة أصوات الكلام، وترقى ليصبح رئيساً لقسم الصوتيات الأول في بريطانيا العظمى في عام 1912. ثم أصبح مؤثراً في نشر استعمال الأبجدية الصوتية الدولية (IPA)، في جميع أنحاء العالم، وقد وفّرت جهوده آليةً لاستعمال كتابة أصوات الكلام. ومع ذلك، فإن التمييز

..... اللسانيات والترجمة

بين اللغة المكتوبة /المحكّية، والمعياريّة/ اللّهيّة لم يتبدّد دوماً في التّرجمة، وكان وعي منظري التّرجمة بالمشاكل التي تتطوّر عليها التّرجمة العاميّة والفطرية بطيئاً في الظهور. وفي حين أنّه من المرجح أن توجد اللّجات المرتبطة بالطبقة الاجتماعيّة في معظم البيئات الحضرية، مما يسهل نقل لغة عاميّة مثل عامية Eliza Doolittle اللندنية في بيغماليون إلى لغات أخرى، فإنّ مؤلفات كتّاب اللّجات الأوروبيين كانت في كثير من الأحيان أقلّ حظوةً في التّرجمة إلى الإنكليزيّة. فجزء من العمل المكتوب باللّجة الصّقلية للكاتب الإيطالي لويجي بيرانديللو (1862-1946) Luigi Pirandello، الحائز جائزة نوبل للأدب عام 1934، لا يزال غير متاح في ترجمته الإنكليزيّة. كما وقع إلى حد بعيد التماذي في تجاهل التّرجمة إلى الإنكليزيّة للحائز جائزة نوبل عام 1912 غيرهارت هوبتمان (1862-1946) Gerhart Hauptmann. وقد قام بيل فيندلاي Bill Findlay أخيراً بترجمة كتاب The Weavers إلى الأسكتلندية، وكان قد كُتب باللّجة الألمانيّة الشماليّة الشرقية، هي ترجمة تتشابه فيها علاقة اللّغة الإنكليزيّة القياسية بالأسكتلندية إزاء الألمانيّة بالسيليزية. كما نجح فيندلاي أيضاً، جنباً إلى جنب مع المترجم المشارك معه في وقت ما، مارتن بومان Martin Bowman المقيم في كندا، في العثور على صوت إنكليزي للكاتب المسرحي في كيبيك ميشيل تريمبلاي Michel Tremblay الذي يكتب بلغة الجول joul، وهي تسمية مقترنه بنطق كلمة "cheval" بين المتحدثين باللّغة الإنكليزيّة في منطقة قصبة شرق مونتريال. مرة أخرى، يمكن اعتبار أن [اللّغة] الأسكتلندية موجودة إزاء اللّغة الإنكليزيّة القياسية، كما أن "الجول" موجودة إزاء الفرنسيّة المعروفة دولياً. إن التّرجمة في الاتجاه المعاكس، من الأسكتلندية إلى لغة الكييك، قد مكّنت مارتن بومان والكاتب المسرحي من مونتريال وجدي معوض من استعمال الفرنسيّة غير القياسية أيضاً وتكييف رواية إيرفين ويلش Trainspotting للمسرح الناطق بالفرنسيّة (بومان، 2000 Bowman). إضافةً إلى ذلك، أثبتت هذه التّرجمة نجاحها بوصفها وسيلة في نقل أعمال كتّاب أمريكيين مثل تينيسي ويليامز Tennessee Williams وإدوارد ألبّي Edward Albee إلى المسرح الناطق بالفرنسيّة، إضافةً إلى استعمال اللّهيّة القويّة المستعملة

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

في عمل بريشت Brecht "الأم الشّجاعة" وفي لهجة "جان" ضمن عمل سترندبرغ Strindberg "الآنسة جولي" وهي من سائل التّغلب على الفراغ اللّغوي في النّظام المعياري للأدب الفرنسي والتي يجب أن تتصدى لها ترجمة اللّهيّجات الاجتماعيّة إلى الفرنسيّة (Brisset 2000). وفي مناسبات أخرى، شهدت القواعد الإلزاميّة التي فرضتها الأكاديميّة الفرنسيّة [مجمع اللّغة الفرنسيّة] والجريدة الرسميّة، والتي تستبعد استعمال اللّهجّات في الأعمال الأدبيّة، فصول نيويورك المميز هولدن كولفيلد Holden Caulfield في فيلم JD Salinger's The Catcher in the Rye اختفى في التّرجمة إلى اللّغة الفرنسيّة القياسيّة (ميلهاك 2000 Mailhac) أو حين استبدلت اللّهجة الإنكليزيّة الشّماليّة في رواية Kes التي كتبها Barry Hines باللّهجة الفرنسيّة (فاوست، 1998: 120 Fawcett). وفي حالة عدم وجود خيارات محدّدة اجتماعيًّا وجغرافيًّا، قد يقرر المترجم، كملاذ أخير، استعمال لهيجة اجتماعيّة، وهو النّظام اللّغوي الذي يفضلّه المتحدّثون فرادى. على سبيل المثال، في حالة التّرجمة السّويديّة لـ Educating Rita "تربية ريتا" للكاتب المسرحي من ليفربول ويلي راسل Willy Russell، أدّى الفشل في العثور على لهجة ريتا الخاصّة بليفربول أو لهجة اجتماعيّة إلى منح البطلة التي تحمل نفس الاسم لهجة متنوّعة، وهي لغة صنعتها كليّة بنفسها.

إضافةً إلى دراسة اللّغة على النّحو الذي تحدّده العوامل الاجتماعيّة والجغرافيّة، بدأ علماء اللّغة أيضاً النّظر في العوامل الأخرى التي تؤثر في استعمالها. ويحظى حقل التّداوليّة، الذي صار الآن تخصصاً في حدّ ذاته، باهتمام متزايد بين اللّغويين المهتمين بدراسة الأغراض التي تستعمل من أجلها الجمل في ظروف العالم الحقيقي التي يجري التّعبير بها بشكل مناسب. وفي محاولة لوصف التّرجمة من منظور نظريّة عامة للتّواصل البشري، استعمل غوت (1991 Gutt) كمقدمة أساسية له قدرة البشر على استنتاج ما هو المقصود من خلال مبدأ الملاءمة relevance، إضافةً إلى الاستعمال الوصفي للّغة، الذي يقتصر على الكيانات في العالم الحقيقي، فإن الاستعمال التفسيرى للغة يستلزم أيضاً إشارات إلى الأفكار والعمليات العقلية. التّرجمة، وفقاً لغوت، هي مثال على الاستعمال التفسيرى، مقيدة بمبدأ الملاءمة؛ إذ يجب التّعبير

..... اللسانيات والترجمة

عن الترجمة "بطريقة تعطي التفسير المقصود دون دفع الجمهور إلى بذل جهد في المعالجة غير ضروري (غوت 1991: 101-02 Gutt). زد على هذا أنه إضافة إلى محاولة دمج الترجمة في نظرية عامة على النحو الذي اقترحه غوت، حين استعمل إطار عمل له كتاب سبرير Sperber وويلسون Wilson (الملائمة والتواصل والإدراك): Relevance Communication and Cognition، 1986 هناك أيضاً إمكان، كما في فروع أخرى من اللسانيات، أن يمتح منظرو الترجمة أفكارهم من أعمال اللسانيين في حقل التداولية، وعند الاقتضاء، يطبقونها على الترجمة. وقد تنشأ المشاكل، على سبيل المثال، عندما يتم نقل أفعال الكلام في الترجمة مثل: مواقف التقدم بشكوى، أو طلب، أو إبداء اعتذار، أو نداء. ففي حين أن الغرض الوحيد من أي محادثة هو، في ملخص مبادئ غريس (1975) Grice، أن "تكون مختصرة" و"تقول الصدق" و"تكون مناسبة" و"تكون واضحة"، فإن الحاجة للتدخل لإضفاء طابع التحضر غالباً ما تجعل من الضروري إضافة زخرفات مرتبطة بالتقافة. فعند تقديم الشكاوى والطلبات، فإن من المحتمل أن يعبر المتحدثون ببعض اللغات عن استيائهم بشكل مباشر أكثر من المتحدثين باللغة الإنكليزية، كما هو موضح في حالة المتحدثين باللغة الألمانية (هوس وكاسبر 1981 House & Kasper) نظراً لأن عدم المباشرة في اللغة الإنكليزية هي علامة تهذيب مفضلة، فإن السؤال "هل يرغب أي شخص في فنان قهوة آخر؟" الذي تطرحه مضيضة إنكليزية لضيوفها مع اقتراب أمسية اجتماعية على الانتهاء قد لا يكون سؤالاً أكثر من كونه طلباً من الزوار أن ينصرفوا. ومع ذلك، في الترجمة إلى لغة ما باستعمال أنواع أخرى من علامات التأدب، من شأنه تفسير القضية في قيمتها الظاهرة، وتحقيق التأثير النقيض لما هو مقصود، وهذا بدوره يضع المترجم في موقف يضطر فيه إلى النظر في الحاجة إلى تعديلات في الترجمة. إن الوعي بوجود مثل هذه الاختلافات بين اللغات له أهمية خاصة في ترجمة الحوار، الذي غالباً ما يفكر إلى القرائن اللازمة لتفسير الكلام مما يمكن العثور عليه بيسر في النص السردى. وبعد الاعتذار من أفعال الكلام الأخرى التي قد تقتضي بعض الاهتمام في الترجمة، حيث قد تختلف الصيغ المستعملة لإصلاح الموقف الناتج عن انتهاك الأعراف الاجتماعية بين اللغات. وفي اللغة الإنكليزية، كما

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

هو الحال في العديد من اللغات الأخرى، يبدأ كلام الاعتذار عادةً باستعمال فعل أدائي مثل "عفواً، أرجو المعذرة" أو "سامحني" وغالباً ما يتبع ذلك شكل من أشكال التفسير (براون و ليفنسن 1987 Brown & Levinson) ليس من غير المؤلف بالنسبة لمتحدث باللغة الإنكليزية، تأخر عن موعد، أن يقدم اعتذاراً "أرجوك اعذرنني، لكن حركة المرور كانت رهيبة". ومع ذلك، إذا كانت اللغة تتطلب تقليدياً تفسيراً فقط من أجل تلبية مقتضيات التهذيب - كما يبدو الحال في الروسية والعبرية (أهلستين، 1983 Ohlstain) فقد يجد المتحدثون بإحدى هاتين اللغتين اعتذاراتهم تُقبل على مضض، عند وصولهم متأخرين لحضور اجتماع في العالم الناطق باللغة الإنكليزية، إذ يستعملون الجزء الثاني فقط من الصيغة ويعلنون ببساطة "كانت حركة المرور رهيبة".

مجال آخر حديث من اللسانيات، ولكنه سريع النمو قد زوّد بالفعل منظري الترجمة بمعلومات قيمة، وهو مجال لسانيات المدونة. يمكن إرجاع دراسة اللغة على أساس نصوص المدونات إلى نحو عام 1960 مع إطلاق استبيان استعمال اللغة الإنكليزية (SEU) في جامعة لندن وظهور أجهزة الحاسوب التي هيأت إمكان تخزين كميات كبيرة من المواد. إن أول مدونة قابلة للقراءة آلياً أنشئت في جامعة براون في أوائل ستينيات القرن الماضي، وسرعان ما تبتعها مدونات أخرى مثل مدونه لندن-أوسلو/برغن (LOB) /London-Oslo. بالاستفادة من نقاط القوة المتضافرة لمدونتي براون واستبيان استعمال اللغة الإنكليزية SEU، بدءاً من عام 1975، جعل يان سفارتفيك Jan Svartvik وزملاؤه في جامعة لوند Lund في السويد النصوص المنطوقة غير المكتوبة لمدونة استبيان استعمال اللغة الإنكليزية قابلة للقراءة آلياً. نتج عن ذلك إنشاء مدونة لندن-لوند (London-Lund Corpus LLC)، وهي مورد لا مثيل له لدراسة اللغة الإنكليزية المحكية. ربما بدت مدونة براون ومدونة لندن-أوسلو/برغن LOB شاسعتين في ذلك الوقت، فقد تم تجاوز حجمهما بسهولة باعتبارهما مملوءتين بكميات من النصوص المقروءة آلياً متاحة كمنتج ثانوي لأنظمة الاتصالات الإلكترونية الحديثة. ومنذ بدايتها في ستينيات القرن العشرين، أصبحت المدونة بوصفها مصدراً للبيانات القابلة للاسترجاع بشكل منهجي، وبوصفها قاعدة اختبار

..... اللسانيات والترجمة

للفرضيات، محل استعمال واسع النطاق من قبل اللغويين، مما أدى إلى نتائج ينطوي بعضها على آثار واضحة بشأن الترجمة. باستعمال مدونة تتكون من 75 رواية نُشرت في 1967-1977، كان نصفها روايات مكتوبة في الأصل باللغة السويدية ونصفها كانت ترجمات، قارن مارتن جيلرستام Martin Gellerstam من جامعة غوتنبيرغ بشكل منهجي النصوص الأصلية بالنصوص المترجمة. وتشير دراسته المبكرة لعام 1986 إضافة إلى الدراسات اللاحقة (Gellerstam، 1996، 2005) بشكل مباشر إلى تأثير ترجمة المصدر في النص الهدف، وتكشف أيضاً عن الاختلافات اللغوية التي لم تلاحظ سابقاً بين اللغتين المعنيتين في عملية الترجمة. وفي دراسة أخرى مبكرة لإحدى المدونات عن تأثير اللغة الإنكليزية في الانتقاء المعجمي في اللغة الدنماركية تأكيد النتائج التي توصل إليها جيلرستام، فقد أظهرت أساليب الإنشاء، التي يجري عادة التعبير بها في العديد من اللغات الجرمانية باستعمال أدوات التعبير الإنشائي (مثل 'jo' و 'vel' في الدنماركية)، أنها قد مثلت إلى حد بعيد تمثيلاً ناقصاً في نصوص الترجمة.

وبدلاً من ذلك، ظهرت تركيبات فعل شروط متأثرة بالإنكليزية مثل "أنا أفترض" أو "أنا أقدر"، مما أدى غالباً إلى ركافة ملحوظة في الأسلوب (ياكوبسون، 1986 Jakobsen). وفي الآونة الأخيرة، قامت مدونات الترجمة بالنظر والتحقيق في مصير نوع آخر من الأدوات particles في الترجمة، ما يسمى بأدوات الخطاب مثل "أوه" و "حسناً" و "الآن"، والتي تنحو نحو التعبير عن المواقف العاطفية وتسهم في تماسك الكلام. في الترجمة إلى لغات أخرى، يجري نقل أدوات الخطاب هذه في كثير من الأحيان بعدة طرق مختلفة، كما أن توفر مدونات الترجمة يجعل من الممكن الآن دراسة الأسباب الدلالية والسياقية الكامنة وراء اختيار المترجم، كما أوضح ذلك أيمر Aijmer بالاعتماد على مدونة نصوص اللغة الإنكليزية/السويدية المتوازنة. تشمل أزواج اللغات الأخرى التي تم تجميع مجموعات نصية متوازنة من أجلها الإنكليزية/الفرنسية، والإنكليزية/الإيطالية، والإنكليزية/النرويجية، والإنكليزية/الألمانية.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

لا يقتصر الأمر على أنّ منظري الترجمة يقتفون خطا علماء اللّغة فقط لأنّ مجالات البحث الجديدة مثل التّداوليّة ولسانيّات المدوّنة أصبحت محور اهتمام بحثي جديد، كما يجري أيضاً إعادة النّظر في المفاهيم الرّاسخة في اللّسانيّات وتقديمها من جديد لمنح نظريّة التّرجمة أدوات مفاهيميّة. ففي أواخر السبعينيّات من القرن العشرين، قدم جدعون توري Gideon Toury مفهوم المعايير من أجل تفسير خيارات التّرجمة التي يفضّلها المترجمون في وقت معين في بيئة اجتماعيّة وثقافيّة معيّنة (توري، 1978، 1980) فقد أظهرت مجموعة من ثلاث ترجمات إلى العبريّة لكتاب أرنست همنغواي "قصة ثلاثة قتلة" أنّ القراء يمتلكون وعياً بديهيّاً بالترتيب الزّمني للتّرجمات، وأنّ نتيجة اختلاف التّرجمات هي محصلة المعايير السّائدة في وقت معين (توري، 1999). ويُنظر إلى مفهوم توري للمعايير على أنه يمثل مستوًى متداخلاً بين "الكفاءة والأداء بمصطلحات نعوم تشومسكي" أو "اللّغة والكلام المشروط في مصطلحات فرديناند دو سوسور" مما يجعل من الممكن وفقاً لمنى بيكر "التحقّق والنظر فيما هو نموذجي وليس مجرد ما هو كائن أو ما يمكن أن يكون" (بيكر 1998: 164). ثمة تطور آخر في نظرية التّرجمة، يذكرنا بما كان يمثل في وقت من الأوقات خروجاً عن المقاربات السابقة في البحث اللغوي والموجهة نحو المنتج، - هذا التطور هو ما نجده في طريقة التفكير بصوت عالٍ 'think-aloud' والتي تشترك مع لسانيّات تشومسكي في التركيز على الاستبطان والاعتماد على المعرفة البديهية للمتحدثين حول لغتهم. وقد برزت هذه المقاربة للعيان أول مرة في الثمانينيّات من القرن الماضي عندما بدأ استعمال الأساليب التجريبية المستمدة من علم النفس من أجل تفحص ما يجري في عقل المترجم أثناء عملية التّرجمة. تمت دعوة المترجمين للتعبير اللفظي عن أفكارهم أثناء قيامهم بالتّرجمة، ثم تمت دراسة بروتوكولات التفكير بصوت عالٍ (TAPs) بهدف الكشف عن كيفية قيام المترجمين بمهمتهم (يأسكالينر 1998 Jääskeläinen).

منذ الوقت الذي توقفت فيه الملاحظات بشأن التّرجمة اعتماداً على اللّسانيّات بوصف اللّسانيّات تقع خارج التّرجمة وتتكلم على الطّرائف، يُلاحظ أنّها قدّمت حافزاً لمنظري التّرجمة لتطبيق نتائجهم على التّرجمة. عندما أعلن جوزيف جرينبيرج Joseph Greenberg، في عام

..... اللسانيات والترجمة

1963، عن النتائج التي توصل إليها والتي تفيد بأنه على الرغم من أن الغالبية العظمى من اللغات قد تحتوي على تنوعات في نظم ترتيب الكلمات، فإنها جميعاً لها نظام واحد مهيمن، أصبحت ملاحظاته بمثابة دعوة واضحة للعلماء الذين بدؤوا الآن في ترتيب اللغات وفقاً للصنف. نتيجة لذلك، نجحت النتائج المتأتية عن البحث في التصنيف على مر السنين في استكمال المعرفة حول اللغات، وهي المعرفة التي كانت متاحة سابقاً عن طريق تصنيف اللغات بحسب الأسر. ونتيجة للعمل المستمر في التصنيف، فإن طريقة فيناي ودارلنل التي قدحت الحاجة إلى "chassé-croisé" "تبادل المواضع" في الترجمة بين الإنكليزية والفرنسية، أصبحت معروفة الآن بأنها تحويل يجب تطبيقه ليس فقط بين الإنكليزية والفرنسية، ولكن كذلك في الإسبانية والإيطالية وجميع اللغات التي تنتمي إلى أسرة اللغات الرومانسية (تالمي 1985: 62).

كما تم تطوير العمل اللغوي المبكر في نظرية الترجمة من أجل تلبية مجموعات جديدة من الاهتمامات والظروف. مع ازدياد تبوء اللغة الإنكليزية في دورها كلغة عالمية ولغة مشتركة في أوربا، يتجه انتباه منظري الترجمة بشكل متزايد نحو تأثيرها في اللغات الأوروبية الأخرى. ونتيجة لذلك، تم أخيراً تعديل الإطار اللغوي الذي استعملته جوليان هوس لتقييم جودة الترجمة أخيراً لتطبيقه من أجل التحقق في تأثير اللغة الإنكليزية من خلال الترجمة وإنتاج النصوص على الألمانية والفرنسية والإسبانية (هوس 2003).

عند مراجعة كتاب تشومسكي "آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل"⁽⁷⁾ (2000) Chomsky's New Horizons in the Study of Language and Mind، يتضح أن الافتقار إلى التقدم في البحث عن مجموعة القواعد الفطرية للنحو العام (UG) يُعزى إلى حقيقة أن "التعقيد المطلق لمختلف قواعد المنظومات التي تختص بها مختلف اللغات يجعل من العسير الإحاطة بها عن طريق فكرة أنها جميعها في حقيقة الأمر تنوعات أساسها مجموعة تحتية واحدة من قواعد النحو

(7) ترجمه إلى العربية حمزة بن قبالن المزيبي ونشر في طبعة أولى عام 2009 عن دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سورية، كما صدر في طبعة ثانية عن المركز القومي للترجمة في مصر، 2015. (المترجم)

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

العام UG" (سيرل، 2002 Searle). وفي بحثهم عن المشتركات الكونية، أخذ منظرو الترجمة في القرن الحادي والعشرين يقتفون الآن الخطا التي سلكها اللغويون من قبل. فاعتماداً على التحليلات النّقابليّة للترجمات ونصوصها في المصدر، هناك عدد من السمات التي عُدتّ مشتركةً بين جميع اللّغات وتعلو الأصوات الآن لوضعها مشتركات كونية.

مع وجود سمة لغوية مثل "التوزيع المميز للعناصر المعجمية" بين ما يحتمل ترشيحه من المصطلحات (Sara Laviosa-Braithwaite، 1998: 288) يبدو أنّه سيغدو لدى منظري الترجمة الكثير لينشغلوا به في المستقبل المنظور. وفي بحثهم عن المشتركات الكونية، وهي المهمة التي واجهها مُبكرًا علماء التّصنيف في معالجتهم للمشكلة التي يفرضها تعقيد اللّغات متعدّدة التّركيبات، بدا ذلك أقلّ صعوبةً عليهم بسبب إلمامهم باللّغات الأمريكيّة الأصليّة. إنّ التّحدي الذي يواجه منظري الترجمة المعاصرين إزاء شعب الإنويت Inuit، وهي لغة أخرى تترجم فيها sikursuarsiurpugut إلى الإنكليزيّة على أنّها "نحن نبحر عبر الجليد الكبير" -هو تحد لا يمكن وصفه إلا بأنه صعب المراس.

كما لاحظ اللّغوي الأمريكي دوايت بولنجر Dwight Bolinger: يمكن النّظر إلى الترجمة هُلامياً على أنّها نقل لنص من لغة إلى أخرى. هذه هي الترجمة من وجهة نظر الكلام: النّص، فعل الكلام أو الكتابة هو الشيء. أو يمكن النّظر إليها بوصفها مقارنة منهجية بين لغتين: هذه هي الترجمة من وجهة نظر اللّغة. (بولنجر، 1965/66: 130 Bolinger).

وبالنّظر إلى هذه العلاقة المتوطّدة والمتبادلة بين الترجمة واللّسانيات، تبدو اللّسانيات على استعداد للاستمرار في إمداد منظري الترجمة بسبل بحثٍ جديدة لاستكشاف وإحراز المزيد من النّقد في علم الترجمة، على حين في الدّراسة النّقابليّة للّغات، سيكون للترجمة دورٌ تقوم به أيضاً في مساعدة اللّسانيين في بحثهم عن الميزات المشتركة وأوجه التّشابه بين اللّغات.

المراجع

- Aitchison, J. (1996) *The Seeds of Speech: Language Origin and Evolution*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Baker, M. (1998) (ed.) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*. London: Routledge.
- Bloomfield, L. (1933) *Language*. New York: Henry Holt and Company.
- Bolinger, D. (1965/66) *Transmutation: Structural translation*. *Acta Linguistica Hafniensia* 9, 130–44.
- Bowman, M. (2000) *Scottish horses and Montreal trains: The translation of vernacular to vernacular*. In C-A. Upton (ed.) *Moving Target: Theatre Translation and Cultural Relocation* (pp. 25–33). Manchester: St. Jerome.
- Brisset, A. (2000) *The search for a native language: Translation and cultural identity*. In L. Venuti (ed.) *The Translation Studies Reader* (pp. 343–75). London: Routledge.
- Brown, P. and Levinson, S.C. (1987) *Politeness: Some Universals in Language Usage*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Bühler, K. (1934) *Die Sprachtheorie*. Jena: Gustav Fischer.
- Catford, J.C. (1965) *A Linguistic Theory of Translation: An Essay in Applied Linguistics*. London: Oxford University Press.

- Chomsky, N. (1957) Syntactic Structures. The Hague: Mouton.
- Chomsky, N. (1965) Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge, MA: MIT Press.
- Chomsky, N. (2000) New Horizons in the Study of Language and Mind. Cambridge: Cambridge University Press.
- Enkvist, N.E. (1978) Contrastive text linguistics and translation. In L. Gähs, G.
- Korlén and B. Malmberg (eds) Theory and Practice of Translation (pp. 169–88).
- Bern: Peter Lang.
- Fawcett, P. (1998) Linguistic approaches. In M. Baker (ed.) Routledge Encyclopedia of Translation Studies (pp. 120–26). London: Routledge.
- Firbas, J. (1999) Translating the introductory paragraph of Boris Pasternak's Doctor Zhivago: A case study in functional sentence perspective. In G. Anderman and G. Rogers (eds) Word, Text, Translation (pp. 129–41). Clevedon: Multilingual Matters.
- Gellerstam, M. (1986) Translationese in Swedish novels translated from English. In L. Wollin and H Lindquist (eds) Translation Studies in Scandinavia (pp. 88–95). Proceedings from the Scandinavian Symposium on Translation Theory. SSOTT II, Lund 14–15 June 1985. Lund: CWK Gleerup.
- Gellerstam, M. (1996) Translations as a source for cross-linguistic studies. In K. Aijmer, B. Altenberg and M. Johansson (eds) Languages in Contrast (pp. 53–63). Papers from a symposium on Text-based Cross-linguistic Studies, Lund 4–5 March 1994. Lund: Lund University Press.

- Gellerstam, M. (2005) Fingerprints in translation. In G. Anderman and M. Rogers (eds) In and Out of English: Translating into L1 and L2. Clevedon: Multilingual Matters.
- Gutt, E-A. (1991) Translation and Relevance: Cognition and Context. Oxford: Blackwell.
- Hatim, B. and Mason, I. (1990) Discourse and the Translator. London: Longman.
- Holz-Mänttari, J. (1984) Translatorisches Handeln: Theorie und Methode. Helsinki: Academia Scientiarum Fennica.
- House, J. (1977) A model for assessing translation quality. Meta 22 (2), 103–9.
- House, J. (1981) A Model for Translation Quality Assessment. Tübingen: Gunter Narr. House, J. (2003) English as lingua franca and its influence on discourse norms in other languages. In G. Anderman and M. Rogers (eds) Translation Today: Trends and Perspectives. (pp. 168–180) Clevedon: Multilingual Matters.
- House, J. and Kasper, G. (1981) Politeness markers in English and German. In F. Coulmas (ed.) Conversational Routine (pp. 157–85). The Hague: Mouton.
- Howatt, A. (1984) A History of English Language Teaching. Oxford: Oxford University Press.
- Jääskeläinen, R. (1998) Think-aloud protocols. In M. Baker (ed.) Routledge Encyclopedia of Translation Studies (pp. 265–69). London: Routledge.
- Jakobsen, A.L. (1986) Lexical selection and creation in English. In I. Lindblad and M.

- Ljung (eds) Proceedings from the Third Nordic Conference for English Studies (pp.
- 101–12). Stockholm: Almquist and Wiksell.
- Jones, W., Sir (1970) The Letters of Sir William Jones (G.H. Cannon, ed.). Oxford: Clar-endon Press.
- Kenny, D. (1998) Equivalence. In M. Baker (ed.) Routledge Encyclopedia of Translation Studies (pp. 77–80). London: Routledge.
- Kirkwood, H. (1969) Aspects of word order and its communicative function in English and German. Journal of Linguistics 5, 85–107.
- Klaudy, K. (1998) Explicitation. In M. Baker (ed.) Routledge Encyclopedia of Transla-tion Studies (pp. 80–4). London: Routledge.
- Koller, W. (1989) Equivalence in translation theory. In A. Chesterman (ed.) Readings in Translation Theory (pp. 99–104). Helsinki: Oy Finn Lectura Ab.
- Labov, W. (1972a) Language in the Inner City. Oxford: Blackwell.
- Labov, W. (1972b) Sociolinguistic Patterns. Oxford: Blackwell.
- Laviosa-Braithwaite, S. (1998) Universals of translation. In M. Baker (ed.) Routledge Encyclopedia of Translation Studies (pp. 288–91). London: Routledge.
- Mailhac, J.P. (2000) Levels of speech and grammar when translating between English and French. In C. Schäffner and B. Adab (eds) Developing Translation Competence (pp. 33–50). Amsterdam: John Benjamins.
- Malmkjaer, K. (1998a) Analytical philosophy and translation. In M. Baker (ed.) Routledge Encyclopedia of Translation Studies (pp. 8–13). London: Routledge.
- Malmkjær, K. (1998b) Introduction. In K. Malmkjær (ed.) Translation and Language Teaching (pp. 1–11). Manchester: St Jerome.

- Meidinger, J.V. (1783) Praktische französische Grammatik. Erlangen.
- Neubert, Albert (1981) Translation, interpreting and text linguistics. In B. Sigurd and J. Svartvik (eds) AILA 81 Proceedings: Lectures Studia. Linguistica 35, 130–145.
- Newmark, P. (1981) Approaches to Translation. Oxford: Pergamon Press.
- Nida, E. (1964) Towards a Science of Translating. Leiden: Brill
- Nida, E. and Taber, C. (1969) The Theory and Practice of Translating. Leiden: Brill.
- Nord, C. (1988) Textanalyse und Übersetzen: Theoretische Grundlagen, Methode und didaktische Anwendung einer übersetzungsrelevanten Textanalyse. Heidelberg: Groos.
- Nord, C. (1991) Text Analysis in Translation: Theory, Methodology and Didactic Application of a Model for Translation-Oriented Text Analysis. Amsterdam: Rodopi.
- Nord, C. (1997) Translating as a Purposeful Activity: Functionalist Approaches Explained. Manchester: St Jerome.
- Olshtain, E. (1983) Sociocultural competence and language transfer: The case of apology. In S. Gass and L. Selinker (eds) Language Transfer in Language Learning (pp. 232–49). Rowley, MA: Newbury House.
- Reed, P. (2000) Jean-Paul Sartre 1905–1980. In O. Classe (ed.) Encyclopedia of Literary Translation into English (Vol. 2: pp. 1234–7). London: Fitzroy Dearborn.
- Reiß, K. (1976) Texttyp und Übersetzungsmethode Der operative Text. Kronberg:
- Scriptor Verlag.
- Reiß, K. (1977) Texttypen, Übersetzungstypen und die Beurteilung von Übersetzungen. Lebende Sprachen 22 (3), 97–100.

- Sperber, D. and Wilson, D. (1986) *Relevance: Communication and Cognition*. Oxford: Blackwell.
 - Stoppard, T. (1997) *Anton Chekhov: The Seagull*. London: Faber and Faber.
 - Toury, G. (1978) The nature and role of norms in literary translation. In J. Holmes, J. Lambert, R. Van den Broeck (eds) *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies*. Leuven: ACCO.
 - Toury, G. (1980) *In Search of a Theory of Translation*. Tel Aviv: Porter Institute.
 - Toury, G. (1999) A handful of paragraphs on ‘translation’ and ‘norms’. In C. Schäffner (ed.) *Translation and Norms* (pp. 9–31). Clevedon: Multilingual Matters.
 - Vermeer, H.J. (1983) *Aufsätze zur Translationstheorie*. Heidelberg: Groos.
- Vermeer, H.J. (1989) Skopos and commission in translational action. In A. Chesterman (ed.) *Readings in Translation Theory* (pp. 173–87).

من بحوث التعليم

بحث في اللغة العربية والذكاء الصناعي

أ. د. محمود أحمد السيد

رئيس هيئة الموسوعة العربية بدمشق

الجمهورية العربية السورية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية، ومسوغات اعتماد العربية لغة عالمية، وحال اللغة العربية في عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا)، ثم نقف على ماهية الذكاء الصناعي في المجال اللغوي مفهوماً وتاريخاً وأنواعاً ومجالات وتطبيقات، ونتعرف إيجابياته وسلبياته في الوقت نفسه، وتبيان مستقبله.

أولاً- مناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية

غني عن البيان أن الأمم المتحدة قررت عام 2010 الاحتفال بلغات أعضائها الرسمية، واللغات المعتمدة في الأمم المتحدة هي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية والعربية، وقد حددت لكل منها موعداً للاحتفال العالمي باللغة فيه، فجاء موعد الاحتفال باللغة الفرنسية في 20 آذار من كل عام، وموعد الاحتفال باللغة الإنجليزية في 23 نيسان، والروسية في 6 حزيران، والإسبانية في 12 تشرين الأول، والصينية في 12 تشرين الثاني، والعربية في 18 كانون الأول.

ووقع الاختيار على يوم 18 كانون الأول يوماً عالمياً للغة العربية، لأنه تاريخ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المتخذ عام 1973 بأن تكون اللغة العربية لغة رسمية سادسة

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

في الأمم المتحدة، فجرى اعتماد هذا التاريخ يوماً عالمياً للاحتفال باللغة العربية كل عام. وأعلنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) أن الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية عام 2019 مخصص لبحث «موضوع اللغة العربية والذكاء الصناعي» من حيث تأثير الذكاء الصناعي في صون اللغة العربية، وحوسبة اللغة العربية، ورهان المستقبل العربي، وكانت اليونسكو قد أقامت أول احتفال باليوم العالمي للغة العربية عام 2012، ودعت فيه إلى الترويج الرسمي والأممي للغة العربية في هذا اليوم المخصص فيه للاحتفال.

ثانياً- مسوغات اعتبار اللغة العربية لغة عالمية

من معايير اعتبار اللغة لغة عالمية عدد المتكلمين بها، ويزيد عدد المتكلمين باللغة العربية على 430 أربعمئة وثلاثين مليوناً، كما أن عدد سكان العالم الإسلامي يصل إلى مليار ونصف تحتم عليهم صلاتهم استعمال بعض المفردات والجمل باللغة العربية، مما يدعوهم إلى الإقبال على تعلم العربية والإلمام بها، كما أن كثيراً من الشعائر الكنسية المسيحية تؤدي باللغة العربية.⁽¹⁾

ومن أشهر الإحصاءات العالمية كتاب «حقائق العالم» في أمريكا، أشارت الإحصاءات فيه إلى عشر لغات في العالم، هي الأكثر انتشاراً من حيث عدد المتكلمين بها، ونسبتهم من عدد سكان العالم، وقد رتبت ترتيباً تنازلياً على النحو الآتي:⁽²⁾

- المرتبة الأولى: اللغة الإنجليزية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 25%.
- المرتبة الثانية: اللغة الصينية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 18.05%.
- المرتبة الثالثة: اللغة الهندية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 11.51%.
- المرتبة الرابعة: اللغة العربية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 6.60%.
- المرتبة الخامسة: اللغة الإسبانية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 6.25%.

(1) الدكتور محمود أحمد السيد -قضايا راهنة للغة العربية- منشورات وزارة الثقافة السورية- 2016 ص34.

(2) المرجع السابق ص35.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

- المرتبة السادسة: اللغة الروسية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 3.95 %.
- المرتبة السابعة: اللغة البرتغالية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 3.26 %.
- المرتبة الثامنة: اللغة البنغالية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 3.19 %.
- المرتبة التاسعة: اللغة الفرنسية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 3.05 %.
- المرتبة العاشرة: اللغة الألمانية، ونسبة عدد المتكلمين بها في العالم 2.77 %.

ومن معايير عالمية اللغة أيضاً إلى جانب عدد المتكلمين بها معيار عدد البلدان التي تعتمد لغة رسمية، وإذا كانت العربية قد جاءت في المرتبة الرابعة على الصعيد العالمي من حيث عدد المتكلمين بها، فإنها جاءت في المرتبة الثالثة من حيث عدد البلدان التي تعدها لغة رسمية بعد الإنجليزية والفرنسية، فعلى الصعيد العالمي 45 دولة تستخدم الإنجليزية لغة رسمية، و30 دولة تستخدم الفرنسية، و25 دولة تستخدم العربية، ويضاف إلى ذلك كله أن العربية منتشرة في أكثر من قارة، إذ إن ثلث سكان القارة الإفريقية يتكلمون بالعربية، إلى جانب انتشارها في آسيا، وتعد الأولى في دول البحر المتوسط.

كما أن اللغة العربية أسهمت أيما إسهام في مسيرة الحضارة البشرية، وها هي ذي منظمة اليونسكو تشير إلى الدور الريادي للغة العربية في نقل المعارف والعلوم إلى أوروبا والعالم، وتؤكد أن العربية لم تكن حافزاً إلى إنتاج المعارف وحسب، بل ساعدت في نقل العلوم والمعارف والفلسفات اليونانية والرومانية إلى القارة الأوروبية في عصر النهضة.

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن العربية تتقدم على جميع لغات العالم في عدد مفرداتها التي تجاوز الاثني عشر مليوناً، ولا يمكننا أن ننسى أنها لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آية لنبوته، وتأبيداً لدعوته، ودستوراً لأمته.

ثالثاً - اللغة العربية والتقانة

على الرغم من أن اللغة العربية لغة عالمية، وهي من بين اللغات الأكثر استخداماً، فإنها الأقل استخداماً في التقانة، إذ لم تعد معالجة اللغة العربية بوسائل التقانة أمراً ثانوياً، بل هو أمر

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

في غاية الأهمية، وعليه يعتمد مستقبل اللغة، ومكانة العرب في الحضارة الحالية، بل ومستقبلهم الاقتصادي والعلمي. ومن هنا كانت التقانة اللغوية تدرس اللغة الطبيعية دراسة علمية من منظور حاسوبي يحاكي نظام عمل الدماغ البشري، ومحاولة تفسير كيفية اشتغال الذهن البشري في تعامله مع اللغة معرفة واكتساباً واستعمالاً، وبات من الضروري الاهتمام ببناء التقانة اللغوية لأسباب كثيرة من أهمها نشر المعارف اللغوية بأنواعها وتيسير الوصول إليها، وتسهيل عملية التواصل المعرفي والبناء العلمي للمعارف والنظريات اللغوية بين المشتغلين بالعربية، على أن يعمل على تطوير المنجزات المتحققة، ومن أهمها: برامج التوثيق، ووسائل حفظ المعلومات وتصنيفها، وصناعة المعاجم الإلكترونية، والترجمات الآلية، ونقل المحتوى العلمي، وبرامج تعلم العربية للناطقين بغيرها، والمدقق اللغوي إملاءً ونحواً، والتعرف البصري على الحروف.(3)

ويضاف إلى ذلك كله تفعيل التخطيط اللغوي من خلال إصلاح بنية اللغة وأصواتها ووظائفها وتقنين الكتابة وقواعدها وحماية مفردات اللغة وتحديثها، ودعم التواصل مع المجتمعات الناطقة بها، كما يمكن دعم السياسة اللغوية من خلال القرارات المتخذة في مجمل العلاقات بين اللغة والحياة.(4)

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن لمجتمعنا العربي أن يفتح على الثقافات والعلوم المختلفة، ويواكب روح العصر من تقنين النشر الإلكتروني باللغة العربية، ودعم البحث والابتكار لتشكيل لغة الحوار المعرفي، والتطبيقات اللغوية الإدراكية المعتمدة على المعالجات الحاسوبية، وعلم الذكاء الاصطناعي من أجل إنتاج المعرفة باللغة العربية في الوطن العربي، ومن هنا كان التمثيل المعرفي للغة العربية، وقد بنيت أساسياته باستخدام مفاهيم علم الذكاء الصناعي، ويعتمد على:(5)

(3) عبد الرحمن أبو الجدايل - مستقبل اللغة بين الذكاء البشري والاصطناعي - مجلة القافلة - جدة - نوفمبر - ديسمبر 2019 ص2.

(4) المرجع السابق.

(5) فاطمة عبد الرحمن باعثان - الذكاء الاصطناعي في خدمة اللغة العربية مجالات ومسارات - دنيا الوطن - رام الله - 2016 ص1.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

1. الترميز .
2. التوليد والتصنيف .
3. الربط والهيكلية .
4. الاختيار الأمثل .
5. التطابق والتحقق .
6. الاكتشاف .
7. التصميم والتطوير .
8. التطبيق والدمج الزمني .

فتطوير اللغة العربية يعتمد على منهج التعلم بالتحليل والتركيب، وأهمية التصميم، ودراسة الأنماط السلوكية لإنتاج نظم ذكية، وتوظيف التقنية لخدمة العربية، وإنتاج التطبيقات في ضوء المتغيرات العالمية الملحة للتوجه نحو دعم الهوية، ومواكبة التطورات العالمية.

وتجدر الإشارة إلى أن اقتصاد المعرفة في عالمنا المعاصر يركز على الرأسمال البشري وقوامه التركيز على العلم والتقانة بغية بناء جيل قادر على التفكير والإبداع، ونحن العرب لا ننتج معرفة، وأن ثمة ضرورة لمواكبة التقنية واستنباتها عربياً، إذ إننا في الدول العربية مستهلكون للتقانة، ولسنا منتجين لها لا بل نحن غائبون عنها، حالياً، إذ يقال حالياً إن ثمة 31 مليار حاسوب مرتبط بالشابكة (الإنترنت)، وسيصل هذا الرقم إلى 75 ملياراً عام 2025، فالتسارع ضخّم في عالم التقنية، وإن علينا السعي إلى تطوير التقنية لتحاكي السلوك البشري من حيث التعرف على الأفراد عن بعد وتعرّف سمات الوجوه، وأسراب الطائرات دون طيار، والتشخيص عبر الشبكة، ومعالجة المرضى، وتعرف الأشكال والصور والمواقع والتنقيب عن المعادن، والإبحار في المحيطات، والتحكم الآلي...الخ.

والصراع بين أمريكا والصين يدور في بعض جوانبه حول امتلاك التقنية المتطورة، والتغلب على الأزمات، إذ استطاعت الصين أن تسيطر على جائحة الكورونا بفضل البيانات الضخمة

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

التي امتلكتها، وأصبحت ترسل مساعدات إلى الدول الأخرى باستخدام الذكاء الصناعي في تحليل البيانات الضخمة للوقاية والعلاج ومتابعة الحالات، كما أن الصين تجاوزت أمريكا في عدد براءات الاختراع المسجلة.

وتعد وسائل التواصل الاجتماعي مصدراً للبيانات الرقمية لتحليلها بعد ذلك، وتساعد عملية التحليل على فهم العمليات، وتغدو مصدراً لصناعة القرار، إذ إن تحليل المعطيات "الداتا" وصولاً إلى رسم التوقعات هو الهدف من التحليل، على أن تكون البيانات والمعطيات دقيقة وأمينه، ذلك لأن التلاعب بالبيانات يؤدي إلى نتائج غير واقعية وغير صادقة.

وإن أجهزة الحاسوب تتعلم اللغات من خلال الإحصاءات، ومن أجل ترجمة لغة إلى أخرى يجمع الحاسوب ملايين أو مليارات الجمل التي تحمل المعنى ذاته بكلتا اللغتين المختلفتين، وكلما زاد عدد البيانات المجمعة كانت أكثر دقة، وتعد البيانات أهم عنصر عندما يتعلق الأمر بتلقيح اللغات لجهاز الحاسوب.

ويجيء الذكاء الصناعي في سلم أولويات النقانة، وقد تكونت حقول جديدة تحت مظلة هذا الذكاء الصناعي، كان من أهمها حقل معالجة اللغات الطبيعية، وقد تطور هذا الحقل ليشمل العديد من جوانب معالجة هذه اللغات من نواحي الكتابة وتصحيح الإملاء والقواعد والصرف والمعاني والترجمة وحتى البلاغة والشعر. ونظراً لأهمية الذكاء الصناعي في حياتنا المعاصرة، وفي مستقبل البشرية كان لا بدّ من الوقوف على جوانبه على النحو المبين فيما يأتي:

رابعاً - الذكاء الصناعي

لم يكن الذكاء الصناعي من قبل إلا ضرباً من الخيال العلمي المتمثل في أن آلات يمكنها أن تتحدث، وآلات يمكنها أن تفكر، وآلات يمكنها أن تشعر، وقد تمكن العلماء حديثاً من تحقيق خطوات واسعة مع الجزأين الأول والثاني. أما الجزء الأخير (الشعور) فربما يكون مستحيلاً دون أن يثير جدلاً واسعاً بشأن وجود الوعي، فما مفهوم الذكاء الصناعي؟ ومتى بدأ تعرّفه؟ وما أنواعه؟ وما مجالاته؟ وما تطبيقاته؟ وما إيجابياته وسلبياته؟ وما مستقبله؟

نحاول فيما يلي الإجابة عن هذه الأسئلة.

أ- مفهوم الذكاء الصناعي: الذكاء الصناعي Artificial Intelligence هو علم يدرس المعاني والمفاهيم والطرائق التي تجعل الآلات ذكية، ويهتم بدراسة السلوك الذكي للإنسان «المحاكاة أو الأعمال التي نصفها بالذكية» بغية نمذجة هذا السلوك أو محاكاته آلياً.⁽⁶⁾

ويشار إلى الذكاء الصناعي اختصاراً بـ «AI»، ويعرّف بأنه قدرة الآلات والحواسيب على القيام بمهام معينة تحاكي وتشابه تلك التي تقوم بها الكائنات الذكية كالقدرة على التفكير أو التعلم من التجارب السابقة أو غيرها من العمليات التي تتطلب عمليات ذهنية، كما يهدف الذكاء الصناعي إلى الوصول إلى أنظمة تتمتع بالذكاء، وتتصرف على النحو الذي يتصرف به البشر من حيث التعلم والفهم، بحيث تقدم تلك الأنظمة لمستخدميها خدمات مختلفة من التعليم والإرشاد والتفاعل وما إلى ذلك⁽⁷⁾، ويرتبط بعدة علوم كعلم الإدراك وعلم المنطق وعلم الجهاز العصبي وعلم المعلوماتية وغيرها.

وقد أشارت الموسوعة العربية الشاملة إلى أن «إيلين ريتش» عرّف الذكاء الصناعي بأنه دراسة كيفية توجيه الحاسوب لأداء أشياء يؤديها الإنسان بطريقة أفضل، وعرفه «مارتن كويك» بأنه «قدرة الآلة على القيام بالمهام التي تحتاج إلى الذكاء البشري عند أدائها مثل الاستنتاج المنطقي والتعليم والقدرة على التعليل».⁽⁸⁾

ويهدف الذكاء الاصطناعي إلى التوصل إلى نمط جديد من الحواسيب، بحيث تتمكن من معالجة المعلومات بشكل أقرب إلى الطريقة التي يعالج بها الإنسان المعلومات، ولاسيما ما يتعلق منها بدوره في النشاط العقلي الراقى مثل التفكير، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات.⁽⁹⁾

(6) الجمهورية العربية السورية - الموسوعة العربية الشاملة - المجلد التاسع - 2004 ص 637.

(7) باننا ضمراوي- تعريف الذكاء الاصطناعي- موقع «موضوع» على الشبكة [HTTPS://mawdoo3.com](https://mawdoo3.com).

(8) المرجع السادس ص 638.

(9) المرجع السابق.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وهكذا يتضح أن الذكاء الاصطناعي يطلق على القدرات التي تبديها الآلات بما يحاكي القدرات الذهنية للبشر مثل التعلم والاستنتاج وردة العقل على أوضاع لم تبرمج في الآلة، وهو معني بكيفية صنع حواسيب وبرامج قادرة على اتخاذ سلوك ذكي.

ب- **تاريخ الذكاء الصناعي:** يرجع تاريخ الذكاء الصناعي إلى خمسينيات القرن الماضي، عندما قام العالم «ألان تورينغ Alan Turing» بوضع اختبار يُعنى بتقويم الذكاء لجهاز الحاسوب، وعدّه ذكياً في حال قدرته على محاكاة العقل البشري.

ويعود طرح مصطلح الذكاء الصناعي إلى عالم الحاسوب الأمريكي جون مكارثي (1927- 2011) الذي صاغه عام 1956، وهو العام الذي شهد انعقاد مؤتمر علمي في كلية دارتموث الأمريكية للإشارة إلى الأبحاث الجارية آنذاك حول إمكان تصميم آلة ذكية قادرة على تقليد عمل البشر ومحاكاته.

وجرى أول برنامج يستخدم الذكاء الصناعي في جامعة أوكسفورد، وذلك بتشغيل لعبة الداما على الحاسوب وتطويرها، وفي جامعة كمبردج بتصميم تجربة محاكاة لعملية التسوق التي يقوم بها الكائن البشري في أكثر من متجر، بهدف قياس قدرة الحاسوب على التعلم، وكانت هذه أول تجربة ناجحة لما يعرف بتعلم الآلة. وفي عام 1997 تمكن أول جهاز حاسوب من التغلب على منافس بشري في لعبة الشطرنج، ومع بداية القرن الحادي والعشرين ارتفعت وتيرة الذكاء الصناعي، وأضحت الروبوتات التفاعلية متاحة في المتاجر، وغدا الروبوت يتفاعل مع المشاعر المختلفة من خلال تعابير الوجه.⁽¹⁰⁾

ج- أنواع الذكاء الصناعي:

ثمة ثلاثة أنواع من الذكاء الصناعي في ضوء ما يتمتع به من قدرات، وهي:

1. الذكاء الصناعي المحدود أو الضيق: ويستطيع القيام بمهام محددة وواضحة.

(10) باننا ضمراوي- تعريف الذكاء الاصطناعي- مرجع سابق ص1.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

2. الذكاء الصناعي العام: وهو الذي يجعل الآلة قادرة على التفكير والتخطيط من تلقاء نفسها، بشكل مشابه للتفكير البشري.
 3. الذكاء الصناعي الفائق: وهو النوع الذي قد يفوق مستوى ذكاء البشر، وله العديد من الخصائص كالقدرة على التعلم والتخطيط والتواصل وإصدار الأحكام، إلا أنه ليس له وجود في عصرنا الحالي.
 4. أما من حيث الوظائف التي يؤديها الذكاء الصناعي فثمة أربعة أنواع مختلفة، وهي:
 5. الآلات التفاعلية: وهو أبسط أنواع الذكاء الصناعي، إذ إنه يفترق إلى القدرة على التعلم من الخبرات السابقة لتطوير الأعمال المستقبلية.
 6. الذاكرة المحدودة: ويتمثل ذلك في تخزين بيانات التجارب السابقة لمدة زمنية محدودة، حيث يجري تخزين السيارات الأخيرة للسيارات الأخرى، ومقدار بعد السيارة عن السيارات الأخرى، والحد الأقصى للسرعة... الخ.
 7. نظرية العقل: ويعنى هذا النوع من الذكاء الصناعي بفهم الآلة للمشاعر الإنسانية، والتفاعل مع الأشخاص والتواصل معهم. إلا أنه لا وجود لتطبيقات عملية حالياً على هذا النوع.
 8. العلم الذاتي: وهذا النوع من التوقعات المستقبلية التي يرنو إليها علم الذكاء الاصطناعي، بحيث يتكوّن لدى الآلات وعي ذاتي ومشاعر خاصة، تجعل هذه الآلات أكثر ذكاء من الكائن البشري، إلا أن هذا غير موجود على أرض الواقع.⁽¹¹⁾
- ولقد أدت المراحل المبكرة من الذكاء الصناعي إلى إثارة الحماسة، كما أن التعلم الآلي بدأت تتسع دوائره، وأصبح هنالك التعلم العميق، وهو النوع الأكثر تطوراً في الذكاء الصناعي، وغداً أكثر من أي وقت مضى قرباً من الهدف المتعلق بتمكين الآلات من التعلم والتفكير مثل الإنسان قدر ما يمكن.

(11) المرجع السابق ص2 و3.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

أما مستويات الذكاء الصناعي فهي أربعة في ضوء المهام المنوطة بالآلة، فهناك المستوى الضعيف الذي يحاكي مهمات بسيطة محددة جداً كمهمات الترجمة والتعرف على الوجه، والعام الذي يستطيع تطبيق ما تعلمه على أشياء أخرى، ومستوى الذكاء القوي الذي يستطيع محاكاة كل وظائف الذكاء البشري تقريباً، ومستوى الذكاء الخارق كالذي نشاهده في الأفلام، والذي يتجاوز مستوى الذكاء البشري.⁽¹²⁾

د- مجالات الذكاء الصناعي:

أصبح الذكاء الصناعي علماً قائماً بذاته، يجمع بين عدد من العلوم الأخرى كالبرمجة والمنطق والرياضيات وعلم النفس والفلسفة، وما دام الذكاء الصناعي يعتمد تعرف الوجوه والأصوات والأشكال، فقد غدا واسع الانتشار في الحياة اليومية، وفي مجالات مختلفة حيث يستخدم في الصناعة، والتحكم الآلي والنظم الخبيرة، والطب والأحياء، والتعليم، وحتى الألعاب.

ففي **المجال الطبي** توجد برامج تشخيص الأمراض بناء على أعراض مرضية معروفة مع استخدام المنطق والاحتمالات والاستدلال كي يكون الخبير الآلي مالِكاً لمهارات مقارنة للعنصر البشري.

وفي **المجال اللغوي** جرى استخدام الأنظمة الذكية في التدقيق اللغوي، ومخاطبة الناس والترجمة الآلية، وقد أحرزت الترجمة الآلية تقدماً كبيراً في الوقت الحالي، إلا أنها لم تصل إلى مستوى الجودة التي يؤديها المترجم البشري لعدم قدرتها على فهم سياق الكلام.

والمجال اللغوي هو مجال متعدد الاختصاصات، ويشمل: علوم الحاسوب وعلم الأعصاب واللسانيات والفلسفة وعلم النفس.. الخ، ضمن اتجاهات الفكر والسلوك، وهي: أن تفكر الآلة كالإنسان، وأن تفكر بعقلانية.

(12) الدكتور عبد الرحمن أبو الجدائل - مستقبل اللغة بين الذكاء البشري والاصطناعي - مجلة القافلة - مرجع سابق.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

وفي مجال ألعاب الفيديو كان ثمة مزيد من الإثارة والتشويق والمحاكاة، إذ يتصرف أفراد اللعبة تصرفاً ذاتياً ومختلفاً وفق الظروف سواء في ألعاب القتال أو مباراة كرة القدم أو غيرها.

وفي مجال الروبوت شق الرجل الآلي طريقه إلى الصناعة وقيادة الطائرات والمركبات الفضائية، والقتال وأعمال التجسس والمراقبة والحراسة والأمن في المجال العسكري. وفي مجال الطب ابتكرت بعض الروبوتات التي تقوم بتشخيص الأمراض، وحتى القيام بعمليات جراحية دقيقة جداً مثل جراحة العيون. وثمة روبوتات منزلية تساعد على القيام بأعمال المنزل، إلا أن انتشارها نادر بسبب كلفتها الباهظة.

وفي مجال العملية التعليمية التعليمية أشير إلى أن الآلات تؤدي بمهارة الأعمال الرتبية، وما دام الأمر كذلك فإن البشر يتطلب تركيزهم على المهارات التي مازالت محصورة بهم، أي الابتكار والتعاون والتواصل وحل المشكلات، وهذا ما يعني أن غرفة الصف يجب أن تركز في القرن الحادي والعشرين على نقاط قوة كل شخص واهتماماته بدلاً من تلقين مجموعة موحدة من المعارف بشكل يناسب عصر الثورة الصناعية الذي مضى.

وهكذا يتبين أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يتولى تأدية بعض المهام الروتينية في غرفة الصف مما يتيح المزيد من الوقت أمام المعلمين للاهتمام بكل طالب على حدة، وقد يتولى الذكاء الاصطناعي تدريس أنواع معينة من المعرفة، ويتولى البشر أنواعاً أخرى، وربما سيساعد الذكاء الاصطناعي المعلمين على مراقبة تغيرات أداء الطلاب، أو يعطي الطلاب المزيد من السيطرة على طريقة تعلمهم بحيث يكون الهدف النهائي تعميق الطابع الشخصي للتدريس.⁽¹³⁾

هـ- تطبيقات الذكاء الصناعي:

ثمة تطبيقات عملية للذكاء الصناعي، ومن أبرز هذه التطبيقات:⁽¹⁴⁾

(13) كارين هو- التعليم بالذكاء الاصطناعي- الصين تطلق تجربة كبرى قد تغير من أساليب التعليم في العالم:

<https://technologyreview.ae> آب 2019.

(14) باننا ضمراوي- تعريف الذكاء الصناعي- مرجع سابق ص5.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

1. **الألعاب:** يجري استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في عدد من الألعاب الإلكترونية التي تتطلب بعداً وتفكيراً استراتيجياً كلعبة البوكر ولعبة الشطرنج على سبيل المثال.
2. **التفاعل مع النظام المرئي:** يمكن لبعض تطبيقات الذكاء الصناعي تفسير ما يجري إدخاله إلى الآلات من صور وتحليلها، كبرامج تعرّف الوجوه، وتحليل الصور لتحديد الموقع.. الخ.
3. **التفاعل مع الكتابة اليدوية:** وذلك من خلال تطبيقات تعرف الخط المكتوب يدوياً، سواءً أكانت عملية الكتابة على الورق، أو على شاشة الجهاز نفسه.
4. **الروبوتات الذكية:** وتقوم بكثير من الأعمال المختلفة، إذ تستطيع القيام بالأعمال التي يقوم بها البشر، وذلك لقدرتها على الإحساس بالعوامل المحيطة كالضوء والحرارة والصوت أو الحركة.
5. **التفاعل مع الصوت المنطوق:** إذ يمكن الاستماع إلى الكلام وفهم معانيه حتى لو جرى النطق به في ظل وجود بعض الضوضاء، أو جرى نطقه باللهجة العامية أو لغة الشارع.
6. **تقديم النص والإرشاد:** وذلك في مجالات معينة كالمجال الطبي مثلاً، وذلك بتحليل أعراض مرض ما للوصول إلى المرض وعلاجه على سبيل المثال.

ومن أهم تطبيقات الذكاء الصناعي في المعلوماتية معالجة اللغات الطبيعية NLP ومسائل التنظيم والترتيب والجدولة وقواعد المعرفة والمنطق الصوري، ومسائل الرؤية الصناعية، وتعرّف الأشكال النمطية والتخطيط وبرمجة الإنسان الآلي، وبرامج الألعاب، والتعلم الآلي.

- ويبحث الذكاء الصناعي في التقاط الخبرات التي يستخدمها الإنسان للوصول إلى الحل بسرعة، ومن ثم استخدام هذه الخبرات في خوارزميات تسمح بالوصول إلى حل في زمن معقول.
- وإذا كان يقال إن ثمة أعمالاً لا يستطيع الحاسوب أن يؤديها كما يؤديها الإنسان، فإن ثمة من يقول إن هنالك أعمالاً يستطيع الحاسوب أن يؤديها أفضل من الإنسان، ومن هذه الأعمال:
1. **الحسابات العددية:** إذ يؤديها الحاسوب بدقة عالية وبسرعة فائقة بالمقارنة بقدرات الإنسان.
 2. **تخزين المعلومات واسترجاعها:** إذ يستطيع الحاسوب تخزين آلاف السجلات المحتوية

الكثير من البيانات، ويمكن استرجاعها في بضع ثوان، وللقيام بهذا العمل من دون الحاسوب، على الإنسان استخدام آلاف الأوراق لكتابة هذه السجلات، وتصبح عملية البحث عن أي سجل شاقة جداً، وتستهلك وقتاً طويلاً.

3. **العمليات التكرارية:** يستطيع الحاسوب القيام بأعمال تكرارية أفضل بكثير من الإنسان، فإذا طلب المستخدم من الحاسوب على سبيل المثال طباعة ألف نسخة من التقرير الشهري، فسيقوم الحاسوب بهذه المهمة من دون ملل في حين لو أجري هذا العمل يدوياً، فإن الإنسان سوف يملّ بعد بضعة تقارير، وتقل كفاءة إخراج التقارير بعد ثاني أو ثالث تقرير. (15)

ومع ذلك فما زال الإنسان يملك قدرات تفوق قدرات الحاسوب، وهي تلك القدرات المتعلقة بالذكاء، فالإنسان لا يقوم بمعالجة البيانات مثل الحاسوب فقط، ولكنه يقوم بفهم هذه البيانات، وبالإحساس بالأشياء التي يراها ويسمعها، وليس هذا فحسب، بل يقوم بالحكم السليم على الأشياء، وتعرّف محيطه بسرعة فائقة تفوق أفضل خوارزمية كتبت حتى اليوم.

خامساً- إيجابيات الذكاء الصناعي وسلبياته

للذكاء الصناعي فوائد وإيجابيات، ويمكن ذكر بعضها فيما يأتي: (16)

1. **العمل الدائم:** وذلك من خلال إمكان قيام الآلات بعملها بصورة مستمرة دون الشعور بكلال أو ملال، وثبات قدرتها على الإنتاج على الدوام دون النظر إلى الوقت أو الظروف المحيطة بالعمل.
2. **التطبيقات المهمة للحياة اليومية:** يوفر الذكاء الاصطناعي عدداً من التطبيقات في الحياة اليومية للإنسان، ويعد الهاتف الذكي وما يحتويه من أنظمة ذكية متنوعة كنظام تحديد المواقع.
3. **استخدام الذكاء الاصطناعي لتقديم الخدمات:** اعتمدت بعض المؤسسات الكبرى على

(15) الموسوعة العربية- المجلد التاسع- مرجع سابق ص637.

(16) باننا ضمراوي- تعريف الذكاء الصناعي- مرجع سابق ص6.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

- أنظمة الذكاء الاصطناعي لتقديم الخدمات لعملائها بدلاً من الموظف التقليدي.
4. **التخلص من الأعمال المتكررة:** يمكن استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي للقيام بالأعمال الاعتيادية التي تتطلب آلية العمل نفسها في كل مرة، كما يمكن استخدام هذه الأنظمة للقيام بالأعمال التي قد تشكل خطراً على حياة الإنسان.
5. **تقديم الرعاية الطبية:** تقدم أنظمة الذكاء الاصطناعي الرعاية الطبية للإنسان، وذلك من خلال أجهزة محاكاة الجراحة، أو تلك التطبيقات التي تساعد على كشف الاضطرابات العصبية أو تلك التي تتيح للمريض معرفة الآثار الجانبية للأدوية، كما لا بد من ذكر تطبيقات الجراحة الإشعاعية التي ساعدت على إمكان استئصال الأورام دون إلحاق أي أذى بالأنسجة السليمة المحيطة.
6. **القدرة على معالجة كم هائل من البيانات:** بإمكان أنظمة الذكاء الاصطناعي التعامل مع كم هائل من البيانات وتخزينها ومعالجتها.
7. **الدقة وتقليل هامش الخطأ:** تسهم أنظمة الذكاء الاصطناعي من الحد من نسبة الخطأ التي قد تحدث في أثناء تنفيذ المهام، عدا الدقة الكبيرة في تأدية هذه المهام.
8. **القيام بالأعمال الصعبة:** وهي الأعمال التي قد يعجز البشر عن تأديتها كعمليات التنقيب واستكشاف الأماكن التي يصعب الوصول إليها كقاع المحيط.
9. **عدم تحكيم العاطفة:** لا يتأثر الذكاء الاصطناعي بأي عواطف قد تعوق سير العمل، فأنظمتها لا تتصف بالمزاجية، وإنما تعمل وفق طريقة تفكير منطقية، مما يجعلها قادرة على اتخاذ القرارات الصحيحة خلال وقت قصير.
- أما سلبيات الذكاء الاصطناعي فتتجلى فيما يأتي: (17)
1. **التكلفة العالية** التي تترتب على استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي وتحديثها وصيانتها.
2. **عدم وعي** أنظمة الذكاء الاصطناعي بالأخلاقيات والقيم البشرية، إذ إنها تفتقر إلى القدرة

(17) المرجع السابق ص7.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

على اتخاذ الأحكام المناسبة ما دامت تهتم بتنفيذ ما صممت لأجله دون النظر إلى ما هو صحيح وخاطئ في تنفيذ هذه المهام.

3. عدم قدرة أنظمة الذكاء الاصطناعي على تغيير نظام عملها وتطويره في حال تلقيها البيانات نفسها في كل مرة، وهذا الأمر قد يجعلها عديمة الفائدة في مرحلة معينة.

4. افتقار أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى الاستجابة للظروف والتغيرات التي قد تحدث في بيئة العمل.

5. عدم قدرة أنظمة الذكاء الاصطناعي على الإبداع والابتكار كقدرة البشر على ذلك.

6. الاستغناء عن العديد من العمال والموظفين نتيجة استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي والاعتماد عليها بدلاً من الإنسان.

وعلى الرغم من هذه السلبيات فقد شقَّ الذكاء الصناعي طريقه في عالمنا المعاصر، وعقدت من أجله المؤتمرات والندوات، وثمة من يتنبأ له بمستقبل كبير في مسيرة البشر.

سادساً- الذكاء الصناعي واللغة العربية

غدت معالجة اللغات الطبيعية بوساطة أجهزة الحواسيب تعد مطلباً أساسياً وحاجة ملحة في عالمنا المعاصر، وذلك لعدة لغات في جميع أنحاء العالم، ولا سيما أن لغتنا العربية هي بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة إلى جانب الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية والروسية.

وعملية جعل الحاسوب يفهم ويستجيب من الأمور التي غني بها الباحثون، ومن التحديات التي تواجهها لغتنا العربية إغفال حركات التشكيل بقصد الإيجاز، إذ قد يكون للكلمة الواحدة في اللغة العربية الفصيحة معان عدة وفقاً لعلامات التشكيل المختلفة، فكلمة كتب دون تشكيل تقرأ:

كُتِبَ فعل ماض مبني للمعلوم

كُتِبَ فعل ماض مبني للمجهول

كُتِبَ جمع كتاب وهي اسم

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وكلمة وفي إذا كانت كلمة واحدة مشتقة من الوفاء فهي كلمة واحدة، ويمكن تقسيمها إلى كلمتين: «و» و«في»، وتفكيك هذه الكلمات بأكثر من طريقة يزيل الالتباس في اللغة العربية، وهي مهمة شاقة في معالجة اللغات الطبيعية.(18)

وتحظى تطبيقات معالجة اللغات الطبيعية بأسواق ضخمة على الصعيد العالمي، ويمكن لبرامج الدردشة العربية أن تتيح التفاعل بين المستخدمين والمؤسسات في قطاع التربية والتعليم والرعاية الصحية، والخدمات السياحية والخدمية عامة، كما يمكن للترجمة الآلية للغة العربية أن تسهل التواصل بين الناطقين بالعربية وغير الناطقين بها على نحو كبير .

ومشكلة حركات التشكيل في اللغة العربية لم تعالج بصورة مرضية، إذ إنها تعامل على أنها حروف مستقلة مما يؤدي إلى صعوبات، إذ إن قلة استعمال التشكيل تؤدي إلى شيوع اللحن في القراءة، وضعف التزام القارئ العربي بضبط الكلمات. ومن مزايا اللغة العربية تشابه حروف كثيرة مع اختلاف في عدد النقاط ومواقعها، والمشكلة هنا هي عدم قدرة الآلة أحياناً على التمييز والخلط بين النقطة والنقطتين والثلاث، أو الظن بوجود نقطة نتيجة عدم دقة الماسح الضوئي، وتدريب الآلة على الضبط بالشكل ليس مهمة صعبة، وتميز الحروف المطبوعة أسهل من تمييز الحروف المكتوبة بخط اليد.(19)

ومن الملاحظ أن عملية تمييز الكتابة المكونة من حروف مقطعة كالإنجليزية أسهل من تمييز الكتابة المتصلة كاللغة العربية، وثمة حاجة لتعرف الكتابة بخط اليد، وذلك لنقلها إلى خط مطبوع، ومن ثم قابليتها للمعالجة الآلية المختلفة كالضبط بالشكل والتصحيح والإعراب والترجمة وفهم النص.... الخ.

ولقد سعى الباحثون المتخصصون في مجال العلوم الإنسانية إلى إنتاج برامج حاسوبية

(18) منى يوسف حمدان - كتاب اللغة العربية والذكاء الصناعي - موقع المدينة - مؤسسة المدينة للصحافة والنشر - 2020.

(19) محمد زكي خضر - الحرف العربي والحوسبة - الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية في عمان - 2011.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

بإمكانها قراءة النصوص العربية بدقة وتحويلها إلى الصيغة الرقمية، وظهر الذكاء الصناعي ليُجعل إمكان الحصول على أرشيفات من الصحف والمجلات والكتب متاحاً للجميع على الشبكة.

ومن الصعوبة على أجهزة الحواسيب قراءة النصوص العربية مقارنة بالحروف اللاتينية، إذ تكتب العربية واللغات ذات الصلة بها مثل الفارسية والأوردية على شكل نص مستمر، وتكون الحروف الساكنة مجموعة متنوعة من الأشكال حسب مكانها في الكلمة فضلاً على وجود علامات (حركات) فوق الحروف الضرورية أو تحتها لفهم معنى الكلمة، وأحياناً تكون ثمة صعوبة في هذا المجال.

وتجدر الإشارة إلى أن تعليم اللغة العربية على أجهزة الحاسوب لا يتأثر بنقص البيانات فقط، فهناك درجة من الغموض والصعوبة، فالعربية لا تشمل خاصة الحروف الكبيرة في أول الكلمات كالإشارة إلى أسماء الأشخاص والأماكن والشركات، إضافة إلى تغيير الحروف العربية طريقة شكلها كلما تغير موضعها في الكلمة.

ومن التطبيقات العملية في مجال اللغة العربية: (20)

1. قيام مركز خير الله لدراسة الشتات اللبناني بجمع الصحف الصادرة باللغة العربية التي نشرت في الولايات المتحدة منذ القرن التاسع عشر وما بعده، وثمة صعوبة كبيرة في جمعها بسبب النصوص غير الواضحة المطبوعة على ورق رخيص دون فهرس لدرجة أنه كان يتعذر الوصول إليها.

2. واستطاع خبراء في قسم تكنولوجيا المعلومات تشكيل فريق في كارولينا الشمالية قام بتصميم برنامج تعرف بصري على الأحرف يمكنه قراءة النصوص غير الواضحة للصحف القديمة الصادرة باللغة العربية، وتحويل النصوص إلى صيغة رقمية، وقد حقق البرنامج المصمم معدل دقة بلغ 98% في رقمنة ورق الصحف.

(20) موقع الفار للإعلام- الذكاء الاصطناعي يساعد أجهزة الكمبيوتر - الفار للإعلام عن التعليم والبحوث والثقافة 2019.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

3. وبالتوازي مع جهود جامعة ولاية كارولينا الشمالية قام مشروع يسمى مبادرة النصوص الإسلامية المفتوحة والمعروفة باسم Open iti بتطوير تطبيق مماثل للتعريف البصري على الحروف العربية، واستخدام طريقة تعلم آلي متقدمة لتحليل سطور النص كاملاً بدلاً من الأحرف بشكل منفرد، وقد تلقى المشروع دعماً مالياً لتطوير برنامج قادر على إنشاء نصوص رقمية من الكتب الفارسية والعربية، ويطبق مشروع كتاب Kitab التحليل الكمي للنصوص الإسلامية في العصور الوسطى، وتقول الباحثة سارة بوين الأستاذة في جامعة الأغاخان، والباحثة الرئيسة في مشروع كتاب «إن التحليل الكمي يساعد على تتبع كيفية إنشاء العلماء المسلمين في العصور الوسطى الموسوعات الضخمة كمؤلف المؤرخ الطبري». ويركز المشروع على الكتب المطبوعة لا على المخطوطات المكتوبة بخط اليد، لوجود الهوامش والتعليقات فيها وألوان الحبر المستخدم.

4. طبق العلماء الأمريكيون أحدث التقنيات لتطوير أنظمة الترجمة الآلية العربية، وكان لهذه التقنيات تأثير إيجابي على عمل معالجة اللغات الطبيعية في اللغة العربية في الوطن العربي.

5. يعمل فريق من الباحثين في الجامعة اللبنانية الأمريكية في لبنان على تحسين معالج اللغات الطبيعية باللغة العربية بحيث يمكن استخدامه لتحليل محتوى مواقع التواصل الاجتماعي لالنتقاط الأحداث والمعلومات المهمة وغير المكتشفة.

6. أعلنت هيئة أبو ظبي للإعلام- أبو ظبي ميديا- أنها تعمل على تطوير أول روبوت لمذيعات إخبارية بتقنية الذكاء الصناعي ناطقة باللغة العربية في العالم.

سابعاً- مستقبل الذكاء الصناعي

يعمل العلماء والباحثون على تطوير الذكاء الصناعي المستقبلي بحيث يمكن الاستفادة منه في جوانب متعددة من الحياة، بدءاً من الهواتف الذكية، إلى السيارات، أو حتى المنازل التي تعمل بالنظام الذكي. وفيما يأتي بعض التصورات المستقبلية التي قد تصل إليها أنظمة الذكاء الصناعي

في مجالات مختلفة: (21)

1. **وسائل الترفيه:** قد يصبح بإمكان الإنسان مشاهدة فلم يقوم هو باختيار ممثليه، كما يمكن أن تساعد أنظمة الذكاء الصناعي شركات الإنتاج على تحليل السيناريو لفلم معين، وتوقع الأرباح التي قد يجنيها الفلم عند عرضه في دور السينما.
 2. **الرعاية الطبية:** يتوقع أن يكون بإمكان أنظمة الذكاء الصناعي المستقبلية تقديم الرعاية الطبية الفائقة لبني البشر بتقديم الرعاية الخاصة لكل مريض تبعاً لجيناته، وأسلوب عيشه وبيئته، مما يساعد على تشخيص أورام المخ، وعلاج السرطان المناسب لكل مريض.
 3. **أمن البيانات والمعلومات:** ينتظر من أنظمة الذكاء الصناعي المستقبلية أن تكون قادرة على حماية بيانات الأشخاص من السرقة والاختراق.
 4. **الحياة اليومية:** يتوقع لأنظمة الذكاء الصناعي المستقبلية أن يكون لها دور كبير في القيام بالعديد من الأعمال الحيوية اليومية التي يحتاج إليها الإنسان كالعناية بكبار السن، ومراعاتهم بشكل دائم، وإنجاز الأعمال المنزلية، وغيرها الكثير من تأدية الأعمال التي قد تتطلب مخاطرة لتنفيذها كمكافحة الحرائق، والتخلص من الألغام.
 5. **وسائل النقل:** يتوقع أن يجري التوصل في المستقبل إلى سيارات ذاتية القيادة كلياً، بحيث يكون بمقدرة السائق تأدية أي أمر آخر، وترك القيادة لأنظمة الذكاء الاصطناعي المتوفرة في سيارته. ولابد من الإشارة إلى أن السيارات الذاتية القيادة موجودة فعلاً في وقتنا الحالي، ولكنها ستكون متاحة ومنشرة على نطاق واسع في المستقبل.
- وتتوقع الدراسة أيضاً أن تحل تقانة القيادة الذاتية محل الملايين من سائقي سيارات الأجرة، وإعادة تشكيل وسائل النقل والصحة والعلوم وسوق المال وإعدادات الجيوش، وستكون هنالك حاجة ماسة إلى إحداث تغيير في السياسات العامة بما يتوافق مع هذه التطورات المنتظرة، وثمة احتمال حدوث بطالة واسعة، إذ إن القيمة التي يقدمها الذكاء الصناعي تسير في اتجاه معاكس

(21) المرجع السابق ص8.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

لتوظيف البشر، وستكون هناك تأثيرات اجتماعية واقتصادية، فمن المتوقع أن يكون هناك مزيد من الفروق الهائلة في مستويات الدخل بين الأفراد وما قد يتبعها من اهتزازات أمنية وسياسية واقتصادية، وأشكال من الصدام الاقتصادي في الدرجة الأولى، وستتبعه آثار اجتماعية وسياسية عنيفة، وقد حددت دراسة في وكالة وكيبديا أن نحو 4 من بين كل 10 أمريكيين ستحل محلهم في العمل أجهزة ذكاء صناعي في ثلاثينيات القرن الحالي. وفي تصريح نشر على شبكة موقع سي ان ان الأمريكية على الشبكة أشير إلى أن كثيراً من الشركات الكبرى نقلت خدماتها للزبائن إلى دول مثل الهند، وغيرها من الدول ذات المستوى المنخفض للأجور. وعلى الرغم من عدم وجود إجماع بشأن كيفية الاستعداد للذكاء الاصطناعي في العالم، فإنه لا مجال للشك بأن الوقت قد حان للاستعداد له، مما يستوجب وضع خطط مستقبلية تقوم على الاستثمار في التدريب والتعليم، وتأهيل العمالة لخوض مجالات عمل جديدة.

وفي السنوات الأخيرة شهد الذكاء الصناعي تطوراً في استخدامات عدة في مجال الإنسان الآلي (الروبوت)، والمركبات والطائرات من دون طيار، والأجهزة الطبية والصناعية المختلفة، وظهرت تطورات وصولاً إلى قدرات أعلى تقارب العقل البشري في عملية صنع القرار والإدراك. ويتوقع الرائد المستقبلي الباحث الأمريكي جيمس لوفلوك البالغ من العمر مئة سنة أن العصر المستقبلي الجديد يحتاج إلى استخدام أجهزة حواسيب تصمم وتبنى أنفسها حيث يظهر نمط جديد من الحياة الذكية على الأرض، وصرّح آيلون مسك مؤسس شركتي تسلا للسيارات الكهربائية، وسيبب إكس أن أجهزة الحواسيب أصبحت على قدر من الذكاء بحيث لن يمضي وقت طويل لتتجاوز الذكاء البشري نفسه.

وأعلن مسك لجاك ما رئيس مجلس إدارة شركة «علي بابا» للتجارة الرقمية في مؤتمر عقد في شنغهاي أن الذكاء الاصطناعي سيكون أخطر بكثير من الأسلحة النووية، وتساءل: لماذا ما نزال نفكر إلى أي رقابة تنظيمية تشمله؟ وخطط لإطلاق شبكة أقمار صناعية ضخمة تكلف نحو عشرة مليارات دولار لتغطي الكرة الأرضية بشبكة سهلة ومتاحة سهلة وعالمية لتقديم

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

الخدمات الرخيصة على نطاق غير مسبوق. (22)

ولقد استطلعت دراسة حديثة آراء 352 خبيراً من خبراء التعلم الآلي والذكاء الصناعي، وتوصلت إلى أن الذكاء الصناعي يحسّن قدراته بسرعة، ويثبت ذاته على نحو متزايد في مجالات عديدة شهدت سيطرة الإنسان عليها تاريخياً، وأنه سيتفوق على البشر في غضون 45 عاماً. (23) وإذا كان الذكاء الصناعي يتفوق على الذكاء البشري في جميع المجالات في غضون 45 عاماً، فإنه من المتوقع أيضاً أن يكون قادراً على تولي الوظائف البشرية في غضون 120 عاماً، ولا تستبعد الدراسة أن يحدث ذلك قبل هذا التاريخ.

وتتوقع الدراسة أيضاً أن الآلات ستتفوق على البشر في ترجمة اللغات بحلول عام 2024، وكتابة المقالات المدرسية بحلول عام 2026، وقيادة الشاحنات بحلول عام 2027، والعمل بتجارة التجزئة في 2031، وفي كتابة واحد من أفضل الكتب مبيعاً بحلول عام 2049، وفي عمليات إجراء الجراحات بحلول عام 2053.

وخلصت الدراسة إلى أن الذكاء الصناعي على المستوى البشري ستكون له آثار بعيدة المدى على المجتمع، وتحديدًا خلال القرن المقبل، إذ سيكون قادراً على فعل أي شيء يمكن للإنسان أن يقوم به.

ولما كان بناء البشر يعتمد على العملية التعليمية التعليمية، كان الوقوف على مستقبل الذكاء الصناعي في هذه العملية من الأهمية بمكان.

(22) طلال أبو غزالة- جريدة الوطن السورية- العدد 2349 السنة الرابعة عشرة- الاثنين 2 آذار (مارس) 2020 ص 6.

(23) هاني زايد- الذكاء الاصطناعي يتفوق على البشر في غضون 45 عاماً- 3 يونيو 2017- موقع:

www.scientificamerican.com: arabic: articles/ meusial-will

ثامناً - مستقبل الذكاء الصناعي في العملية التعليمية التعليمية

يشير الذكاء الصناعي إلى الأجهزة والأنظمة التي تحاكي الذكاء البشري لأداء المهام، ويتعلق بالقدرة على التفكير الفائق وتحليل البيانات. ويتجلى الذكاء الصناعي في أشكال عدة حيث تستخدم روبوتات المحادثة الذكاء الصناعي لفهم مشكلات العملاء بشكل أسرع، وتقديم إجابات أكثر كفاءة عبر الشابكة، أو ممارسة لعبة الشطرنج، وغالباً ما يستخدم بالتبادل مع مجالاته الفرعية، والتي تشمل التعلم الآلي والتعلم العميق. وعلى الرغم من أن كل سبل التعلم الآلي ما هي إلا ذكاء صناعي، فإنه ليس كل ذكاء صناعي يعد تعلماً آلياً. ونحن على الصعيد العربي في أمس الحاجة إلى توظيف هذا التطور العلمي في مجال الذكاء الصناعي في جامعاتنا ومدارسنا لأنها لغة المستقبل. (24)

تؤمن المديرية العامة للمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) أودري أزولاي أن الذكاء الصناعي سيققق تغييراً جذرياً في مجال التعليم، وأن العالم سيشهد ثورة تطول الأدوات التربوية، وسبل التعلم والانتفاع بالمعارف، وعملية إعداد المعلمين، والمساعدة في تسريع عملية بلوغ أهداف التعليم من خلال الحد من العوائق التي تعترض سبل التعلم، وأتمتة الإجراءات الإدارية، وإتاحة أفضل السبل الكفيلة بتحسين نتائج التعلم، واتخاذ التدابير اللازمة لمعالجة أوجه التفاوت القائمة على الوضع الاجتماعي والاقتصادي ونوع الجنس والعرق والموقع الجغرافي، وتحديد مشاريع ناجحة وحلول فعالة تستند إلى الذكاء الاصطناعي من أجل التغلب على العقبات الحائلة دون حصول الجماعات المهمشة والمستضعفة على تعليم جيد.

ولقد ازدهر التعليم بالذكاء الصناعي في الصين بسبب ثلاثة عوامل أولها هو التخفيضات الضريبية وغيرها من الحوافز المقدمة لاستثمارات الذكاء الصناعي الهادفة لتحسين أي شيء بدءاً من تعليم التلاميذ، وتدريب المعلمين وصولاً إلى إدارة المدرسة، وكانت الاستثمارات المخصصة لهذا الهدف قد حازتها الصين العام المنصرم على الصعيد العالمي، وثانيها هو احتدام المنافسة

(24) منى يوسف حمدان - كتاب اللغة العربية والذكاء الصناعي - موقع المدينة - مؤسسة المدينة للصحافة والنشر - 2020.

..... اللغة العربية والذكاء الصناعي

الأكاديمية في الصين حيث يخوض عشرة ملايين طالب صيني سنوياً امتحان دخول الجامعة الذي يقرر مستقبل الطالب، وثالثها إيمان الأهل بالقدرات الكامنة للتقانة، وذلك بعد أن شهدوا التحولات التي أحدثتها في البلاد خلال بضعة عقود، كما أن سياسة الدولة الصينية دعمت استخدام الذكاء الصناعي في المجالات التربوية، والأمن القومي، والصحة، والاقتصاد، وتقانة الروبوت، وغيرها.

وكان من المعوّل على الذكاء الصناعي أن يردم الهوة بين التعليم والتعلّم من خلال تحسين فعالية التعليم وسرعته وشموليته جميع الفئات على اختلاف خلفياتها وحاجاتها وأهدافها، بحيث توضع مناهج تعليمية تأخذ بالحسبان شخصية كل متعلم بما يتناسب وحاجاته وقدراته.

ويقوم فريق العمل من الخبراء بتقسيم الموضوع المراد تعلمه إلى أصغر ما يمكن من الفكر، وتحدد النقاط المعرفية في المقرر، وبعد تحديدها تربط بمحاضرات فيديو وملاحظات وأمثلة محلولة، ومسائل للتدريب. أما علاقاتها ببعضها فهي مرمزة في «مخطط المعرفة». ويبدأ المتعلم في المقرر باختبار تشخيصي قصير لتقويم فهم المبادئ الأصلية، فإذا أجاب المتعلم إجابة صحيحة في المقدمة يتجاوزها، ثم يضع تصوراً أولياً من خلال عشرة أسئلة لما يجب التركيز عليه، ويجري بناء منهج خاص بهذا المتعلم، ومع تقدم الدراسة يعدل المنهاج وتجري كشف العلاقات التي لم تلاحظ من قبل بين فكر المادة، وتقوم خوارزمية التعلم الآلي بتحديث العلاقات في المخطط المعرفي لأخذ العلاقات الجديدة بالحسبان.(25)

وفي ضوء ذلك يجري الارتقاء بالعملية التعليمية التعلمية من خلال وضع مناهج خاصة بكل متعلم بما يطلق عليه «شخصية التعليم وتعميق الطابع الشخصي للتعلم»، وذلك من خلال تطبيقات التعليم العميق للآلة التي تتعرف ردود أفعال المتعلم وتعطي قياساً وتقويماً لأدائه، وتوظف التغذية الراجعة التي تنتج تغييراً في المنهاج بناء على ذلك.

(25) كارين هو - التعليم بالذكاء الصناعي - الصين تطلق تجربة كبرى قد تغيّر من أساليب التعليم في العالم - مرجع سابق ص 6.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

وتجدر الإشارة إلى أن الذكاء الصناعي لن يحل مكان المعلم، ويأخذ دوره، وإنما سيكون عاملاً مساعداً وسيحقق أدواراً تحتاج إلى الارتقاء إلى مستويات فكرية أعلى، والتركيز على مهارات ذات مستويات أعلى كالتفكير النقدي، وحل المشكلات الأكثر تعقيداً، وتعزيز قدرات الابتكار مما سيتيح تطوير طرائق التدريس التقليدية، وتبادل الخبرات بين المجتمعات. وعلى الرغم من أن الذكاء الصناعي يقدم صوراً عن الروبوتات العالية الأداء الشبيهة بالإنسان، فإنه لا يهدف إلى أن يحل محل البشر.

وقد ركزت النقاشات في مؤتمر اليونسكو الخاص بالذكاء الصناعي الذي عقد في بكين في أيار عام 2019 على ضرورة إدخال تقانة الذكاء الصناعي وتطبيقاتها في المحاور الآتية:

1. السياسات والخطط التعليمية والتربوية للدول الأعضاء في اليونسكو.
2. المناهج الدراسية.
3. نظم المعلومات التربوية والإشراف عليها وإدارتها.
4. تمكين المدرسين من تطوير أساليب التدريس.
5. تقييم وقياس مخرجات العملية التعليمية التعلمية.
6. تطوير التعلم المستمر مدى الحياة.
7. تطوير القيم والمهارات لجميع العاملين في العملية التعليمية التعلمية لتواكب متطلبات عصر الذكاء الصناعي.
8. ضرورة التعاون بين جميع الجهات ذات العلاقة (الحكومات، الجامعات، مراكز البحوث المتخصصة، القطاع الخاص... الخ)، واليونسكو في هذا المجال.
9. ضرورة وجود أخلاقيات لاستخدام البيانات التربوية، والخوارزميات من حيث احترام الشفافية، والشمولية، وعدالة الاستخدام، والقدرة على المساءلة.

وتجدر الإشارة إلى أن الصين كانت قد وضعت في خطتها من عام 2015 إلى 2020 أن تكون الأولى في الذكاء الصناعي، ووظفت كل الإمكانيات والموارد المتاحة لإنفاذ ذلك.

مراجع البحث

1. بانا ضمراوي- تعريف الذكاء الاصطناعي- موقع «موضوع» على الشبكة
HTTPS://mawdoo3.com
2. الجمهورية العربية السورية- الموسوعة العربية الشاملة- المجلد التاسع 2004.
3. عبد الرحمن أبو الجدايل- مستقبل اللغة بين الذكاء البشري والاصطناعي- مجلة القافلة-
جدة- نوفمبر - ديسمبر 2019.
4. طلال أبو غزالة- جريدة الوطن السورية- العدد 2349 السنة الرابعة عشرة-الانتين 2 آذار
2020.
5. فاطمة عبد الرحمن باعثمان- الذكاء الاصطناعي في خدمة اللغة العربية، مجالات
ومسارات- دنيا الوطن- رام الله 2016.
6. كارين هو- التعليم بالذكاء الاصطناعي- الصين تطلق تجربة كبرى قد تغيّر من أساليب
التعليم في العالم- آب 2019. HTTPS: technology review: ae
7. الدكتور محمد زكي خضر- الحرف العربي والحوسبة- الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية
في عمان- 2011.
8. الدكتور محمود أحمد السيّد- قضايا راهنة للغة العربية- منشورات وزارة الثقافة السورية-
دمشق 2016.
9. منى يوسف حمدان- اللغة العربية والذكاء الصناعي- موقع المدينة- مؤسسة المدينة
للصحافة والنشر 2020.
10. موقع الفنار للإعلام- الذكاء الاصطناعي يساعد أجهزة الكمبيوتر - 2019.
11. هاني زايد- الذكاء الاصطناعي يتفوق على البشر في غضون 45 عاماً- 3 يونيو 2017
موقع: arabic: articles/ neusial- will.www.scientificamerican.com

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

من بحوث الحضارة العربية الإسلامية

بحث في خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية

أ. د. يمينة حاج هني
جامعة حسينية بن بوعلي
الشلف - الجزائر

ملخص

يعد الخط العربي رمز الحضارة العربية والإسلامية، لذا نهج عدة مراحل في نشأته وتطوره وأصبح على ما عليه اليوم بفضل الجهود المبذولة في تحسينه وتطويره، حيث تعد الكتابة أسلوباً جيداً للخطاب والتواصل على مر العصور.

1. مقدمة

أصبحت الكتابة عصب الحياة في هذا العصر، حيث لم تقتصر على ميدان الطباعة فحسب بل تعدته إلى أنماط الحياة الأخرى خاصة بعد أن أصبح الحاسوب جزءاً رئيسياً في تسيير شؤون الفرد. ولذلك اعتري الحرف العربي مجموعة من المشاكل في عصر الازدهار وانتشار العقول الآلية، فما هي الحلول المناسبة للتصدي لمشاكل الكتابة العربية؟

2. تاريخ ظهور الكتابة عبر العصور ونشأتها:

مما لا شك فيه أن الحضارة الغربية اعتمدت على المخطوطات والتراجم العربية التي انتقلت من مدارس الدولة الإسلامية إلى مشارف أوروبا، «فالتاريخ العربي حافلٌ بالعماء العلمي بداية من ترجمة المخطوطات المتعلقة بمختلف الشعوب كاليونان والإغريق والفرس والهنود»¹، بحيث

¹ ينظر: عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي تحفة التاريخ وعقدة التقنية، الدار الجماهيرية للنشر، بنغازي، ليبيا، ط1، 1989م، ص15.

دخلت العديد من المصطلحات العلمية قواميس اللغات اللاتينية وما زالت في قيد الاستعمال حتى يومنا هذا.

«وعلى الرغم من أن رحلة انتقال الحضارة إلى الغرب لم تكلف الغربيين أي عناء يُذكر، حيث تمثلت في ترجمة المخطوطات العربية ونقلها إلى لغتهم على إثر فشل حملاتهم التي عرفت بالصليبية، على الرغم من ذلك فقد تكبد العرب أكبر المشاق في سبيل توسيع رقعة دولتهم وفتح المزيد من الشرق والغرب، حتى اكتسبوا ما اكتسبوه من هيبة وقوة على مختلف الأصعدة»².

وبالرغم من فضل العرب الكبير على الغرب فإنهم لم يقرؤوا بذلك، فقد كانت شبه الجزيرة العربية مهد الحضارات ومهبط الديانات على مر العصور، «والمعروف أن التاريخ يؤرخ بأحداث كانت شبه الجزيرة العربية مسرحها، لاغرو فسكان هذه الأرض الطيبة هم بناء أسس الحضارات البشرية، وإذا كان التاريخ يؤرخ أحيانا بقبل أو بعد عصر الكتابة أو التدوين، فالآشوريون والبابليون والمصريون هم أول من استعمل رموز الكتابة، واعتبر ذلك بمثابة علامة مميزة لبداية العصر التاريخي، لأن هذه الأداة التعبيرية الجديدة ساعدت الإنسان على تسجيل حياته وتنظيم كافة شؤونه الاقتصادية والسياسية تنظيمًا جديداً يعتمد على التدوين والتسجيل والتوثيق»³. فالكتابة جزء من الفكر وتُعدُّ الخط الفاصل بين مجتمعات ما قبل التاريخ ومجتمعات العصر التاريخي وأحيانا يربط التاريخ بالكتابة عند المؤرخين فيقال لعصر ما قبل التاريخ بمرحلة الكتابة، حيث تم فيها تدوين مختلف الوثائق والمخطوطات.

3. أنواع الكتابة:

لقد عرف الإنسان القديم وتعلم القراءة أولاً قبل الكتابة ونتيجة التوسع البشري ازدادت الحاجة إلى ابتكار طرق للتواصل «دأبت العقول البدائية إلى ابتكار أسهل الطرق وأيسرها للتعبير عما يدور بالخلد بواسطة تطوير الرموز وترسيخ معانيها في أذهان العامة»، «ومع بداية الإسلام اعتنى الرسول الكريم بالكتابة وحرص صحبه على ممارستها وتعليمها للأجيال، وقد قيل عنه

² المصدر نفسه، ص15.

³ المصدر نفسه، ص15.

..... خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية

صلى الله عليه وسلم أنه كان يطلق سراح أسرى موقعة بدر من المكيين الذين يعرفون الكتابة إذا علمها الأسير لعشرة من صبيان المسلمين. فكان ذلك دافعاً قوياً جعل المسلمين يهتمون بالكتابة ويتقنون في زخرفتها»⁴ والمعروف أن الجزيرة العربية ضمت مختلف الحضارات وترعرعت فوقها عدة شعوب كالسومريين والآشوريين والبابليين، ولذلك نجد أن الكتابة مرت بخمسة أطوار:

طور الكتابة التصويرية: وترجع هذه الكتابة إلى العصر الحجري، وسميت كذلك بالكتابة البيكتوغرافية Pictographie وهي من أصل كلمتين Picture وتعني "صورة" و graph بمعنى "رسم" أو "كتابة" «حيث استعمل فيها ذلك الإنسان - لوحات يسرد عليها القصص والأحداث والمشاكل الحياتية بواسطة الرسم، فقد عثر على رسوم عديدة ورموز مختلفة منقوشة على جدران معظم الكهوف القديمة التي يعودنا تاريخها إلى ما قبل الميلاد بآلاف السنين»⁵.

وعموماً يمكن القول إن النقوش والرسوم قديماً كانت تستعمل للتواصل وللتعبير عما يجول في خاطر من أفكار «وقد ساعدت هذه الكتابة المصورة الإنسان المعاصر على سبر أغوار الحضارات القديمة وترجمة أفكار بُنائتها، ودراسة الظروف الحياتية التي كانت تحيط بهم، ونستطيع القول إن الإنسان القديم لم يترك مؤلفات أو كتباً تروي تاريخه، ولكنه خلف وراءه نقوشاً ورسوماً تعلم منها الدارسون ما كان يجري في تلك الأحقاب، فألفوا المجلدات الضخمة، حتى أصبحت هذه الدراسات والمؤلفات من أهم المصادر التي يرجع لها الدارس لحضارات ما قبل التاريخ»⁶.

وبقيت هذه الكتابة تستعمل كأسلوب للخطاب إلا أنها كانت غير منتظمة القواعد تحمل الكثير من المعاني والتفاسير.

⁴ عبد العزيز سعيد الصويحي، الحرف العربي تحفة التاريخ وعقدة التقنية، مصدر سابق، ص 17.

⁵ المصدر نفسه، 26.

⁶ المصدر نفسه، ص 7.

1. **الكتابة الرمزية:** اعتمدت الكتابة الرمزية على الرسم وأطلق عليها كذلك اسم الكتابة اللوغرافية، وتعني هذه الكلمة: logographi "لغة الرسم"، وهي من أصل كلمتين logos أي لغة و graph أي رسم وكتابة.

«وعند الحديث عن هذا النوع من الكتابات تجدر الإشارة إلى أن رمزاً واحداً من الكتابة اللوغرافية يعني كلمة بكاملها لا مقطعاً معيناً أو حرفاً منفصلاً، فصورة الشمس المنبثق منها النور ترمز إلى النهار، وصورة رجل يده في فمه ترمز إلى الجوع... وغيرها، وهذه الكتابة تمتاز عن سابقتها بثباتها واستقرارها، حيث كان بالإمكان قراءتها من قبل شعوب تلك الحقبة كل حسب لغته أو لهجته الخاصة، وقد استطاعت الكتابة اللوغرافية -أخيراً- أن تعبر عن أدق المصطلحات العلمية والفنية والأدبية، كما هو الحال في اللغة الصينية»⁷. وانتشرت هذه الكتابة خاصة في مصر وعند السومريين، وفي بلاد ما بين النهرين.

2. **الكتابة المقطعية:** لم تستمر الكتابة الرمزية طويلاً، حتى ظهر هذا النوع من الكتابة التي تتميز بالوضوح، عكس الكتابة الرمزية التي نجد فيها الكثير من الغموض والتعقيد «جاءت فكرة تقطيع الكلمة، أي إن الرمز الواحد يعبر عن مقاطع من الكلمة وليس عن الكلمة كلها، مثلاً: إذا أراد الإنسان كتابة كلمة تبدأ بالمقطع "يد"، كما في يدبر، يدخل، يدمر، فإنه يرسم صورة يد ويعتبرها مقطعاً هجائياً لا يراد به نفس اليد وإنما يعبر عن صوت الياء والذال غير المعروفتين بعد، وهذه الرموز المقطعية تتكون من أحرف صوتية وأحرف ساكنة، والمقطع الواحد إما أن يكون محتوياً على حرف واحد "صوتي" أو حرفين "صوتي + ساكن" أو "ساكن + صوتي" أو ثلاثة أحرف "ساكن + صوتي + ساكن" وهذا ما يعرف بالكتابة المقطعية»⁸، واهتم الكثير من الشعوب بهذه الكتابة خاصة السومريون والمصريون وعبروا بها ورسموا الكثير من الأشكال والتعابير.

⁷ المصدر نفسه، ص28.

⁸ عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي تحفة التاريخ وعقدة التقنية، مصدر سابق، ص30.

..... خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية

3. **الكتابة الصوتية:** أول من استعمل هذه الكتابة السومريون «السومريون الأوائل -أو غيرهم ممن سبقهم- هم أول من استعمل هذه الطريقة عندما كتبوا بها على شقوق الطين، وتعتبر هذه الطريقة وحدها دون غيرها التي وضعت أسس الكتابة الهجائية التي تلتها»⁹، وسمحت هذه الكتابة بالترقية بين الأشكال ومختلف العلامات، وتم فيها استعمال الرموز للتعبير عن المقاطع الصوتية، وظهرت الكتابة الصوتية قبل الميلاد بنحو ألف سنة.

4. **الكتابة الهجائية:** جاءت الكتابة الهجائية أو ما يعرف بالأبجدية متأخرة في الظهور عن الكتابة المقطعية والصوتية «والكتابة الأبجدية الحرفية أكثر ملائمة من غيرها بالنسبة للغالبية الساحقة من لغات العالم، حيث أن عدد الألفاظ أقل من المقاطع أو الكلمات، فهي إذن -قادرة على التعبير- بأقل عدد من الرموز، إذ يتفاوت عددها بين العشرين والأربعين حرفاً»¹⁰.

وعلى حسب دراسات سابقة فإن المصريين هم أول من كتب بالأبجدية الساكنة بعد اختراعها من طرف الفينيقيين «وبسبب ذلك طبيعة اللغة المصرية القديمة التي كانت تتشابه -إلى حد بعيد- مع اللغات السامية في آسيا الصغرى والوسطى، وهكذا عرف المصريون نظاماً جديداً مؤلفاً من أربعة وعشرين رمزاً تعبر عن الأحرف الساكنة في لغتهم، وأهملوا الأحرف الصوتية، وهذا الشيء أثر في هذه الكتابة، فأضافوا بعض الرموز الأخرى التي تميز الكلمات المتشابهة بعضها عن بعض، ولكن على الرغم من كل الصعوبات التي واجهتها هذه الكتابة فأنها أدت دوراً إيجابياً كبيراً، وتركت أكبر أثر على ظهور الكتابات الأبجدية لدى عدد من الشعوب السامية الأخرى»¹¹، فالكتابة مرت بالعديد من المراحل إلى أن وصلت إلى ما عليه اليوم من صغر في الحجم وتقلص في الرموز. والحروف تتخذ عدة أنواع فهناك الحرف الهيروغليفي الذي ظهر نحو 3200 ق.م، وهو عبارة عن صور لمختلف الطيور وبعض العلامات، وعددها 24 حرفاً كلها ساكنة وهي حروف أشد تعقيداً في الكتابة، استعملها المصريون في كتاباتهم، وهناك الحرف

⁹ المصدر نفسه، ص 31.

¹⁰ المصدر نفسه، ص 32.

¹¹ عبد العزيز سعيد الصويحي، الحرف العربي تحفة التاريخ وعقدة التقنية، مصدر سابق، ص 32.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

الفينيقي الذي استعمله الفينيقيون وبعض الشعوب السامية، حيث تميزت هذه الكتابة بنوع من البساطة والسهولة.

والفينيقيون كان موطنهم الأصلي جنوب الخليج العربي والبحرين، ثم استوطنوا شواطئ سورية ولبنان¹²، وأسسوا بعض المستعمرات على سواحل شمال إفريقية وجزر البحر الأبيض المتوسط، ويمثل هذا الجدول بعض معاني الحروف الفينيقية.

الحرف	اسمه	معناه	قيمه
الألف	ألف	ثور	1
الباء	بيت	بيت	2
الجيم	جيميل	جمل	3
الدال	داليت	باب	4
الهاء	هي	شبكة	5
الواو	واو	وتد"مسمار"	6
الزاي	زين	سلاح	7
الحاء	حيط	جدار"حائط"	8
الطاء	طيظ	حمل"خشن"	9
الياء	يد	يد	10
الكاف	كاف	كف	20
اللام	لاميد	عصا"إبرة النحل"	30
الميم	ميم	ماء	40
النون	نون	سمك"حوت"	50
السين	سامك	دعامة"مسند"	60

¹² ينظر : المصدر نفسه، ص44.

..... خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية

70	عين	عين	العين
80	فم	في	الفاء
90	صديق	صادي	الصاد
100	قرد"سمّ الخياط"	قوف	القاف
200	رأس	ريش	الراء
300	سن	شين	الشين
500	إشارة "علامة"	تاو	التاء

وتعني الأرقام عند الفينقيين قيمة الحروف الحسابية¹³، أطلق عليها العرب فيما بعد اسم "حساب الجمل"، استعملها الفينقيون والعبريون عوضاً عن الأرقام في معرفة الحساب أو الأزمان وبناء القصور والمعابد، واستعملها العرب كذلك، حيث استعملوها في كتابة الشعر والنثر وفي تاريخ الزمن لحكم الأمراء والملوك¹⁴.

وإضافةً إلى ذلك نجد أنواعاً من الحروف الأخرى كالحرف الآرامي، واللغة الآرامية كانت قديماً لغة الحضارة ولغة الشعب في الشام «ومن الناحية اللغوية فالآرامية، كانت منتشرة قبل الميلاد مثلما نرى الإنكليزية اليوم، وقد بشر بها المسيح عليه السلام ولم يبشر بالعبرية لغته ولغة قومه»¹⁵. وأصبحت الآرامية في ذلك العهد اللغة المنتشرة في آسيا عدة قرون وبدأت تضمحل شيئاً فشيئاً منذ القرنين الثالث والرابع الميلاديين «انبتقت عن الآرامية أربعة خطوط رئيسية ارتبط انتشارها بانتشار واحدة من الديانات الأساسية وهي حسب التسلسل الزمني: الزرداتشية- اليهودية- المسيحية فالإسلام، أما تطور هذه الخطوط فبقي مرتبطاً بالخصائص الضمنية للغات الأربع: الفارسية، العبرية، السريانية والعربية، ففي اللغات التي تتمتع فيها الصوتيات بنفس ما

¹³ ينظر: زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال صوفي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط6، 1982، ص80.

¹⁴ ينظر: عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي، تحفة وعقدة التقنية، مصدر سابق، ص46.

¹⁵ المصدر نفسه، ص47.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

تتمتع به السواكن، صيغت رموز خاصة لهذه الصوتيات، أما اللغات التي تغلب فيها السواكن على الصوتيات فإنها بقيت محتفظة بالطابع الفينيقي الآرامي القديم، أو صاغت رموزاً خاصة للتعبير عن بعض الصوتيات، خاصة منها الصوتيات القصيرة»¹⁶، والآراميون هم مجموعة من القبائل سكنوا منطقة ما بين النهرين وفي سورية وفلسطين.

«تعتبر الكتابة العربية من أهم فروع الخط الآرامي، حيث قامت بصورة خاصة على أساس الخط النبطي الذي كانت تكتب به القبائل الكنعانية الآرامية منذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي، تلك القبائل التي أقامت دولة الأنباط في شبه الجزيرة العربية، وأقدم المدونات التي كتبت بمختلف تحولات الخط العربي تعود إلى القرن الرابع الميلادي، وبهذا يكون الخط العربي قد بدأ بالتكوّن في مرحلة سابقة للإسلام»¹⁷. بين التسمية الآرامية والتسمية العربية وارتباط الحرف الآرامي بالتسمية العربية يرجع إلى تاريخ هجرة سكان الجزيرة المعروفة بطبيعتها الجبلية والواقعة في منطقة ما بين النهرين والتميز بخصوبة أرضها. أما عن ترتيب الحروف العربية فهناك طريقتان:

الطريقة الأولى: وهي الألفبائية المعروفة عند العرب وعددها 28¹⁸ حرفاً مرتبة كالآتي¹⁹:
(أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي).

الطريقة الثانية: وتسمى هذه الطريقة بالأبجدية وهي من أصل فينيقي، اقتبستها عنهم اليونانية التي رُتبت على أساسها الحروف اللاتينية، أما العبرية فبقت محتفظة بهذا الترتيب واعتمدته، وعدد هذه الأبجدية 22 حرفاً مرتبة كالآتي:

¹⁶ المصدر نفسه.

¹⁷ عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي، تحفة وعقدة التقنية، مصر سابق، ص51.

¹⁸ بل 29 لأن الهمزة حرف، والألف اللينة حرف.

¹⁹ المصدر نفسه، ص57.

..... خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية

(أ ب ج د- هـ و ز- ح ط ي- ك ل م ن- س ع ف ص- ق ر ش ت) تزيد عليها الأبجدية العربية بستة حروف منقوطة هي (ث خ ذ- ض ظ غ) قيمتها الحسابية من 500 إلى 1000 وأطلق عليها العرب باسم الروادف، وهناك تشابه بين الحروف اللاتينية والحروف العربية الأربعة الأولى فكانت كما يلي:

(A, B, C (G), D, F, Z, H, I, K, L, M, N, O, P, (YVU).

ونلاحظ هنا بعض الشبه بين ترتيب الحروف اللاتينية والحروف العربية²⁰، فتسلسل الحروف الأربعة الأولى (ABCD) هو التسلسل (أ، ب، ج، د)، والتسلسل (KLMN) هو التسلسل (ك، ل، م، ن)، وهذا الترتيب موجود في الطريقتين "الأبجدية والألفبائية"، وعرف الحرف العربي تطوراً ملحوظاً واستعمل للكتابة في واجهات الصحف العربية بعد نشأة الصحافة في عصرنا الحديث بداية من القرن التاسع عشر.

2- الكتابة والطباعة:

لقد استعمل الإنسان منذ القديم وسائل يكتب عليها الحروف والكلمات، فكتب على جلود الحيوانات والأوراق وغير ذلك «منذ نشأة الكتابة بالحروف الأبجدية والإنسان يبحث عن الرقاع المناسبة للكتابة والتدوين، فكتب على أوراق النباتات، ورقاق الحيوانات، وقصب البردي وغيرها، فزادت بذلك العناية بالتأليف والتدوين»، وبذلك فكر القدماء في البحث عن طرق نسخ العديد من الكتب وإنتاج نسخ عديدة من أصل واحد «وبداية كانت فكرة حفر الحروف على سطوح الألواح الخشبية هي الطريقة الوحيدة المستعملة لدى قدماء الصينيين، ولكن على الرغم من بدائيتها فقد استطاعت أن تساعد على طبع بعض الكتب في تلك البقاع»²¹.

وهذا ما وجده الباحثون على مختلف القوالب الخشبية التي يرجع ظهورها لآلاف السنين، ووجد كتاب ديني في الحكم والأمثال يُسمى «درة البوذية» داخل أحد الكهوف الصينية الموجودة في سلسلة كهوف جبال تركستان، وصفحات الكتاب مطبوعة على هذه القوالب الخشبية تحمل

²⁰ ينظر: أحمد هيو، الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الحوار، ط1، 1984، سوريا، ص98.

²¹ ينظر: أحمد حسين الصناوهي، طباعة الصحف وإخراجها، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1965، ص85.

التعريب العدد الحادي والستون . كانون الأول (ديسمبر) 2021م

تاريخ عام 868 م، عليها اسم طابعها الصيني "وانج تشيه"، وبعد ذلك تطورت الطباعة الخشبية إلى الطباعة الحجرية وتميزت بحفر الكتابة باستعمال سطوح الأحجار الملساء فسميت بذلك الطباعة الحجرية. حيث يتم فيها حك الحجر بالرمال ورشه بالماء بواسطة أداة خاصة وترسم الحروف عليها بواسطة الطباشير أو الحبر واستعمال مادة دهنية كي تبقى الكتابة عالقة على السطح ثم يتم تحفيها بواسطة الصمغ فتزد ثباتاً ثم يوضع الورق في الأخير، وتطبع عليه المحتويات المكتوبة، وتكرر العملية على هذا النحو²². وتم تطويرها إلى طباعة ملساء تسمى اليوم بـ الأوفست OFFSET، تتميز بالدقة والسرعة في التخرج.

4. اختراع الآلة الكاتبة ومراحل تطورها:

لقد حدث اختراع أول آلة كاتبة سنة 1714 م من طرف الإنجليزي "هنري ميل" Henri Mill وهذه آلة وضعت لمساعدة الأعمى كي يتابع الحروف عن طريق اللمس باليد. وفي سنة 1829 تم اختراع آلة كاتبة أخرى متطورة عن الأولى سميت بـ منضدة الحروف «Typographier» لتتطور هذه الآلة شيئاً فشيئاً في النسخ إلى أن جاء الفرنسي "كسافير بروجين" Kiddaver Prigin اختراع آلة كاتبة تتميز بوجود مفاتيح وروافع لكل الحروف، وفي سنة 1843 تم اختراع آلة كاتبة تختلف عن هذه الأخيرة في كونها تتحرك آلياً، وترفع يدوياً بشكل دائري نحو الحرف المقرر طبعه، فيسقط بعد تحبيره فوق الورقة بشكل مباشر²³، وتتميز هذه الآلة بالبطء وفي سنة 1856 تم اختراع آلة أكثر تطوراً يوجد فيها دائرة رئيسية من القضبان بمثابة المحرك الرئيسي، وتضغط في مركز واحد، وهذه الآلة تشبه إلى حد بعيد آلات الكتابة الحالية، وفي سنة 1873م تم إدخال بعض التحسينات على هذه الآلة²⁴، وجرى تطويرها تدريجياً وأصبحت تعمل بالكهرباء في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين.

²² ينظر: عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي، مصدر سابق، ص139.

²³ ينظر: فرنسيس روجر، قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة، تر: أحمد حسين الصاوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1969، ص111.

²⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص120.

..... خصائص الكتابة العربية في الحضارة العربية الإسلامية

- ظهور المطابع وتطوير طباعة الحرف العربي:

لقد اهتمت المطابع الغربية بالحرف المطبعي العربي كثيراً وتنافست في صنعه ونشره بالرغم من وجود الصعوبات والمشاكل في طبعه لغرض مواكبة التطور المطبعي من حيث السرعة على غرار الحرف اللاتيني، وبذلك دخل الحرف العربي مجال الطباعة واتخذ الحرف العربي عدة أشكال في الطباعة وأطلقت عليه التسميات الآتية:²⁵

- الأولى: Initial: أي شكل الحرف عندما يكون في أول الكلمة.

- الوسطى: Medial: ويقصد به شكل الحرف عندما يكون في وسط الكلمة.

- الأخير المتصل: Final: وهو شكل الحرف عندما يكون متصلاً في آخر الكلمة.

- الأخير المنفصل: Isolated: ويقصد به شكل الحرف منفصلاً في آخر الكلمة.

وإضافةً إلى كل ما تقدم يجري ضبط حركات الإعراب على مختلف الأوضاع والأشكال.

- ظهور لوحة المفاتيح Clavier:

نظراً للصعوبات التي واجهت طباعة الحرف ونسخه حرص الطبّاعون العرب على مسايرة تقدم الطباعة العلمية، حيث تم الابتعاد عن استعمال الطرق التقليدية السالفة الذكر وإحداث نوع من التطوير لغرض تسهيل قراءة الحرف العربي وتحسين هندسته كي يظهر في أجمل صورة، «ومن هذا المنطلق، بدأ البحث عن كيفية استعمال الحروف في لوحة المفاتيح التي يمكن استبدالها، وتم الوصول إلى حرف "الفاصلة" وحرف "النقطتين" وحرف "نقطة الاستفهام"، وعلامة المربع المستطيل»²⁶.

واهتم العديد من الشركات بتعديل لوحة المفاتيح بتقليص الحروف، وإضافة بعض التحسينات عليها ليظهر الحرف أكثر أناقة أثناء الطبع.

وكانت هذه البدايات في التعديل سنة 1964م.

²⁵ ينظر: عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي، مصدر سابق، ص168.

²⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص178.

ظهور الحرف العربي على الشاشة وحوسبته آلياً

لقد عرفت كتابة الحروف العربية على الحاسوب بعض الصعوبات في بادئ الأمر «حيث تهدف إلى تشخيص الحروف الفردية حرفاً، حرفاً ثم بعد ذلك تحدد الكلمات والجمل. لكن رغم ما يبدو على هذه الطريقة من بساطة الفكرة، فإن تطبيقها على أرض الواقع يعد أمراً معقداً للغاية»²⁷، ويرجع هذا التعقيد فيما يخص تمييز حروف الخط المكتوب إلى مجموعة من العوامل نذكر منها:²⁸

- تجاوز الوحدات الخطية.
 - مراعاة طول الوحدة الخطية.
 - سرعة كتابة الوحدة الخطية.
 - المستوى الفردي للكاتب وحالته النفسية والبيولوجية.
- وفي حالة اللجوء إلى الطريقة الآلية تقوم بتحليل الخط إلى مجموعة من الوحدات «فإننا نجد أنفسنا أمام منهج هندسي بحيث يعتمد على الصيغ الفيزيائية والرياضية دون المعرفة اللسانية فيقارن بين الوحدة الخطية والأطراف المخزونة بتخزين أنماط خطية معينة على هيئة طيف من الموجات الكهرمغناطيسية ولكي يتمكن النظام الآلي من تعرّف الرمز اللغوي الذي تحمله هذه الإشارات يقوم بتحليلها بطرق هندسية ورياضية ليستخلص منها الخصائص الأساسية للحروف كسعتها ودرجة شدتها ومعدلات انحدارها وصعودها...الخ»²⁹.
- وتتميز المعالجة الحاسوبية للخط العربي بالقدرة الفائقة في التخزين واستعمال الخوارزميات المعتمدة على تحليل الطيف الخطي واستعمال تقنيات مختلفة في النصوص المكتوبة.

²⁷ Voir: Gilles Burel, Serres la voisier, Jacques Broech, introduction au traitement-28 d'image traduit par: simulation sous matlab, 1980, P22.

²⁸ Op Cit, P24.

²⁹ عمر ديدوح، مقارنة توصيفية للتعرف الآلي على الخط العربي اليدوي، جامعة تلمسان، مجلة كلية الآداب واللغات، ج6، ورقلة، الجزائر، 2007، ص194.

5. خاتمة:

- تميز الخط العربي بميزات جعلته مختلفاً عن بقية الخطوط الأخرى بفضل رونقه الخاص في الكتابة وجمال تشكيلته الفنية، وللأسف لم يطور كما ينبغي نظراً ل:
1. نقص الدراسات الخاصة في مجال تطوير الخط حاسوبياً وكذا تحليله.
 2. غياب مؤسسات خاصة تعني بضبط الحرف العربي آلياً، لذا لم يصل إلى ما وصل إليه الحرف العربي من حيث الدقة في المعالجة.
 3. يعد الحرف العربي رمز الحضارة العربية والإسلامية، لذا يجب تشجيع الجيل الجديد على استعماله وتطويره.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- (1) أحمد حسين الصناهوري، طباعة الصحف وإخراجها، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1965.
- (2) أحمد هبو، الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الحوار، ط1، 1984، سوريا.
- (3) زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق ببيضون وكمال صوفي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط6، 1982.
- (4) عبد العزيز سعيد الصويغي، الحرف العربي تحفة التاريخ وعقدة التقنية، الدار الجماهيرية للنشر، بنغازي، ليبيا، ط1، 1989م.
- (5) عمر ديدوح، مقارنة توصيفية للتعرف الآلي على الخط العربي اليدوي، جامعة تلمسان، مجلة كلية الآداب واللغات، ج6، ورقلة، الجزائر، 2007.
- (6) فرنسيس روجر، قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة، تر: أحمد حسين الصاوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1969.

Gilles Burel, Sermes la voisier, Jacques Broech, introduction au traitement-28 d'image traduit par: simulation sous matlab, 1980.

